موسوعة رحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين 5

درسها وحققها ووضع حواشيها
تيسير خلف

الروضة النعمانية في سياحة فلسطين وبعض البلدان الشامية

نعمان قسطالي الدمشقي

1 - 2

الروضة النعمانية

في سياحة فلسطين

وبعض البلدان الشامية

الروضة النعمانية في سياحة فلسطين

وبعض البلدان الشامية

درسها وحققها ووضع حواشيها : **تيسير خلف**

الناشر : دار كنعان

للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية

دمشق - ص.ب **443** تلفاكس: **2134433 (11 - 963 +)**

E-mail 1: said.b@scs-net.org

E-mail 2: kanaanbook@yahoo.com



بالتعاون مع

دائرة الثقافة والإعلام بعجمان

دولة الإمارات العربية المتحدة - تلفاكس: **0097167423189**

E-mail 1: mafarag_2005@yahoo.com

E-mail 1: m_harbi3@yahoo.com

الطبعة الأولى : 2010 / عدد النسخ **1000**

إخراج: **لبنى حمد**

التدقيق اللغوي: **سامي عبد المجيد**

الإشراف العام: **سعيد البرغوثي**

يمكن الاطلاع على كتب الدار ومنشوراتها

على صفحة الشبكة التالية:

http://www.darkanaan.com

http://www.neelwafurat.com



موسوعة

رحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين

«الجزء الخامس»

الروضة النعمانية في سياحة فلسطين وبعض البلدان الشامية

نعمان قساطلي الدمشقي

1 و 2

درسها وحققها ووضع حواشيها

تيسير خلف

صدرت هذه الموسوعة بمناسبة

احتفالية القدس عاصمة للثقافة العربية 2009

بالتعاون مع دائرة الثقافة والإعلام بعجمان / دولة الإمارات العربية المتحدة







لنا كلمة

إن أهم إسهام يمكن أن نقدمه للقدس في احتفاليتها عاصمة للثقافة العربية لعام 2009 هو أن تبقى حية في الأذهان، في وقت يحاول المحتلون الصهاينة محو وجهها العربي والإسلامي، واستبداله بوجه غريب عنها، ولكي تبقى حية في الأذهان بصورتها العربية الإسلامية هي وأخواتها مدن فلسطين المحتلة الأخرى، لابد من تقديم الوجه الحقيقي لها من خلال الكتب والمؤلفات التي تناولتها من وجهة نظر عربية إسلامية.

ولذلك تحمسنا لمشروع موسوعة رحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين، لأننا أدركنا أهمية نشر هذا الأثر، وتعميمه في هذه الاحتفالية، لأنه يسد نقصاً كبيراً في المكتبة العربية، ومن شأنه أن يسهم بشكل مباشر في خدمة قضية القدس وفلسطين، بشكل حضاري يرد على الدعاية الصهيونية بالحجة والمنطق التاريخي.

ولذلك فنحن نرى أن الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية لعام 2009م هو احتفاء بتاريخها وأعلامها، عبر جعل هذا التاريخ في متناول الجميع، لأن من شأن هذا الأمر أن يسهم في تعميق الوعي بضرورة تحريرها من رجس الاحتلال، وإعادتها مدينة عربية إسلامية، تُشد الرحال إليها كما اعتاد أجدادنا أن يفعلوا طوال القرون الخمس عشرة الهجرية الماضية.

والاحتفاء بالقدس يختلف عن الاحتفاء بأي مدينة عربية أخرى، فهو ليس ترفاً أو استعراضاً شكلياً بقدر ما هو ممارسة عملية واجبة على كل عربي ومسلم، والتزاماً فكرياً وإيماناً راسخاً بعروبة هذه المدينة، ولن يتم كل ذلك إلا بتكريس هذه القيم عبر الوسائل الثقافية والمعرفية، ومنها نشر الكتب وإنتاج الأفلام والبرامج والمسلسلات التي تؤكد على الوجه الحقيقي لهذه المدينة التي شهدت أعظم الأحداث في تاريخنا العربي والإسلامي.

دائرة الثقافة والإعلام – حكومة عجمان

هذه الموسوعة

إسهاماً منها في احتفالية القدس عاصمة للثقافة العربية لعام 2009م ارتأت دار كنعان للدراسات والنشر أن تُقدم لقراء العربية موسوعة شاملة لرحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين خلال أكثر من أحد عشر قرناً، شهدت فلسطين خلالها عدداً كبيراً من الرحلات التي قام بها عرب ومسلمون، بعضها تم تحقيقه خلال فترات زمنية مختلفة، ومنها ما بقي حبيس المخطوطات، لم يتيسر لعموم القراء مطالعته.

ولأدب الرحلات أهمية خاصة بالنسبة لفلسطين، فهي الأرض المقدسة التي زارها ملايين الحجاج ونقلوا لأحبتهم أخبار مشاهداتهم لهذه الديار المباركة. غير أن عدداً قليلاً منهم قام بتدوين مشاهداته، التي تمثل الزمن الذي عاش فيه هذا الرحالة أو ذاك، ولذلك فالرحلات وثائق تاريخية وجغرافية، من شأنها أن تعمق الوعي التاريخي وتوسع الآفاق والمعارف والرؤى.

ولقد عرفت فلسطين طوال هذه القرون تطورات وتحولات كثيرة، لم يكن بالإمكان الاطلاع عليها من خلال كتب التاريخ التقليدي المتداولة، نظراً لحصر اهتمام هذه الكتب في أخبار الحروب والتحركات السياسية والعسكرية لهذا القائد أو ذاك، بعيداً عن التاريخ الذي يخص الأرض والبشر، ولذلك نأمل أن نُسهم بقدر الاستطاعة في نفض الغبار عن هذا التاريخ المجهول الذي يميط اللثام عن الكثير من الحقائق الغائبة.

وتكمن أهمية هذه الموسوعة، في أنها تمثل الجانب الآخر من صورة الرحلات التي قام بها الرحالون الغربيون إلى فلسطين خلال قرون طويلة، أسهموا من خلالها في تكوين وعي معين تجاه فلسطين، مستقى بشكل أو بآخر من الوعي الديني المسيحي واليهودي الذي يُمثل فيما يُمثله جانباً واحداً من الصورة، غير أن الأمر بات أكثر خطورة بعد حملة نابليون على فلسطين آخر القرن الثامن عشر، حيث بدا نوع جديد من الرحلات مرتبط بشكل أو بآخر بالمشاريع الاستعمارية التي كانت تُعد في دوائر القوى العظمى، مستهدفة إنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين في مغالطة لحقائق التاريخ والجغرافيا والمنطق. ولذلك ساد خلال قرنين من الزمن نوع من الرحلات الاستكشافية إلى فلسطين

وما يحيط بها، أسهم بشكل مباشر في تكوين وعي زائف لتاريخ فلسطين خصوصاً وبلاد الشام بشكل عام، ما نزال نعاني من تبعاته حتى هذه اللحظة، إذ ركزت معظم رحلات الغربيين على إدعاءات كاذبة تحيل على جهل وتخلّف سكان فلسطين من العرب الذين يعيشون في خيام ويمتهنون السرقة والسلب والخروج على القوانين، تاركين هذه الأرض الخصبة معطلة، فكان لابد من إعمار هذه الأرض المقدسة بشعب متحضر يبلغ بها مراقي التقدم، معيداً لها مجدها القديم الذي توقف مع قدوم العرب المسلمين إليها. وهذا هو الوعي الذي سوغ للصهيونية كل جرائمها بحق فلسطين وأهلها حتى يومنا هذا.. فما أحوجنا إذاً لتصويب الصورة، وتوضيح الأمور ووضعها في نصابها، ونقل الجانب الآخر من الصورة الذي تمثله رحلات العرب والمسلمين التي ننشرها في موسوعتنا هذه.

ومن الملاحظ أن الوعي العربي للخطر الصهيوني بدأ بالظهور في مطلع القرن العشرين، والرحلات التي نقدمها خلال هذه الفترة؛ تُبين بشكل واضح وجلي أن الكثير من العرب كانوا على بينة من أبعاد المشروع الاستعماري الصهيوني لفلسطين، ولذلك ظهرت في ذلك الوقت أشكال متعددة لمقاومة هذا المشروع، منها أدب الرحلات الذي كان يهدف إلى تقديم حقيقة الأوضاع وتوعية الناس لما يجري حولهم، وهذا ما تصدى له كلٌ من نجيب نصار ونجيب عازوري وعارف العارف وبشير كعدان وغيرهم..

موسوعة رحلات العرب والمسلمين إلى فلسطين، إذاً هي إسهامٌ هامٌ في احتفالية القدس عاصمة للثقافة العربية وهي إسهامٌ نطمح أن نثري به المكتبة العربية، فتكون هذه الموسوعة إضافةً هامةً إلى المراجع الأخرى التي تناولت الحديث عن فلسطين أرضاً وشعباً وتاريخاً عبر العصور الغابرة.

دار كنعان للدراسات والنشر

تقديم

لايحتاج الباحث إلى كبير عناء لكي يكتشف أن الدفترين المخطوطين، اللذين تحتفظ بهما مكتبة الأسد الوطنية بدمشق تحت عنوان (الروضة النعمانية في سياحة فلسطين وبعض البلدان الشامية) هما للمؤرخ والجغرافي والأديب السوري نعمان قساطلي، على الرغم من أنهما مودعان في المكتبة على أنهما لمؤلف مجهول!.

فاسم نعمان قساطلي موجود على الصفحة الأولى لكلا الدفترين وبالكتابتين العربية واللاتينية. إضافة إلى ماهو معروف عنه بأنه وضع مثل هذا المؤلَّف، بدليل حديث أكثر من مؤرخ عن هذه الرحلة في سياق التعريف بالقساطلي[1].

وتقف رحلة القساطلي هذه، والتي استغرقت نحو عشرة أشهر، علامة فارقة في مسار الرحلات العربية، وحدثاً استثنائياً غير مسبوق، ولكنه لم يأخذ حظه من العناية والنشر وتسليط الضوء عليه، فالقساطلي وضع في دفتريه هذين أول كتاب بالعربية يعتمد منهجاً بحثياً واضحاً لمسح المواقع الأثرية، ووضع مخططات ورسوم لها، ودراسة العادات والتقاليد والأوضاع الاجتماعية، التي كانت سائدة في ذلك الزمن، إضافة إلى بعض الإضاءات التاريخية الضرورية. وهو منهج اقتبسه عن العلماء والمهندسين المساحين البريطانيين الذين عمل معهم بكل كفاءة واقتدار وقدرة على المحاكمة العقلية؛ أنبأت عن باحث أصيل ومثقف لا يشق له غبار. وقد ظهرت ملامح هذا المنهج العلمي في التفكير والعمل في مؤلفات القساطلي اللاحقة التاريخية والجغرافية، والتي شكلت علامات فارقة بين أعمال معاصريه في ذلك الزمن من القرن التاسع عشر.

---

[1]. جاء في موسوعة الأعلام للزركلي حول نعمان قساطلي: نعمان القساطلي1272 ـ 1338 هـ ، 1855 . 1920 م نعمان بن عبده بن يوسف بن نقولا القساطلي. مؤرخ ولد بدمشق ونشأ بها، وتعلم علوم العربية والرياضيات، وتعاطى التجارة، وتوفي بدمشق من اثاره: الروضة النعمانية او مراة فلسطين وسورية في خمس مجلدات، تاريخ دمشق في مجلد كبير، وحوادث سنة 1860 م

سيرته :

ولد نعمان بن عبده بن يوسف بن نيقولا الكبراني الملقب بالقساطلي في دمشق أواخر عام 1854م، ويبدو أن العائلة حصلت على لقب القساطلي قبل مائتي عام . بعد أن كان لقبها الكبراني نسبة إلى الكبران وهو نوع من المعاطف - عندما عمل جدها الأكبر بصناعة قساطل المياه.

درس نعمان قساطلي على الأستاذين سليم كساب الدمشقي وحنا نجم البحمدوني فمال إلى الجغرافيا والتاريخ والجدل. وعمل بالجواهر والصياغة وتسدية الحرير مثل غيره من معاصريه، وكان يختلف إلى العلأمتين الدكتور ميخائيل مشاقة (1800-1888م) وتلميذه إبراهيم الحوراني (1844- 1916م) ويحضر مجالسهما فاقتبس عنهما الكثير من الآداب، وأتقن التاريخ والجغرافيا .

ولقرب عهده بأحداث عام 1860م كان يتلقى عن الشيوخ أخبارها، فدونها في كتاب نشر في عام 1895م باسم (حسر اللثام عن نكبات الشام) بشيء من التصرف من قبل الناشر. وهو نفسه كاد أن يذهب ضحية الفتنة الطائفية التي حدثت في دمشق عام 1860م لولا اختباؤه في أحد الأفران، فأنقذ بذلك نفسه.

عمل مع صندوق استكشاف فلسطين ثلاث سنوات: من سنة 1874 وحتى 1877م، فاكتسب الكثير من الخبرة والمعارف العملية، وفي سنة 1878م وضع كتاباً عن تاريخ دمشق باسم (الروضة الغناء في دمشق الفيحاء)، ونشر الكثير من المقالات والدراسات في مجلات (الجنان) و(المقتطف) و(الطبيب). وصحف (الجنة) و(لسان الحال) و(المحبة)، منها (موجز تاريخ الزيادنة)، و(جغرافية جبل الدروز وحوران) و(خطاب العلم والدين)، و(فلسفة الاقتصاد)، و(الطب والتدابير الصحية في سوريا) و(صناعات دمشق). ونسب إليه صديقه عيسى اسكندر المعلوف عدداً من الكتب لم تر النور مثل (تاريخ سوريا المطول) و(مرآة سوريا وفلسطين) و(يوميات الحرب العامة) وخطب ورسائل ظلت مخطوطة.

كما نشر روايات مسلسلة أدبية في مجلة الجنان بين سنوات 1880 و1882م، تعد من بواكير فن الرواية في سوريا خصوصاً، والعالم العربي عموماً[2].

---

[2] . تضمنت هذه الروايات قصائد عدّ معجم البابطين للشعر العربي ان كاتبها اي نعمان قساطلي (شاعر متمكن من شكل القصيدة وأسلوبها الفني، وعلى الرغم من تقليديته إلا انه بدا . في عصره . متبوّئًا مكانته الفنية المناسبة من جهة والمتميزة من جهة؛ وذلك لمقدرته البيانية والإيقاعية، وابتعاده عن الصنعة والتكلف)

سافر إلى مصر عام 1882م وعمل في التجارة مدة اثني عشر عاماً فأحرز بعض النجاح، وهناك تعرف إلى زوجته ندى كليلة (1858- 1931م) اليونانية الأصل، الدمشقية المولد والوفاة، وقد رزق منها طفلاً صبياً مات صغيراً، وابنتين هما أسماء التي تزوجت من يوسف تين، وفريدة التي تزوجت من أخيه الدكتور إلياس تين وتوفيت شابة قبل أن ترزق أولاداً.

كان نعمان قساطلي كما وصفه المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف، طويل القامة أسمر اللون، مستطيل الوجه، طيب القلب، عصبي المزاج، كثير الجلد على المطالعة والكتابة صموتاً إذا نطق أقنع، وإذا كتب أبدع، سعيداً مع زوجة مثقفة وتقية ببساطة وترتيب وحسن تدبير، وقد هذب ابنتيه أسماء وفريدة أحسن تهذيب. وأثر موت فريدة وهي في ريعان الشباب في صحته واشتداد المرض عليه، حتى وافته المنية في الحادي والعشرين من شباط عام 1920م[3].

رحلته :

عندما عمل نعمان قساطلي مع فريق المساحين التابع لصندوق استكشاف فلسطين عام 1874م، لم يكن قد تجاوز العشرين من عمره، وكان يمتلئ حماسة واندفاعاً، واستطاع خلال فترة تواجده مع هذا الفريق، الذي كان يرأسه الملازم أول من المهندسين الملكيين كلود ريغنر كوندر [REIGNIER CONDER CLAUDE]، أن يحصل على معارف لم تتح لغيره، مثل إمكانية الاطلاع على التاريخ القديم لفلسطين، والمباحث الكتابية التي سبق أن وضعت عن المواقع المذكورة في الكتاب المقدس، والكثير من المعلومات الطبوغرافية والإحداثية، التي عاد واستخدمها في مؤلفاته الأخرى.

فهو كان مكلفاً من قبل الفريق، حسب صديقه عيسى اسكندر المعلوف، بتحقيق المواقع الجغرافية التي درستها البعثة الاستكشافية، وقد تنبه لهذا الأمر وبدأ يدون مذكرات هذه الرحلة في دفاتر متعددة، قال المعلوف إنها بلغت خمسة دفاتر، ولم يصلنا منها إلا دفتران وبعض نتف متفرقة ملحقة بالدفتر الثاني عن مدينة القدس.

فالقساطلي بدأ العمل مع الفريق البريطاني في 26 أيلول 1874م كما يقول هو، وآخر تاريخ ورد في الدفترين كان 11 حزيران 1875م في نابلس. وبعد ذلك لا نعلم منه شيئاً عن مسار رحلته، أو ماذا حل ببقية الدفاتر التي تحدث عنها المعلوف وغيره.

---

[1] . مجلة العروس، عدد اكتوبر 1920م مجلد 5 . 6 الجزء التاسع ومقال للكاتب عيسى فتوح حول نعمان قساطلي زودنا به بشكل شخصي

ولكننا، ومن خلال يوميات البعثة الاستكشافية البريطانية التي وضعها الملازم أول كلود كوندر (مخيم ميداني في فلسطين)[4] والملازم أول هوراشيو كيتشنر (كتاب الملازم كيتشنر للصور الكتابية)[5] كلاً على حدة، نستطيع أن نتلمس مسار الرحلة بعد التاريخ الذي وضعه القساطلي، إذ يبدو أن فريق المسح البريطاني توجه بعد منطقة نابلس إلى الجليل، ودرس منطقة طبرية، قبل أن يتوجه إلى شمالي مدينة صفد وينصب خيامه هناك في 10 تموز (يوليو) سنة 1875م، أي بعد التاريخ الذي يثبته القساطلي في نهاية دفتره الثاني بنحو شهر. ولكن مشكلة حصلت لهم مع أهالي صفد أوقفت مسار الرحلة وأجلت عملها إلى عام 1877م، حيث تولى كيتشنر إنجاز ما تبقى من مسح منطقة الجليل. ومن الواضح أن نعمان قساطلي بقي مع كيتشنر حتى آخر يوم من عمل البعثة.

وكان الملازم أول كلود كوندر قد التحق بفريق المسح البريطاني بعد إصابة رئيسه السابق بالملاريا وعودته إلى لندن في حوالي عام 1772م، أي بعد نحو عام من انطلاق عمل فريق المسح.

وقد عمل كوندر في هذه المرحلة إلى جانب عالم الآثار تشارلز تيرويت ـ دريك جنباً إلى جنب، ومع حلول صيف عام 1873م، كان الفريق منشغلاً بالأقاليم الجنوبية من فلسطين، قبل أن يصاب كندر وتيرويت ـ دريك بالملاريا، مما اضطر فريق العمل للنقاهة في القدس لعدة أشهر، أجرى خلالها عملية تنخيل للمعلومات التي حصل عليها خلال العامين الماضيين. وبعد أن عادت البعثة للعمل في وادي الأردن أصيب تيرويت ـ دريك بالملاريا مرة أخرى وفارق الحياة على إثرها.

وهنا أرسل صندوق استكشاف فلسطين ضابطاً من المهندسين الملكيين هو الملازم أول هوراشيو هيربرت كيتشنر الذي سيبدأ حياة عملية غنية ومتميزة من هذا المكان المميز ابتداءً من عام 1874م.

وقد شكل وصول كيتشنر إلى الفريق دفعة قوية مكنته مع بلوغ حزيران (يونيو) عام 1875م، من إنجاز مسح 4400 ميل من المناطق التي لم يصلها مستكشفون أو مساحون من قبل.

وفي العاشر من تموز (يوليو) أصدر كوندر أوامره للفريق بأن يقيم مخيمه القاعدي شمال مدينة صفد في الجليل الأعلى، قرب عين الزيتون، لكي يبدأ عملية مسح منطقة الجليل مختتماً سنوات البحث والاستكشاف الأربع المتعثرة التي أمضاها في فلسطين، غير أن

---

(4) - TENT WORK IN PALESTINE: A RECORD OF DISCOVERY AND ADVENTURE. CLAUDE REIGNIER CONDER. LONDON: RICHARD BENTLEY & SON, NEW BURLINGTON STREET.1879.

(5) - LT. KITCHENERS GUINIEA BOOK OF BIBLE PHOTOGRAPHS.

ما جرى في صفد وضع حداً لهذه العملية لمدة عامين، بسبب شجار وقع بين كوندر وأحد وجهاء صفد من المهاجرين الجزائريين ويدعى علي العلاّن، الذي اتهمه خادم البعثة ويدعى حبيب بمحاولة سرقة مسدس من حاويات المخيم، فما كان من الرجل إلا أن ضرب الخادم وأثار جلبة اضطرت كوندر للتدخل. فكبر الموضوع وتعرض الفريق لوابل من الحجارة ألقاها عليه شبان مندفعون من صفد، بعد إهانة علي العلان، وكانت نتيجة المعركة تعرض فريق المسح البريطاني بما فيه كوندر وكيتشنر للضرب المبرح وخراب المخيم القاعدي، مما اضطر كوندر لإصدار أوامره بالانسحاب فاراً بروحه وأرواح فريقه، حافياً مدمى الوجه والقدمين.

وغادر الفريق إلى لندن فور ذلك. وطوال عام 1876م عكف كوندر وكيتشنر على دراسة المعطيات التي توصلا إليها خلال الفترة السابقة لمعركة صفد، ومع مطلع عام 1877م عاد الفريق إلى صفد وتولى كيتشنر عملية المسح، الذي أنجز بشكل كامل في شهر تشرين الأول (أكتوبر) من العام نفسه[6]، وهو التاريخ الذي حدده عيسى اسكندر المعلوف لنهاية عمل نعمان قساطلي مع البعثة البريطانية.

ولا نعرف لماذا أحجم نعمان قساطلي عن نشر دفاتره حول سياحة فلسطين، ولكننا نعتقد بأنه لم يجد ناشراً عربياً يمكن أن يغامر بنشر كتاب غير تقليدي، سواء في موضوعه أو في أسلوبه، فبادر في عام 1878م إلى نشر كتابه حول دمشق (الروضة الغناء في دمشق الفيحاء) الذي أتى مختلفاً عما كان يُكتب في ذلك الوقت، ونظنه كان في الأساس جزءاً من أجزاء كتابه (الروضة النعمانية) الخمسة، ولكنه، ربما بناء على نصيحة الناشر، توسع فيه بالجوانب التاريخية، وأعطاه هذا الشكل الجديد والمتميز من الكتابة، والذي لم يكن معروفاً قبله، حتى عدّه العلاّمة صلاح الدين المنجد أول كتاب في تاريخ دمشق بالمفهوم الحديث للتاريخ[7].

المخطوط :

يمثل المخطوط الذي عملنا عليه، وهو نسخة فريدة ليس لها مثيل في أي مكان في العالم، دفتر ملاحظات ميدانية صحب القساطلي في رحلته، وكان يدون فيه ملاحظاته على أرض الواقع ريثما يعود إلى دمشق لكي يرتب أوراقه ويعيد صياغة بعض الجمل الركيكة.

---

[6] ـ ترد هذه التفاصيل في كتاب كوندر (مخيم ميداني) ونشر الواقعة بالتفصيل نيل سلبرمن في كتابه (بحثاً عن إله ووطن)، الطبعة العربية، دار قدمس، دمشق وبيروت 2001م، الصفحات 194-198.

[7] ـ المؤرخون الدمشقيون في العهد العثماني، صلاح الدين المنجد دار الكتاب الجديد، بيروت 1964م

وقد وصلت الرطوبة ومياه الأمطار إلى بعض الصفحات، كما أشار إلى ذلك عند وصولهم إلى مدينة الخليل بعد مسير في جو ممطر. كما أن بعض المعلومات تم تصحيحها في صفحات لاحقة، أو أن معلومات غير محققة لديه تحقق منها وأشار إلى ذلك في أجزاء الرحلة اللاحقة. وهذا يدل على أن الصياغة كانت تتم يوماً بيوم.

خصص نعمان قساطلي الجزء الأول، والذي يحتل الدفتر الأول من سياحته، للحديث عن جبل الخليل ومنطقة بئر السبع، وأتى تحت عنوان (قسم أول من السياحة في [فلسطين] وبعض [البلدان الشامية] آثار جبل الخليل مع ذكر بعض أوصافه الحالية) ويتكون من 143 صفحة مرقمة و4 صفحات مرقمة وحدها تتحدث عن مقاطعات الخليل. وفي كل صفحة حوالي 17 سطراً وفي كل سطر حوالي تسع كلمات.

ويتضمن هذا الجزء جولة ميدانية في قرى جبل الخليل ووصفاً للآثار فيها، وبعض عاداتها وأحوالها الاجتماعية، والأسر الإقطاعية فيها، مع وصف لمدينة الخليل نفسها. ويستدل من التواريخ المثبتة في متن النص أنه انتهى من كتابة هذا الدفتر في شهر آذار مارس عام 1875م. واللافت للنظر أن تتمة حديثه عن منطقة بيت جبرين التابعة لجبل الخليل تمت في الدفتر الثاني من دون أن يذكر متى بدأ الجزء الثاني من دفتره الثاني مكتفياً بعبارة (تابع الدفتر الأول من 1)، ولكنه يكتب عن نهاية هذا الجزء عند نهاية حديثه عن نابلس، (تم الجزء الثاني من الروضة النعمانية ويليه الثالث، وكان ختام تحرير هذا الجزء في مدينة نابلس في 11 حزيران غربي 1875م).

وقد تضمن هذا الدفتر تتمة الحديث عن بيت جبرين، ثم فصلاً عن بلاد غزة، ثم جولة ميدانية على بعض قرى قضاء الرملة الواقعة على طريق القدس، ثم عن قرى تابعة للقدس ثم عن القدس نفسها ثم عن بلاد نابلس.

ومن الواضح أن اختصار الحديث الميداني عن القدس كان بسبب استعجال الفريق للتوجه إلى نابلس ثم إلى الجليل، لأن مسح القدس كان قد انتهى منذ عام 1872م، وما المكوث في القدس الآن إلا للراحة ريثما تستعد البعثة للتوجه إلى الجليل. ومن أجل ذلك نجد نعمان قساطلي قد اختصر في الحديث الميداني عن القدس، وكان واضحاً أنه يسابق الزمن لاستكشاف ما يمكنه استكشافه ريثما تنطلق البعثة. ومن هنا يمكن فهم تشتت الصفحات حول القدس وعدم انتظامها تحت فصل واحد لأنه كان يجمعها بين الفينة والأخرى ومتى أتيحت له إمكانية ذلك.

واللافت للنظر أن الحديث عن نابلس اقتصر فقط على الجانب التاريخي المستقى

من (الكتاب المقدس)، ولم يتضمن أي حديث عن الآثار أو العادات الاجتماعية، كما أشار إلى ذلك في مقدمة هذا الفصل. والمؤكد أن هذه الصفحات فقدت من الجزء أو أنه لم يقم بتثبيتها على الدفتر لأن نابلس أيضاً كانت قد مسحت في المرحلة الأولى من عمل البعثة أي في عام 1872م، قبل التحاق كوندر نفسه بهذه البعثة. ومن الواضح أن القساطلي كان يريد أن يجمع المقاطع المتفرقة والمتناثرة حول القدس في دفتر مستقل ربما كان سيشكل جزءاً مستقلاً من أجزاء الرحلة. وفي ظننا أن هذه النتف المتفرقة جمعت بشكل اعتباطي مع الأجزاء الأخرى عند تجليده تجليداً فنياً في فترة لاحقة من قبل المكتبة العمومية الشهيرة في بيروت لصاحبها إبراهيم صادر، و التي لا نعرف كيف حصلت على هذه الدفاتر ولا كيف باعتها للمكتبة الظاهرية بدمشق.

وعليه فإننا نعتقد بأن هذه الفوضى في ترتيب صفحات المخطوط يتحمل مسؤوليتها من قام بتجليد دفاتر المسودات، إذ لا تفسير لوجود صفحات تابعة لكنيسة صندحنة التابعة لمنطقة بيت جبرين في جبل الخليل بعد حديث عام عن تاريخ مدينة القدس وحاضرها. ولا مسوغ لوجود فصل عن آثار القدس وتاريخها المفصل في نهاية الدفتر الثاني المعنون بـ(الجزء الثاني من سياحة فلسطين وبعض البلدان الشامية... أورشليم أو القدس الشريف). والذي يتكون من 113 صفحة مرقمة و10 صفحات غير مرقمة. ينتهي بالحديث عن نابلس كما سبق وأشرنا.

ومن هنا فإننا نخمن بأن الجزء الأول من هذه السياحة خصص لجبل الخليل وبلاد غزة، والجزء الثاني خصص للقدس ونابلس. في حين أن الجزء الثالث ربما خصص لمنطقة الجليل. والرابع ربما للبنان والخامس لدمشق. والذي تحول إلى كتاب مستقل بحد ذاته، كما سبق ونوهنا.

تتضمن الدفاتر رسومات توضيحية تنبئ عن موهبة في الرسم الهندسي، ومن المؤكد أن نعمان قساطلي كان يستعين بالمخططات والرسوم التي كان فريق المسح البريطاني يضعها للمواقع المستكشفة، وقد استخدم في رسوماته وتخطيطاته الأرقام والكلمات العربية والقلم الرصاص، وأشار في أكثر من موضع إلى أنه وضع الرسم بنفسه من دون الاعتماد على الفريق الانكليزي.

أما خط الدفتر فهو واضح إلى حد ما، ولكن الرطوبة ومياه الأمطار قد طالت بعض صفحاته مما جعلها صعبة القراءة. وثمة أخطاء إملائية قليلة وفي حدود المعقول، إضافة إلى عدم عناية بالأسلوب فأتت بعض صياغاته في بعض الأحيان ركيكة، وهذا

مفهوم طالما كان الدفتر هو مسودة العمل التي كانت تنتظر من القساطلي تنقيحاً وترتيباً وإعادة صياغة كما حدث مع الكتاب الخاص بدمشق. ومع ذلك يمتاز أسلوبه بالتكثيف والاختصار والابتعاد عن التكلف. ولكن لغته هي ابنة عصرها، ولديه عبارات عامية مثل: العوايد التي تعني العادات، واستحضار التي تعني إحضار، والوديان جمع وادي، وغير ذلك من المفردات التي أشرنا إليها في مكانها.

مصادر الرحلة :

تنوعت مصادر المعلومات في هذه الرحلة بين التجربة الشخصية والمقابلة مع المواطنين، والاعتماد على بعض المراجع التاريخية و(الكتاب المقدس).

ومن الواضح أن القساطلي كان صاحب وجهة نظر، ولم يكن يتلقى المعلومات عن فريق البعثة البريطانية، على الرغم من استفادته من بعض المعطيات العلمية، ولكنه اعتمد الأسلوب التقليدي لكاتبي الرحلات الغربيين، في فلسطين أي البدء بالحديث التاريخي المستقى من (الكتاب المقدس) وخصوصاً سفري التكوين ويشوع. نظراً لأنهما المصدر الأساس في الجغرافيا القديمة. وهذا ليس بمستغرب فحدود علوم ذلك العصر كانت هكذا، ولم يكن لدى القساطلي تلك التجربة في الحياة حتى يحاكم الأمور ويضعها في نصابها، فالاستشهاد بـ(الكتاب المقدس) بدا وكأنه آحد مستلزمات البحث العلمي بالنسبة له ليس أكثر.

أسلوبه :

من خلال مقارنتنا بين ما كتبه نعمان قساطلي وما كتبه الملازم أول كوندر نلحظ امتلاك القساطلي أسلوبه المميز واجتهاده الخاص. وخصوصاً عند حديثه عن النواحي الاجتماعية والعادات والتقاليد. ولذلك يتميز نصه بالأصالة والقوة لأنه أقدر من غيره على فهم المعاني الاجتماعية التي يتحدث عنها، فهو لم يخضع للنظرة الاستشراقية التي تحكم عمل الفريق الذي يعمل معه بل امتلك رؤيته الخاصة. غير أن تأثيرات الفريق البريطاني عليه تتضح عند حديثه عن عظمة الأجيال القديمة من سكان فلسطين وتخلف السكان الحاليين، وهي نظرة لم ينتبه القساطلي إلى أنها كانت تهدف في نهاية الأمر إلى استجلاب اليهود وإسكانهم في فلسطين. فحدود وعيه ووعي أبناء ذلك الزمن لم تصل إلى فهم هذه المعادلة. ولم يكن يدرك هو وغيره من مثقفي ذلك العصر، أن الهدف النهائي من

عمليات المسح والاستكشاف الحثيثة لفلسطين وضع خارطة سوف تكون أساساً لخارطة الكيان الصهيوني المستقبلي، الذي كان في ذلك الوقت مجرد فكرة في رؤوس أصحابها، ولكن تبين فيما بعد أن الحدود التي رسمها كوندر وكيتشنر لفلسطين مع لبنان وسوريا ومصر، هي نفسها تقريباً الحدود التي رسمت فور خروج العثمانيين من بلادنا، وخضوع بلاد الشام للانتدابين البريطاني والفرنسي.

أما أسلوبه في الكتابة والبحث والعمل فنظن أن القسم المخصص لجبل الخليل هو النموذج الأكمل له، نظراً لأنه يتضمن الحديث عن كل ما يتعلق بجبل الخليل، أما الأقسام الأخرى فنظن أنها فاقدة للكثير من صفحاتها وأقسامها ولا تعطي فكرة جيدة عن أسلوبه.

وهو في كل الحالات أسلوب جديد لا يشبهه أي أسلوب آخر في العربية، وكان على العرب انتظار عقود طويلة حتى يكتشفوا هذا النمط من الكتابة والبحث، مع تقدم المعارف وانتشار التعليم والدراسات الأكاديمية المتخصصة.

وعموماً يبدو نعمان القساطلي من خلال رحلته محباً لبلاد الشام أو سوريا الطبيعية، مؤمنا بأنها بلد واحد تجمعها تقاليد مشتركة وسمات عامة تميزها عن البلدان العربية الأخرى. ولم تكن فلسطين بالنسبة له سوى إقليم من أقاليم سوريا أو بلاد الشام التي ينتمي إليها بكل اعتزاز.

الباحثون السابقون :

أول من درس رحلة القساطلي الدكتور عبد الكريم رافق حيث قام بتلخيصها في دراسته عن فلسطين في العصر العثماني. وقد أولاها عناية خاصة وامتدحها أيما امتداح، واعتبرها وثيقة مهمة من عربي في زمن كثرت فيه الوثائق والرحلات الغربية.

كما استفاد من القسم الخاص بالقدس الدكتور كامل جميل العسلي في كتابه بيت المقدس في نصوص الرحالين العرب والمسلمين، غير أنه اعتبر أن الزمن تجاوز معطياتها، وعذره في رأيه هذا أن الأقسام المتعلقة بالقدس لم تكن مكتملة ومتفرقة وتشكل نويات لدراسات أكثر عمقاً وتركيزاً.

أما تحقيقنا لهذه الرحلة الاستكشافية فقد اعتمد على النص الذي حصلنا على صورة منه من مكتبة الأسد، قمنا بقراءتها بتأن شديد لكي نربط المعاني بعضها ببعض، ونقف على أسماء المواضع المذكورة في ثنايا الرحلة مستعينين بموسوعة بلادنا فلسطين

وبالموسوعة الفلسطينية وموسوعة المدن الفلسطينية وبعض المنشورات الورقية والالكترونية حول المدن والقرى الفلسطينية، حتى تمكنا من حصر معظم الأسماء الواردة في متن الرحلة وتقديم تعريف موجز لها .

كما قمنا بمقارنة ما كتبه الملازم أول كوندر مع ما كتبه القساطلي، ولاحظنا أصالة كتابة القساطلي على الرغم من التقاطعات في بعض المعلومات بين الرجلين، وهي تقاطعات لا يمكن تفاديها، وخصوصاً عند الحديث عن واقعة معينة مثل اللجوء من الأمطار إلى مضارب عرب الجهالين والشيخ أبو دهوك قبل العودة إلى مدينة الخليل.

وعلى الرغم من أن القساطلي يذكر أسماء القبطان كوندر، والقبطان كيتشنر، ومستر جرج، ومستر كورفيت، وكمبر جلتر. في متن رحلته ويشير إلى أنه ذهب للعمل معهم في بعض المواقع، إلا أننا لم نعثر على اسم القساطلي في أي مكان من كتاب كوندر، ولا نعرف سبب هذا التجاهل!

وقد أضفنا إلى هذا الكتاب ملحقاً بعنوان (ملخص تاريخ الزيادنة) نشره القساطلي في مجلة الجنان البيروتية، رأيناه أنه يضئ جانباً من تاريخ منطقة الجليل الفلسطيني، ويمكن أن يغطي ثغرة من ثغرات هذا الكتاب.

وفي الختام أتمنى أن أكون قد نجحت في تقديم هذه الوثيقة التاريخية المهمة عن فلسطين لقراء العربية على أحسن وجه ممكن، خدمة لفلسطين وقضيتها، وعلى الدرجة نفسها خدمة للعلم وقضيته.

تيسير خلف

في 20 كانون الثاني يناير 2009م

مقدمة

.. ولأجل أن يبقى ما شاهدناه من الآثار القديمة بهذه المدينة [مدينة القدس الشريف] وخلافها [من مدن وقرى فلسطين] مرسوماً دائماً في صفحات أفكارنا، نضع رسوم بعض المحلات التي تمكنا من أخذ رسمها مع ضعفنا بهذا الفن. وحيث أن دفترنا هذا مذكرة لنا لا نراعي به شروط الترتيب الآن، ولكن إن شاء الله إذا عدنا لأوطاننا سالمين سنرتبه ترتيباً حسناً، ونحفظه في مكتبتنا تذكاراً لسياحتنا الحالية، التي كان أول بدايتها يوم السبت في 26 أيلول غربي 1874م، حيث خرجت من مدينتي دمشق الشام قاصداً هذه البلاد عن طريق بيروت.

هذا، وبما أن القصد إفادتنا من ذلك، [سوف] نبدي آراءنا المتعلقة ببعض ما سنذكره بحسب ما تقودنا إليه تلك الآثار، التي بعضها مهم في الاعتقادات بحسب اعتبار بعض الطوائف.

ولابد من الاستناد أيضاً إلى النتائج الصادقة المأخوذة عن المؤرخين الشهيرين، إذ بوساطتها تستنير أفكارنا وتفوز بحكم صائب فيما تتعرض للحكم عليه، وبناءً على ذلك نرجو ممن، ربما يطلع على كتابنا أو دفترنا هذا، أن يعذرنا إذا قلنا أو قررنا حقيقة تخالف رأيه أو متعلقات اعتقاده، لأننا جعلنا [كتابنا] هذا ليس لأجل غرض أو تنديد، بل لتقرير الواقع تماماً مع الرأي المصيب المسنود[8] على الحقائق.

وما قصدنا به أن نناطح زيد أو نقاوم عمرو، بل جل غايتنا أن نتخذ لذاتنا واسطة[9] تحفظ حقائق ما نراه في أفكارنا، بحيث لا يقوى عليها النسيان، السلطان العام المستولي على كل بشر.

هذا، ولربما فقد منا هذا الكتاب، [ولذلك سوف] نحفظ لذاتنا حق منع إشهارة حيثما وجد.

---

(8) . الصواب: المستند.

(9) . الصواب: وساطة

ونطلب من الله أن يوفقنا إلى الختام كما قادنا إلى البداية، وأن يرجعنا بالسلامة لأوطاننا، ويمن علينا بمشاهدة أهلنا وأحبابنا بكل خير وسلام، لأنه السميع المجيب واليه في كل الأمور ننيب[10].

نعمان القساطلي

11حزيران 1875م

[10] . وردت هذه المقدمة في بداية القسم المخصص لآثار القدس الشريف من الدفتر الثاني الصفحتان 92-93، وقد رأيت أن بها توضيحات تخص هذه السياحة بالجملة لا ينبغي أن تبقى إلى آخرها، ولذلك وضعتها كمقدمة لهذا الكتاب، لأنه لا مقدمة له أصلاً.

تنبيه [1] :

إن الأقدام التي نستعملها، جميعها إنكليزية، وكل قدم يقسم لاثني عشر قسماً نسمي القسم منها قيراطاً، وكل ثمانية وعشرين قيراطاً ـ ذراعاً غريزياً، وكل ثلاث أقدام تساوي يرداً[11].

تنبيه [2] :

لقد استعملنا لأجل زيادة الفهم وللتملص من الالتباس: حروفاً هجائية نضعها في الأشكال في المحلات التي نريد أن نشرح، وقد قابلنا ذلك بنظيره في الشرح، فإذا وضعنا في الشكل الحرف ألف (آ) مثلاً فالكلام الذي يلي ذلك الحرف عينه في ذلك الشكل يختص بالمحل الموضوع فيه ذلك الحرف[12].

---

[11] . هذا التوضيح الذي ينبه له القساطلي يرد في الصفحة 105 من الدفتر الثاني، وقد اثبتناه هنا للفائدة

[12] . هذا التوضيح يرد في الصفحة 103 من الدفتر الثاني

بعض آثار جبل الخليل
مع ذكر بعض أوصافه الحالية

[الرامة، كويزيبا، قرية كوفين، بريكوت، عين الذروة، حلحول، خربة بيت صور، خربة بعارنة، خربة الصفا، الخليل، يطا، خربة أم العمد، خربة عزيز، تل زيف، خربة الكرمل، تل معين، خربة الطيرات، خربة سوسيَة، خربة المنطار، قرية السموع، قرية الظاهرية، بير السبع، خربة أم بطين، تل الملح، العودة إلى الظاهرية، قرية عناب]

الرامة[13]:

مدينة قديمة في أرض كنعان، في الجبل المدعو اليوم بجبل الخليل، وموقعها إلى الشمال من قرية الخليل، على بعد نصف ساعة.

وقد كانت[14] ذات شهرة في الزمان السالف[15]، وأما الآن فخربت تماماً ولم يبق من آثارها سوى بناء عظيم مربع الشكل، طوله نحو ثلاثماية قدم[16] وعرضه كذلك، وهو مبني من حجارة عظيمة طول أطولها تسعة أذرع وعرضه (<1)[17] ذراع ونصف الذراع

---

[13]. لا توجد قرية اليوم باسم قرية الرامة أو رامة، وانما هناك موقع اثري يسمى رامة الخليل، أو بئر حرم الرامة شمال الخليل على مسافة 2.5 كم ويرجح علماء الأثار ان هذا الموقع هو نفسه موقع قرية تريبنتيس الكنعانية

[14]. حذفنا جملة زائدة هي (في الزمان القديم)، لأنها مكررة في الجملة التالية

[15]. يشير القساطلي إلى الاعتقاد الديني بأن الملائكة الثلاثة بشرت سارة بمولودها اسحق، كما يذكر العهد القديم من الكتاب المقدس، سفر التكوين الإصحاح الثامن عشر، بالإضافة إلى ان إسماعيل قضى فيها جزءا من طفولته وحياته مع امه هاجر.

[16]. القدم يساوي 30.48 سم

[17]. (<) هذه الإشارة التي توضع عادة إلى جانب الأرقام، نجدها في المكاتبات الرسمية وغير الرسمية في سوريا، والتي تعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتعني نصف

وارتفاعه نحو <1 ذراع ونصف الذراع، ومعظم ارتفاع أرفعها 2 ذراع [ذراعان]. وهذا البناء العظيم لم تبق منه تقلبات الزمان غير رسومه، فإنه مع عظمته لم يكن ارتفاعه الآن أكثر من عشرين قدماً، ومما لاشك فيه لعظمته، كان في الزمان القديم ينوف ارتفاعه عن المائتين قدماً، والمظنون بأن هذا المحل كان مسرحاً[18] أو محلاً لاجتماعات عمومية، إن دينية وإن خلافها[19].

(...)[20]

وكل من نظر إلى حال هذه الآثار العظيمة يتعجب من عظمة الأولين، ويتذكر إقدامهم[21]، الذي تشهد به بقايا أعمالهم العجيبة، ويرثي لحالة أبناء عصرنا سكان تلك الأماكن، ويندب حالتهم التعيسة التي هم بها، كونهم على مركيات[22] الكسل.

والى الجنوب من القدس على بعد خمس أو أربع ساعات؛ يوجد وادي العروب[23] في سفح قرية بيت فجار[24].

[و] في وادي العروب توجد بركة كبيرة يخرج منها ماءٌ، ويسيل في ذلك الوادي، وقيل إن هذا الماء كان يجري في قناة إلى برك سليمان[25]، ولم تزل آثار تلك القناة موجودة إلى

---

(18). في الأصل مرسحاً، وهي الصيغة العامية التي كانت سائدة في ذلك الزمن.

(19). يبدو ان حديث القساطلي يخص الكنيسة التي بناها الإمبراطور قسطنطين الكبير في القرن الرابع سنة 325م حيث لا يزال القليل من آثارها ماثل للعيان حتى اليوم، منها حائطان طول إحداهما 64 م في الجهة الجنوبية والآخر في الجهة الغربية ويبلغ طوله 50 م، ويتراوح علوهما ثلاثة امتار.

(20). حذفنا هذا المقطع من النص لأنه غير ذي معنى، ولأنه يتكرر بمعنى افضل في المقطع الذي يليه. وهانحن اولاء نثبته حرفياً في هذا الهامش (وبالحقيقة، إن منظر هذا الشيخ المتكئ على عصا الخراب، في قفار لم تفعل بها ايدي الأعمال ما يجعلها تأتي بخصب كالخصب الذي أوجب عناء الأولين، حتى انشؤوا هذا الشيخ العظيم، من صادق من الإكرام والاحترام في زمانه ما ربما يفوق اعتبار المحلات العظيمة الحديثة في زماننا هذا)

(21). الأصوب: تقدمهم

(22). المركيات هي دلال القهوة، والمقرونة عادة مع البطالة والكسل.

(23). من الواضح ان هذا الوادي سمي على اسم قرية العروب وهي الآن قرية صغيرة شرق بيت أمر، على بعد نحو 14 كم من الخليل و22 كم من القدس، ترتفع 960 متراً عن سطح البحر.

(24). تقع قرية بيت فجار إلى الجنوب الشرقي من بيت لحم وتبعد عنها حوالي 17 كلم تتبع إدارياً لمحافظة بيت لحم، يصل إليها طريق محلي يربطها بالطريق الرئيسي بيت لحم - الخليل

(25). تقع برك سليمان على مسافة ثلاثة كيلومترات إلى الجنوب من مدينة بيت لحم قرب قرية إرطاس، والبرك تمثل اقرب مصدر للمياه الدائمة إلى القدس على ارتفاع أعلى من المدينة، وبالتالي فقد كانت في مرحلة ما احد اقدم مصادر المياه وأكثرها ثقة البرك عبارة عن ثلاث خزانات مكشوفة بسعة إجمالية 11600 متر مكعب من الماء، وقد حفرت جزئياً بالصخر وبني الجزء الآخر منها، وهذه الخزانات الضخمة تجمع مياه الينابيع والأمطار، والتي كانت تضخ بدورها إلى بيت لحم او حتى القدس من دون اي الات وباستخدام قوة الجاذبية وقد بقيت البرك تزود المنطقة بالمياه

الآن. وقيل أيضاً إن الماء كان يجري في تلك القناة إلى دير للراهبات العازريات، كان قرب بيت لحم[26].

وأما هذه البركة فمربعة الشكل، ويبلغ طولها 120 قدماً وكذلك عرضها، وبجانبها الشرقي يوجد بناءٌ قديمٌ، دلائل العظمة باقية على آثاره، ولم يزل عامراً منه شيء قليل إلى الآن، يخبر عن أهمية الأولين: وشدة اعتنائهم فيما يفيد بلادهم. فسبحان من أقام العباد بما أراد.

ثم يوجد في ذلك الوادي إلى جهة الشرق بئر ماؤه نبع، وقيل إنه يسمع منه صوت خرير ماء. وقد اتفق أهالي تلك البلاد على رفع الموانع من أمام الماء وإخراجه، فلم يتمكنوا من ذلك، فهذه رواية. أما أنا فلا أقدر أن أثبت صحتها؛ لأنني مررت على ذلك البئر ولم أسمع صوتاً للماء، سوى أنني رأيت ماءً في أسفل البئر، أما ماء البركة، وماء آخر ينبع من جانب بئر الكسبي[27] الذي في ضمن الوادي، فيصب في ذلك الوادي بغير فائدة، وما ذلك إلاّ من نتائج كسل الأهلين سكان تلك الأماكن، وجهلهم في حقيقة أرضهم الجيدة التربة التي تفيض لبناً وعسلاً[28].

كويزيبا :

في الوادي الشرقي، الذي هو إلى الجنوب الغربي من القدس، والذي يمتد غرباً من قرية ححلول إلى وادي كويزيبا[29]، في الجهة الشمالية من الطريق على بعد عشرين دقيقة من ححلول، يوجد مغارة عظيمة منقورة بالحجارة.. الآن يبيت فيها نحو ثلاثمائة رأس غنم بكل راحة.

ثم على بعد قليل منها في جنوبي الطريق توجد مغارة أخرى أصغر منها، منقورة

حتى العام 1946.

(26) . من المرجح ان هذه الدير تحول إلى رهبنة أخرى لأنه لا يوجد حالياً دير للراهبات العازاريات بل هناك دير للراهبات الكرمليات، وعبارة القساطلي تشير إلى ان الدير المقصود لم يكن موجوداً في زمنه

(27) . ثمة اليوم موقع يسمى خربة كسبر، إلى الغرب من حلحول، فيه عين ماء تحتوي على مبان معقودة، واساسات، وصهاريج، وبركة منقورة في الصخر.

(28) . القساطلي يكرر هنا المعزوفة التي داب مستكشفو القرن التاسع عشر على ترددها، دون ان يدرك حقيقة ابعادها، وسوف نصادف مثل هذه العبارات في معظم هذه الرحلة، لذا سنعرض عن التعليق عليها، لأننا علقنا على ذلك في المقدمة

(29) . كويزيبا او كوزيبا قرية صغيرة قرب بلدة سعير في محافظة الخليل، وهي من القرى التي عمرها أهالي سعير منذ فترة حديثة نسبياً، يوجد فيها نبع ماء يسمى عين كوزيبا بها اماكن اثرية من مغائر وقنوات مائية

بالصخر، يبيت فيها نحو مائة رأس غنم بكل راحة، وليس بها أثر مقابر. وغالباً أنهما كانتا لأجل عبادة أحد الآلهة الوثنيين. أما ذلك الوادي والأودية التي حوله فمخصبة وتربتها حسنة، ومما لاشك فيه إذا صار الاعتناء بهما تصير تربتهما كتربة الشام. والآن حيث يوجد راحة في هذه المحلات، صار اجتهاد قليل عند الفلاحين، فغرسوا كرماً من نحو سنتين أوثلاثة، وطيبوا بعض الأراضي، بحيث صارت جيدة للزراعة.

وكل ذلك من مآثر ثريا باشا[31] الذي يهاب[32] سكان تلك البلاد اسمه إلى الآن، فإنه بواسطة جده واجتهاده في تأديب سكان هذه البلاد العصاة ذوي العداوة، وردعهم عن شرورهم تمكن من أن يخرج لهم من نفس شرهم خيراً، ولابد، بعد أن يذوقوا لذة أتعابهم، من أن يتذكروا أياديه البيضاء التي كانوا يبغضونها ويحسبونها ويلاً لهم..

قرية كوفين[33]:

والآن خراب، وهي إلى الجنوب الشرقي من القدس تبعد نحو ثلاث ساعات ونصف عنه، على الطريق السالك بين القدس والخليل، وهي خربة قديمة كبيرة وفيها كثير من الآثار القديمة، وأكثر آثارها من النواويس، وبها آثار محلات مبنية بحجارة عظيمة كبيرة ولم يزل إلى الآن شكل كثير منها ظاهر.

والمرجح بأن هذه الخربة من بناء الرومانيين، و بها معصرة خربت جدرانها، وأما محلات الشغل التي بها فجميعها منقورة بالصخر، وعلى آثار تلك الخربة الآن يوجد

---

[31] . ثريا باشا بن مصطفى عثمان باشا الجمركي من عائلة ملك زادة ولد في اسطنبول سنة 1241 هـ 1826.1825م، وتدرج في المناصب الإدارية والسلك السياسي . اهتم بتوطيد الأمن في مختلف انحاء متصرفية القدس، ووطد الأمن في قضاء الخليل وبئر السبع، وأمر بنفي عثمان اللحام (بيت عطاب) ومحمد عطا الله النسيبين المتعاونين وغيرهما إلى قبرص، وقد اقصى سائر العائلة من بلاد العرقوب إلى الرملة مما كان له أحسن النتائج. كما قاد في عام 1859م حملة ضد عبد الرحمن بن عيسى عمرو قائم مقام الخليل والزعيم الإقطاعي لهذه المنطقة، والذي اعتصم في قريته دورا معلناً العصيان على السلطنة العثمانية، فجرد ثريا باشا حملة ضده واعتقله وأرسله مخفوراً إلى الأستانة، ثم حسّن أحوال جهات غزة بإنشائه حصوناً صغيرة على طول الطرقات العامة لحفظ الأمن امتدت ولايته على متصرفية القدس نحو 4 سنوات: 1275ـ1279هـ، 1858ـ 1862م، وفي عام 1860م عمر قناة الماء المعروفة بقناة السبيل، التي تسقي القدس بواسطتها من برك سليمان (راجع بلادنا فلسطين للدباغ، الأقسام المتعلقة بالقدس والخليل، وخصوصاً ج 10/ق 2، في بيت المقدس ص 40 . 41).

[32] . في الأصل: التي تهاب

[33] . يوجد الآن موقع يدعى خربة كوفين، وتقع على الكيلومتر 25 من طريق القدس . الخليل وفي ظاهر بيت امر الشرقي وتحتوي كوفين على مبان مهدمة، ومسجد، وعقود، وأساسات، وصهاريج، ومعصرة، وخزان، ومدافن

غراس من الزيتون، وعددها نحو مائة وعشرين عرقاً، وبها برج بناه المسلمون[34]، والظاهر أن ذلك بعد الحروب الصليبية ولم يزل إلى الآن عامر أكثره.

وإلى جانب القرية نحو الطريق؛ بلوطة كبيرة وجدت تحتها وكر فيه ثوب حية غليظة، طوله نحو ثلاثة أذرع ونصف ونيف، وبالحقيقة، إن وجود حية عظيمة بهذا المقدار في هذه الآثار، يدل على وحشة تلك الأراضي ودمارها، والتي كانت في الأيام الغابرة تميس متخطرة بحلي المجد والعظمة.

وقبالة تلك الخربة على الجانب الثاني من الطريق، توجد خربة أخرى اسمها زعتا[35]، وهي منحوتة على رجم في حجارة كبيرة تدل بأنها كانت قلعة أو معبداً للأقدمين، ولا يوجد بها شيء أو شكل يدل على أن هذه البناية كانت خلاف ذلك.

والمرجح بأن هذا المحل بناه المسلمون[36] جامعاً أو حصناً، ويرجح كونه حصناً أكثر من خلافه، والآثار[37] الموجودة هناك إلى الآن تظهر كأنه كان حول ذلك البناء خندق عظيم، وهذا أعظم دليل يبرهن بأن هذا المحل كان حصناً أو قلعة. ومما يدلنا بأن هذا المحل من أشغال المسلمين، عدم انتظام شكل حجارته[38] وحسن بنائه وقدمه يدل بأنه بني منذ فتح العرب هذه البلاد، وربما بني هذا المحل على آثار قديمة لا يوجد لها أثر الآن.

وإلى الجنوب الشرقي من القدس على بعد قليل من كوفين لجهة القدس يوجد أثر لخربة قديمة جداً، وبجانبها بئر ماء يجمع فيه ماء المطر، وقد قال لي القبطان كندر بعد أن صعد ذلك المكان، بأنه يظن بأن هذا المكان ربما بني قبل أن تدخل اليهود هذه الأماكن بأكثر من ألف سنة، والسبب فقدان رسمه وتأثير الأمطار الغريب في حجارته الكبيرة الجالسة في تلك البراري القليلة السكان.

وإلى الغرب منه على بعد خمسة دقائق خربة ساوير[39] وهي قرية خربت حديثاً

---

[34]. في الأصل الإسلام، وهو تعبير عامي عن المسلمين، والمقصود هو العرب الفاتحون المسلمون

[35]. توجد في المكان المذكور خربة تدعى خربة بيت زعتا تحتوي على جدران متهدمة، وأساسات، وصهاريج، ومعصرة، وبئر، وموقد مستدير، وبالقرب منها خربة أخرى اسمها زيتا تحتوي جدراناً مهدمة، ومغارة، وصهاريج، ومدافن منقورة في الصخر.

[36]. في الأصل الإسلام

[37]. التي زائدة

[38]. هذه الرؤية حول العمارة الأسلامية كانت سائدة لدى المستكشفين الغربيين في القرن التاسع عشر.

[39]. تسمى الان خربة بيت صاوير، وتقع في ظاهر دير الشعار الشمالي، إلى الغرب من طريق بيت لحم - الخليل تحتوي على برج متهدم، واسس ابنية، صهاريج، ومغارة لها سلم

وربما من نحو مائة وخمسين سنة أو مائتي سنة، وليس فيها من الآثار القديمة شيء: سوى بعض بناياتٍ صغيرة الحجارة بنيت في العهود الاسلامية، وهذه الخربة مبنية على تلة هناك.

وإلى الغرب بانحراف إلى الشمال من خربة ساوير على بعد ربع ساعة، على تل مرتفع قرية اسكارى[40] وهي قرية قديمة تمتد من نصف الوادي إلى أعلى القمة، ويوجد هناك آثار بناية عظيمة قديمة، وفيها حجارة كبيرة، وفوق آثار تلك القرية القديمة: آثار قرية بناها سكان تلك الديار من العهود الاسلامية المتأخرة، لم يزل أكثرها عامراً إلى الآن، ويوجد هناك جامع مبني على آثار كنسية يوجد من عواميدها اثنان إلى الآن، وفي هذه الخربة آبار كثيرة منقورة بالحجارة.

وفوق الجامع الذي هناك بلوطة كبيرة وهي من الأشجار الكبيرة الموجودة في تلك البلاد..

بريكوت :

وإلى الشمال الشرقي في ساوير على بعد ثلث ساعة خربة بريكوت[41] على تلة مرتفعة، وهي خربة كبيرة، وفوقها بناية حديثة خربة، لم يزل إلى الآن كثير منها عامراً. ولم يبق من آثارها القديمة على كرور الأيام سوى بعض حجارة كبيرة نائمة في الطرقات، ونحت بقايا البيوت الخربة، وبعض عتبات بيوت بلغ طول أكبر ما شاهدت منها ثلاثة أذرع ونصف، والارتفاع ثلاثة أرباع الذراع، وفيها بئر كبير منقور بالصخر.

ومن أشهر بقاياها القديمة وأظهرها كنيسة كبيرة في طرفها الشرقي، وهي مبنية من حجارة كحجارة القلاع، وعلى كلٍ من طرفيها برج عظيم، وداخل سورها آثار محلات أو بيوت في صحن دارها، وجميعها مبنية من حجارة. فسبحان من يفعل بملكه ما يشاء، فإن عظمة هذه الخربة الكبيرة المذكورة في الكتب المقدسة (١)، بعد أن كانت تفتخر بانتظامها وقوتها، اللتان تشهد الآن بهما بقاياها، قد أضحت متكئة في مقبرة الخراب، وحولها أشجار البلوط وأحراش البلان والشوك. وما ذلك إلا من شر البشر، ولكن لله بذلك حكمة لن ندركها.

---

[40]. توجد الآن في محافظة الخليل خربة باسم خربة عراق السكارى للشرق من مدينة دورا، ترتفع 500 متر عن سطح البحر.

[41]. تسمى الآن ابريقوت وهي من المزارع التابعة لمدينة دورا في محافظة الخليل

وأما ساوير واسكارى وبريكوت وكوفين وزعتا. فالجميع لم أر فيها عيشاً، بل إنما رأيت فيها آباراً كثيرة منقورة بالحجارة لأجل جمع مياه المطر، والظاهر بأن الأقدمين كانوا يشربون من مياه المطر، أو ربما كان يوجد ينابيع مندملة تحت التراب.

عين الذروة :

وعلى الطريق بين القدس والخليل إلى الشمال من حلحول على بعد ساعة ونصف من الخليل ثلاث عيون ماء:

الأولى: وهي مرتفعة عن الطريق واسمها عين الحصا.

والثانية: عين الذروة العليا، وهي خارجة من صخر وفوقها آثار مقابر قديمة، وعدتها أربعة: اثنتان منها مدمولة تماماً، وليس باقٍ سوى رؤوس أبوابها التي تدل على وجودهما، والاثنتان الأخريان لم تزالا إلى الآن ظاهرتين، غير أن القبور النواويس بهما مدمولة تحت التراب.

والثالثة: اسمها عين الذَّروة[42] التحتا، وهي على الطريق تماماً، وهناك آثار كنيسة قديمة وهيكلها للآن آثاره ممتدة.

واسم هذا الأثر الآن قصر إخلايين[43] وبجانبه خان قديم خرب منذ نحو ثمانية وثلاثين سنة وكان على بابه وجدرانه كتابات باللغة السريانية والعربية على ما قيل وربما كانت هذه الكتابات بغير اللغتين المذكورتين.

وسبب خراب هذا الخان القديم والبناية التي حفظت ذاتها من الخراب مع كرور الأيام، هو أن أحد رهبان المسكوب [الروس] كان قد أتى لهذه الديار وطلب أن يشتري هذا المحل الباقي من حجر تلك الكنيسة، الجالسة هناك شاهداً على عظمة وامتداد الديانة المسيحية في هذه البلاد سابقاً، فأبى أهل حلحلول أن يبيعوه ذلك المحل، وحالاً بعد أن ارتحل من ذلك المكان آخذوا في خرابه[44]، ونقلوا حجارته كلها إلى حلحول لبناء بيوتهم، والذي حملهم على ذلك جهلهم بأنهم احتسبوا أنهم إن باعوا هذا الإنسان تلك القطعة،

---

[42]. هي التي تسمى اليوم عين الدورة، الواقعة على الكيلومتر 29 من طريق القدس ـ الخليل العام وفي جوار العين ترى بقايا كنيسة ومسجد متواضع وعين الدورة موقع أثري يعرف ايضاً باسم (قصر اسلايين) يحتوي على محجر قديم، ومدافن ومغارة منقورة في الصخر، واساسات من حجارة منحوتة، ومعالم طريق روماني وقناة منقورة في الصخر. اما العيون الأخرى المذكورة سابقاً فهي اقل اهمية منها.

[43]. يدعى الآن قصر اسلايين

[44]. جملة غير مفهومة (رغماً عن الأجسار) والمعنى يستقيم من دونها.

تأتي النصارى وتمتلك البلاد، فلهذه الغاية أخربوا هذه البقايا الثمينة التي قويت على تقلبات الزمان حتى هذا الزمان المتأخر. فَشُلَّتْ أيديهم على هذا الفعل الذميم.

ثم في سفح الجبل فوق الذروة التحتا، توجد قناة منقورة بالصخر، ولم يبق منها شيء ظاهر لحد الآن سوى نحو سبعة أذرع ومزراب ذلك النقر الذي كانت تصب منه المياه، غير انه لم يبق أثرٌ لحد الآن يدل على وجود حوض لتلك القناة، وفوق تلك القناة قناة أخرى منقورة بالحجارة وليس ظاهر منها لحد الآن سوى شيء قليل، وتحت القناة الأولى على الطريق نواويس بعضها ظاهر تماماً، وبعضها بعضه [ظاهر]، وبعضها مردوم تحت التراب، يدل على وجوده ظهور بعض رؤوسه.

حلحول :

أما حلحول فكانت مدينة قديمة مذكورة في الكتب المقدسة تخطر وكانت من نصيب سبط يهوذا [انظر يش 15:58][45]، وأما الآن فقرية جميع أهلها من المسلمين، وهم يبلغون نحو مائة بيت أو مائة وعشرين بيتاً، وهم يبلغون نحو خمسمائة نفس، وهم جهال لا يوجد بينهم من يقرأ سوى اثنين: الخطيب وولد آخر.

وعاداتهم[46] كعادات خلافهم من أبناء جيلهم كما سيذكر بعد، غير أنهم يكرمون الضيف الذي ينزل في منزول قريتهم لا خلافه، وهم حارتان، وفي أكثر الأحيان ينقسمون شطرين، وفي رأس القرية لجهة الشمال مقام النبي يونس، ويظن بأنه بني على أثر كنيسة على اسم يونان النبي[47]، وأمام بابه لجهة الشرق كانت نواويس كثيرة طمرها أهل القرية من نحو سنتين، وفي الجانب الشرقي من حلحول عقد قديم يسمونه عقد القين[48]، وعلى مسافة نحو مائة وخمسين ذراعاً منه لجهة الغرب آثار بناء قديم نرى بأنه كان ديراً.

وفي الجهة الجنوبية من حلحول وادٍ يسمى بوادي عين العاصي وهناك عين ماء صغيرة تسمى عين العاصي. وفي ذلك الوادي نواويس كثيرة.. وبعضها لسكان الأرض الذين قبلهم، وقد فتحت ناووساً كان مردوماً فوجدت به عظام بشر، وغالباً هي ليست من عظام الأقربين.

---

[45] . في النص يرد الرقم 16، 58، وهذا خطا لأن الإصحاح المقصود رقمه 15.

[46] . في الأصل عوائدهم

[47] . هو الاسم الكتابي للنبي يونس، كما يرد في الكتاب المقدس، العهد القديم

[48] . عقد القين هي الآن بئر ماء معقودة في أحد المنازل حيث يتناقل اهل حلحول قصة قديمة عن عائلة كانت تسكن في القرية اسمها عائلة القَين، ولم يبق من اسمهم إلاّ «عقد القين»

وإلى الشمال من حلحول وادي يسمى بوادي أيوب، وبه نبعة تسمى عين أيوب، وبه نواويس كثيرة وفيها ناووس كبير كان لسكان الأرض الكنعانيين[49] يسمى بمغارة خلة الذيب.

وإلى الغرب من حلحول أيضاً، في البساتين، محل ممتد نحو نصف ساعة، وبه نواويس كثيرة، والنتيجة أن وجود النواويس بكثرة في هذه القرية، يدل على عظمتها السابقة وغناها.

وفي القرية في بيت أبو حسين آثار كنيسة قديمة. قال إنه بينما كان يبني داره وجد مائدتها قائمة على أربعة عواميد ارتفاع كل منها ذراع ونصف وفوق الجميع سقف من الرخام من قطعة واحدة، وتحتها قبر، وهو قد عاد وردمها.

وفي داره مزود البقر[50] وكل الأرض مصفوفة بقطع صغيرة جداً من الحجارة الملونة، وعلى الداير بقرب الجدران، هذه الحجارة أصغر جداً مما في الوسط، وأكثر ألواناً، وهي على شكل ما يسميه أهالي دمشق فسيفسة. ومما لاشك فيه كانت هناك كنيسة مكلفة وجميلة.

خربة بيت صور

وإلى الشمال بانحراف إلى الغرب من قرية حلحول على شمال الطريق بين الخليل والقدس خربة بيت صور[51]، وهي المدينة المذكورة في (يش 15 عدد 58) وقد كانت في نصيب سبط يهوذا، وهي الآن خراب تماماً غير أنه يوجد أثر لسورها القديم من جهة الشمال والغرب منها. وعلى خرابها برج خرب بناه المسلمون يسمى برج الصور، وهذه المدينة على تل مرتفع كغيرها، وبها نواويس.

وإلى الشمال بانحراف إلى الشرق منها على تل مرتفع خربة الطبيقة[52] وليس شيء يدل على قدميتها سوى نواويس في الجانب الغربي من الوادي المحيط بها في جهة الغرب، وهي تبعد عن بيت سور [صور] عشرَ دقائق.

---

[49]. كلمة مشطوب عليها من قبل القساطلي

[50]. مزود البقر هو الحظيرة، والمعروف ان يسوع المسيح ولد في مزود البقر، وفي بعض الكنائس الكبيرة يقام مجسم لمزود البقر الذي ولد فيه يسوع

[51]. ذكر ياقوت الحموي هذه القرية باسم بيت صور: قرية بالبيت المقدس قرب الخليل على جانب الطريق وأما الآن فهي تدعى خربة برج السور وتحتوي على برج، وأنقاض، ومدافن منقورة في الصخر وبرجها هذا يعود بتاريخه إلى القرن الثاني عشر للميلاد.

[52]. خربة الطبيقة تقع في الشمال الغربي من حلحول بجانب «عين الدورة» المار ذكرها، وبين الكيلومترين 29 و30 على طريق القدس - الخليل وفي ظاهرها الشمالي الغربي، بلدة بيت صور الكنعانية

خربة بعارنة

وإلى الشمال الغربي من بيت صور، على بعد ثلث ساعة خربة بعارنه[53]، وهي ليست بقديمة، ولم يزل إلى الآن أكثر أبنيتها ظاهراً، ومن الممكن بأن خرابها ليس من عهد قديم، بل إنما من نحو عشرين أو ثلاثين سنة حينما كانت أحكام جبل الخليل بيد أهله.

وفي سفح مرتفع [وهو السفح] المبنية عليه هذه القرية الخربة وادٍ عميق، غير أن أرضه بغاية الجودة، وقد أخذ فلاحو القرى المجاورة منذ أربع سنين في غرسه كرماً [عنباً]، فآتى أكَلَهُ بوقتٍ قصير بهذا المقدار، حتى أنسي الفلاحون أتعابهم.

وللآن لم يزل غرس الكرم فيه باجتهاد، وربما بعد مدة من الأيام يصبح هذا الوادي باباً لمنافع عظيمة لأهل تلك البلاد، الذين حركتهم أيدي المروة لغرسه، والاجتهاد في سبيل إخراج ينابيع المنافع من تربته الحسنة.

خربة الصفا :

إلى الغرب بانحراف إلى الشمال من قرية بعارنه، على رأس تل عالٍ تجد خربة الصفا، وهي خربة قديمة قد درست كرور الأيام كل آثارها، ولم يبق شيء يدل على وجودها غير رجم الحجارة الجالسة على رأس تلك القمة أكواماً أكواماً، واسمها المحفوظ للآن عند سكان تلك البلاد.

وإلى الشمال منها وادٍ عميق يسمى بوادي الصفاء وفي انتصافه قد سقط بي الحصان، ولولا الانتباه لذلك قبل أن يسقط لهلكت لا محالة.

وإلى جهة الجنوب من الصفا في أسفل المحل المبنية عليه هذه الخربة، مغارة عظيمة منقورة بالحجارة طولها يبلغ نحو مائة ذراع، وعرضها ستة أذرع، وبابها ارتفاعه أربعة أقدام إنكليزية[54] وعرضه نحو قدمين ونصف، وهي ذات تعاريج لا تنوف عن الثلاثة وفي آخرها بئر، وبركةٌ عريضة عرضها كعرض البركة تقريباً.

والآن في تلك المغارة كثير من طائر الوطواط وكثير من الحرازين، وفيها كثير من الشوك والحسك، وقد ظننت بأنها كانت محلاً لعبادة بعض الآلهة الأقدمين. واسم هذه المغارة مغارة الصفا. فسبحان من أقام هذه الشواهد التاريخية دليلاً على مقدرة الأولين وعظمتهم.

---

[53] . تقع خربة البعارنة في ظاهر قرية بيت كاحل الواقعة في منتصف المسافة بين حلحول وترقوميا، من الجهة الشرقية، فيها صهاريج، وأسس، ومدافن، ومغارة وإلى الشمال معصرة

[54] . القدم الانكليزي يساوي 30.48 سم

الخليل :

أما الخليل فهي على بعد ست ساعات من القدس، وإلى الجنوب بانحراف قليل نحو الغرب 30 درجة 31 درجة، وطول 12 درجة 35 درجة، وهي مدينة قديمة جداً وبها دفن إبراهيم سارة امرأته في حقل اشتراه من عفرون الحثي بأربعمائة شاقل من الفضة، في مغارة داخل ذلك الحقل..

أما الآن فهذه المدينة مركز حكومة جبل الخليل منذ اثنتي عشرة سنة، حينما تغلب ثريا باشا والولاة الذين قبله على هذه البلاد، بعد أن كانت خاضعة لعائلة بيت عمرو، وبني اللحام، ومصلح العزة، ونمر العملة، الذين كانوا مستبدين بالأمر في هذه البلاد، وولاة أمورها.

وكانت الخليل مع ثلاث عشرة قرية خلافها خاضعة لأولاد عيسى عمرو الذين هم من قرية دورا، وكانت أكثر إقامتهم في الخليل، وسوف نستوفي الكلام فيما يأتي عن مدينة الخليل بالتفصيل حينما نشرع في ذكر كل من البلاد العامرة في جبل الخليل وعادات[55] أهلها، التي لم يُسمع عنها كثيراً قبل هذا الوقت، أعني قبل أن تصبح سطوة الدولة العثمانية آخذة مفعولها بها.

يطّا :

أما يطا فهي قرية قديمة في جبل الخليل إلى الجنوب [من الخليل] على بعد ساعة ونصف، وقد ذكرت في الكتب المقدسة وكان اسمها يوطة ..

وأما الآن فقد أصبحت قرية صغيرة محتوية على نحو خمسمائة نفس جهال للغاية ولا يوجد بينهم من يصلح للقراءة، ولا من يقرأ حرفاً واحداً، وهم لا يعتنون في أمر الزراعة والفلاحة، غير أنهم يجتهدون في تربية المواشي، وذلك لخصب المراعي التي حولهم، وعندهم بعض معرفة في غرس الزيتون والكرم، غير أن اجتهادهم في غرس الزيتون يفوق رغبتهم فيما سواه غير تربية المواشي.

وقد أخبرني مشايخهم بأنه يبلغ عدد المواشي من الماعز والغنم في هذه القرية نحو 10000 رأس، ويوجد بها بعض من الخيل والجمال والحمير، وأكثر الرجال على مدار أيام السنة بطالون، والنساء هي التي تشتغل في الفلاحة والزراعة وما شاكل ذلك، وقد سمعت

---

[55] - في الأصل: عوايد.

من البعض منهم بأنهم يحرثون على نسائهم إذ لم يكن عندهم بقر[56]، والنتيجة أن نساءهم عندهم في منزلة العبيد والبقر والحمير، وعاداتهم[57] مثل عادات أهالي جبل الخليل من الفلاحين التي سوف نذكرها بالتفصيل، غير أنه يوجد عندهم عادة حميدة، وهي إكرامهم الضيف الذي ينزل في منزول بلدتهم.

وهم يقسمون إلى حارتين، ولهم شيخان: الأول اسمه أبو صبحة ابن حماد الشعبي، والآخر عبد القادر خليل عوض، وهما مشايخ منذ زمان طويل، وعائلاتهم[58] هم المشايخ أيضاً قبلهم.

وهم منذ عشر سنين عصوا الدولة والتجؤوا إلى قرية غرب يطّا تسمى البرج[59]، وداموا مجاهرين العصيان[60] أربعة أشهر فجردت الدولة عليهم عساكرها، وصار بينهم هناك وقعة واحدة وقتل خمسة رجال منهم وجرح كثيرون، وفي آخر النهار رفعوا علامة الطاعة وسلموا إلى الدولة عند يد شيخهم الشيخ علي أبي حرب عم الشيخ أبو صبحة، والشيخ عبد القادر خليل عوض، ومنذ ذلك الوقت دخلوا في سلك الطاعة، ومازالوا يدفعون الأموال الأميرية بغير تردد، ومال قريتهم السنوي عشرة آلاف غرش خلا الأعداد على الأغنام والأعشار، وهم الآن يخافون الدولة كثيراً كخوف البشر من الموت، والغنم من الذئاب.

أما في هذه القرية فلا يوجد شيء من الأبنية القديمة. أو الآثار ما يدل على عظمتها السابقة، سوى مقابرها الكثيرة التي أضحت الآن بيوتاً يسكنها الفلاحون، وأكثر البيوت منها. وعمار هذه القرية رديء[61] سوى بيوت المشايخ فإنها مبنية من الحجارة. و[سبب] كثرة الآبار المنقورة بالحجارة لأنه لا يوجد بها ماء نبع مطلقاً. و[فيها] ثلاثة نواويس في جانب القرية الغربي، وقبر مكشوف.

---

[56] . لا شك في ان الذي اخبر القساطلي بذلك كان يمزح، ولكن القساطلي صدقه لأنه كان تحت تاثير المستكشفين الغربيين، ولكن هذا لا يعني ان المراة لم تكن تعمل اضعاف عمل الرجل، فهذه حقيقة، والسبب هو ان مجتمع يطا كان في مرحلة التحول الأولى من النمط البدوي الرعوي إلى النمط المستقر نسبياً، وفي هذا المجتمع يعتقد الرجل ان مهمته هي الحرب والقتال والدفاع فقط اما باقي أعمال البيت وغيره فتقع على المراة، وهي مفاهيم ماتزال موجودة حتى الآن في المجتمعات المتحولة حديثاً من البداوة والرعي إلى الزراعة والاستقرار.

[57] . عوايدهم

[58] . في الأصل: عيالهم، وهي كلمة عامية تعني عائلاتهم

[59] . ثمة اكثر من موقع في المنطقة يسمى البرج منها خربة البرج في محيط قرية نصيب في قضاء الخليل، ومنها برج في خربة الكرمل التابعة ليطا.

[60] . العصاوة

[61] . في الأصل دني

وأهل هذه القرية عند إقبال الربيع يتركونها ويذهبون جميعاً إلى البرية شرقا وجنوبا على بعد أربع ساعات منهم، ويسكنون في بيوت من شعر كالعرب [البدو] لأجل رعاية مواشيهم، ويستقيمون هناك إلى[62] أيام الحصاد، وحينذاك[63] يعودون لقريتهم. ومن عاداتهم في تلك الأيام، إذا كان بينهم من لا يملك شيئاً من المواشي فيعطيه الأغنياء منهم شيئاً من مواشيهم، بحيث يصبح عنده ما يقوم بقوته، وأحياناً تحدث شرور بينهم وبين العرب الذين يسكنون شمال بحيرة لوط وشرقيها فيكون الفوز لهم.

وإلى الغرب بانحراف نحو الشمال من هذه القرية على بعد خمسة دقائق تلة مرتفعة يسمونها قناة مُطرِّف وبها مغارة كبيرة صَنْعة الأيادي يسمونها المولى مطرف.

خربة أم العمد :

وإلى الغرب أيضاً من يطا على بعد ساعة خربة كبيرة يسمونها أم العمد[64]، وهي مبنية من حجارة كبيرة، وبها دير لم تزل إلى الآن آثاره ظاهرة، وبه كنيسة لم يزل لحد الآن واقف ثلاثة من أعمدتها، ومحراب هيكلها ظاهر لحد الآن.

وهذا الدير كان يخص الروم بحسب ما تدل الآثار الباقية، وكانت هذه الكنيسة ذات ثمانية أعمدة في كل جانب منها أربعة أعمدة؛ لم يزل خمسة منها واقفة[65] في الأرض لحد الآن، وكان سقفها من النوع المسمى عقداً، وطول هذه الكنيسة ست وأربعون قدماً إنكليزيةً ونصف، وعرضها ثلاث وأربعون قدماً إنكليزيةً، وأمامها رواق طوله سبع وأربعون قدماً، وعرضه إحدى عشرة قدماً، ولها بابان: الأول في الحائط الغربي من الرواق، والثاني في الحائط الجنوبي. وفي جانبها الجنوبي دار يبلغ طولها أربعون قدماً وعرضها خمس وثلاثون، وفي شرقها كان ثمة ثلاث حُجَر، وفي جانبها الجنوبي حُجَرٌ أيضاً، وأما دار الدير أو الكنيسة فعرضها كعرض الكنيسة، وطولها يبلغ ثلاثين قدماً، وفي جانبها الشمالي حجرتان صغيرتان، وفي الغربي أثر حُجَرٍ غير معلوم عددها، وفي الجنوبي أثر دار وبها حُجَرٌ وبئرٌ، وفي فسحة الدار أيضاً بئر منقور بالصخر، وفي الجهة الغربية أيضاً وراء

---

[62] . في الأصل لعند. وقوله يستقيمون هناك معناه يقيمون

[63] . في الأصل حينئذ.

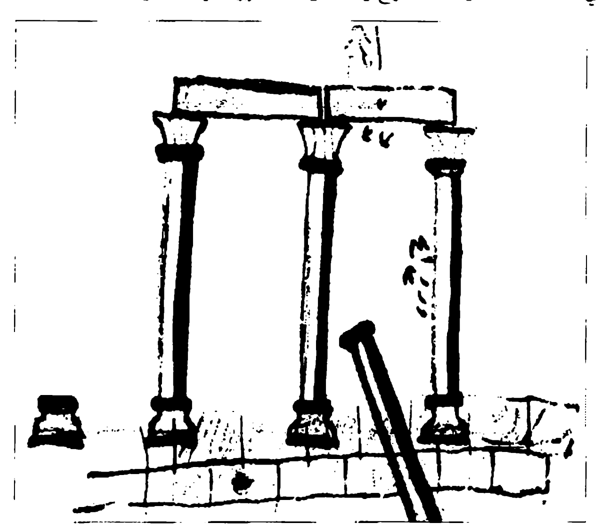
[64] . تقع خربة ام العمد على بعد حوالي اربعة كم غرب يطا، وحتى نهاية الأربعينات كانت الأعمدة ما تزال منتصبة في اماكنها وبعضها يحمل تيجانه ولكن الأهالي يعرفون ان الأعمدة سقطت فجاة وتكسر معظمها، واشيع يومها ان الباحثين عن الذهب هم الذين خربوها.

[65] . في الأصل منهم والقفين

الحُجَر التي في دار الكنيسة مغارة كبيرة مسقوفة بالحجارة، ينزل لها بدرج، وعند مدخلها السفلي حجرتين من الحجر. ويظن أن هذه المغارة كانت مقبرة للرهبان.

والنتيجة: كان هذا المحل ديراً كبيراً لطائفة الروم الأرثوذكس. ومما يدلنا على[66] أن هذا الدير كان على اسم القديس جاورجيوس، تجديد[67] مقام صغير في سفح ذلك التل المبنية فيه هذه المحلة الخربة على اسم الخضر.

ومما لاشك فيه أن هذا القديس يسميه المسلمون بالخضر، وهم لما عمروا مقامهم الصغير أخذوا اسمه من اسم هذا الدير، ومع تمادي الأيام نُسّي من بينهم اسم الدير المذكور، وسموا هذه الخربة بأم العمد لوجود ثلاثة عواميد بها، واقفة تماماً ومغطاة بحجرين كبيرين، أما العواميد فكل منها[68] قطعة واحدة وطول كل واحد منها ثلاثة أذرع، والغطاء الذي فوق العواميد الواقفة من قطعتي حجارة، طول كل واحدة منهما أربعة أذرع إلا ربع وقاعدته يبلغ ارتفاعها نحو ذراع وثلث، وقاعدته العليا التي تحت الغطاء ارتفاعها نحو ذراع وثلث، وقاعدته العليا التي تحت الغطاء ارتفاعها ذراع واحد. وهذه صور العواميد الواقفة لحد الآن.

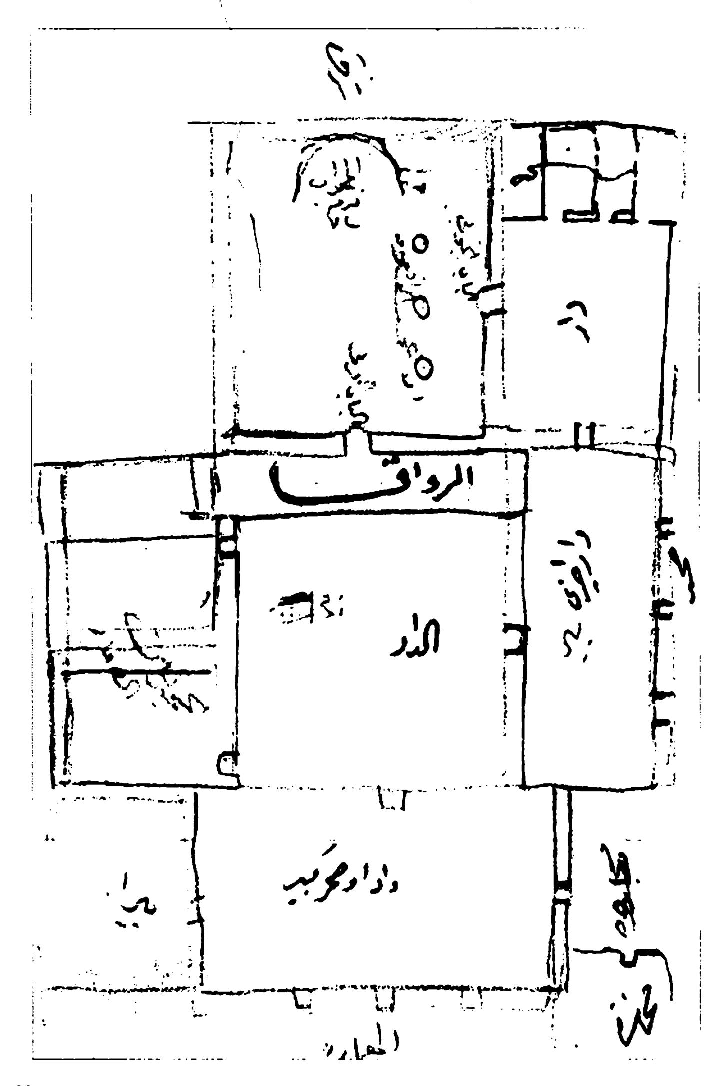


(66) . استبدلنا حرف الجر الباء بحرف الجر على لأنه الصحيح لغوياً.

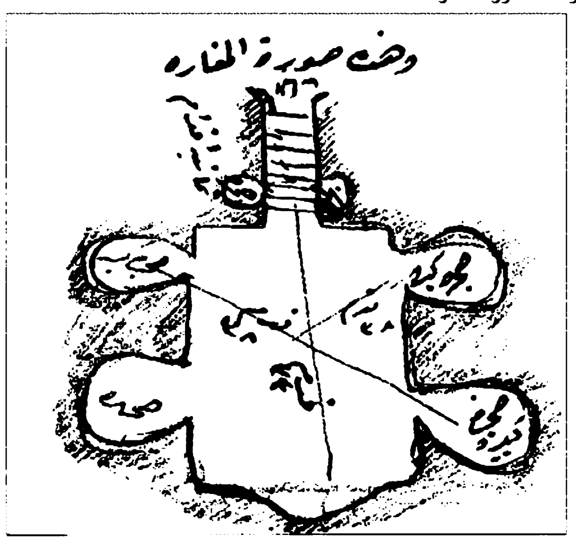
(67) . في الأصل: وجدد.

(68) . في الأصل: منهم

وهذه صورة دائرة الدير والكنيسة.



وهذه صورة المغارة.



يوجد في هذه الخربة، التي يرجح بأنها من بناء المسيحيين [بنوها] على بناية قديمة وآثار قديمة [دير]، وديرها مبني في انتصاف الجيل [القرن] الخامس؛ لأنه لا يخفى بأن أول من شرع في عمارة الديور وأسس الرهبنات انطونيوس[69]، وكان في أواخر الجيل الرابع وأوائل الجيل الخامس، ولاشك في أنه قد اقتضى مدة حتى انتشرت هذه الطريقة في سوريا، لأن انتشارها كان في بلاد مصر ومؤسسها نبغ في تلك البلاد، ومن الممكن أن هذه المحلة والدير الذي فيها مع كنيسته، قد خربا منذ استولى المسلمون[70] على هذه البلاد أو بعد ذلك بقليل. وأما هذه الخربة فعلى تلة مرتفعة، وكل بناء فيها من الحجارة الكبيرة، وطول بعض حجارتها يبلغ ثلاثة أذرع ونصف وعرضه ذراع ونصف.

وكانت هذه الخربة كبيرة لأن فيها آثار نواويس ومعاصر منقورةً في الحجارة،

---

(69) ـ القديس انطونيوس الكبير Saint Anthony the Great ويُعرف كذلك باسم Anthony the Abbot، انطونيوس المصري، انطونيوس الصحراوي، Anthony the Anchorite، انبا انطونيوس، وابو الرهبان، كان قديساً مسيحياً مصرياً والقائد البارز بين اباء الصحراء ويعد العالم القديس (الأنبا) انطونيوس هو "اب الأسرة الرهبانية" ومؤسس الحركة الرهبانية في العالم كله على الرغم من وجود حركات رهبانية سابقة له.

(70) ـ في الأصل استولت الاسلام.

ومغائر كبيرة، بعضها خرب تماماً، وبعضها لم يزل إلى الآن يؤوي بها أهالي قرية السموع مواشيهم في أيام الشتاء والربيع. وأكثر النواويس في الجهة الشمالية منها، ومن المرجح بأن خرابها كان بزلزلة لأنه في كل مغائرها الخربة حجارة كبيرة تدل على أنها كانت قصوراً فوقها، والله أعلم بذلك.

ثم إن هذه الخربة ممتدة لتل آخر شرقي ذلك التل، غير أن الآثار به ليست بعظيمة البناية، كالآثار [التي] في التل حيث الكنيسة والدير. ولا يوجد تاريخ في كل تلك الآثار يدل على الوقت الذي بنيت به هذه الكنيسة أو بعض محلاتها الخربة، مع أنني أنا والقبطان كندر بذلنا كل الجهد في هذا القبيل.

والأراضي حول هذه الخربة مخصبة للغاية حتى أنه في أيام الخريف الأعشاب هناك كأنها في أيام الربيع. وقد زرنا هذا المحل في يوم السبت الواقع في 24 تشرين الأول سنة 1874م، وكنا أولاً نظن بأن كنيسة هذه الخربة كانت هيكلاً للرومانيين، غير أنه لما وجدنا محراب الكنيسة، ووقوعه في الجهة الشرقية منها تأكدنا بأنه كان كنيسة هناك، وحينئذ أخذت الآثار تؤكد لنا أكثر فأكثر، حتى أوصلتنا لمعرفة حقيقية في ذلك المحل وتلك الخربة الشاهدة على عظمة الديانة المسيحية قبلاً، في هذا الجبل الذي لا يوجد فيه ولا مسيحي. فسبحان من بيده الأمور والأحكام في عباده وملكه. وهذه الخربة في رأس وادي ربود[71] الذي هو إلى الغرب من قرية يطا.

وأما مقام الخضر الذي في سفح خربة أم العمد، فهو صغير للغاية ومربع الشكل وطول كل خط من خطوط مربعه خمسة أذرع ونصف، وارتفاعه نحو أربعة أذرع ونصف، وهو مبني من حجارة صغيرة.

وعندما يصير وباء في ماعز وأغنام القرى المجاورة له، يأتي الرعاة بالأغنام إلى هذا المقام، وبعد ذلك يأخذون جدياً سميناً صحيحاً ويقدمونه ذبيحة هناك، ولا شك في أن هذه العادة غريبة في هذا الزمان.

خربة عزيز:

وإلى الجنوب من يطا على بعد نصف ساعة خربة عزيز[72] ويظن بأنها صيص

---

[71] . توجد الآن قرية اسمها رابود بالقرب من طريق الخليل - بئر السبع، للشمال من الضاهرية، ترتفع 686 متراً عن سطح البحر، ومن الواضح أن الوادي المذكور أخذ اسمه منها.

[72] . خربة العزيز أو كما تلفظ اعزيز في جنوبي يطة على طريق السموع تحتوي الخربة على أنقاض بلدة مع آثار بيوت، وشوارع، وبناء فيه أعمدة، وقطع معمارية ومعاصر.

المذكورة في الكتب المقدسة (أنظر أخبار الأيام 2، الأصحاح 20: 16) حيث مذكور هناك عقبة صيص، والذي يوجب هذا الظن ذكرها في العبرانية عقبة عزيز، وأما أنا فلا أوافق على ذلك، وأظن بأن هذه العقبة كانت بالقرب من تقوع التي هي إلى الجنوب من القدس على بعد نحو ثلاث ساعات، لأن الكتاب يقول في سفر الأيام الثاني، الإصحاح 20 عدد 2، أن أعداء يهوشافاط كانوا في حصون تامار التي هي عين جدي، وبعده يقول في العدد 20 بأنهم بكروا صباحاً وخرجوا إلى برية تقوع، وهي إلى الشرق منها، وبعده يقول في العدد 21 و22 ما ملخصه أنه [لما] ابتدأ المغنون من يهوذا بالغناء والتسبيح[73] جعل الرب أكمنة على بني عمون وموآب وجبل سعير فانكسروا. وفي 23 و24 ملخصهما أنه بعد أن فرغ الشعب المحارب منه أهلك بعضهم بعضاً بمساعدة الملاك. وجاء يهوذا إلى المرقب في البرية وتطلعوا نحو الجمهور، وإذا هم جثث ساقطة على الأرض ولم يفلت أحد. وفي كل ذلك لم يذكر بأن يهوذا ارتحلوا لمحل بعيد عن محل خروجهم، ولو كانوا ارتحلوا إلى أبعد من ذلك ليأتوا عزيز التي [هي] إلى الجنوب من يطا ويلاقوا الأعداء هناك، لكانت ذكرت بعض المحلات، كحلحول لأنها في طريقهم، أو حبرون، أو يطا، أو الكرمل[74]، أو معون[75]، أو خلافها. ولا بد وأن عقبة صيص كانت بين عين جدي وتقوع، والدلائل كثيرة، منها وجود جبل سعير بالقرب من تلك المحلات التي حاربه المؤابيون وبنو عمون [فيها] كما يذكر الكتاب [المقدس] في الإصحاح ذاته، ولنا في ذلك كلام سنذكره إن شاء الله بعد أن نقف على كل شيء عياناً عندما نزور عين جدي.

والآن نرجع للكلام[76] عن هذه الخربة التي نحن في صددها فنقول:

إنه في يوم الثلاثاء في 27 تشرين الأول سنة 1874م، زرت هذه الخربة مع جناب

---

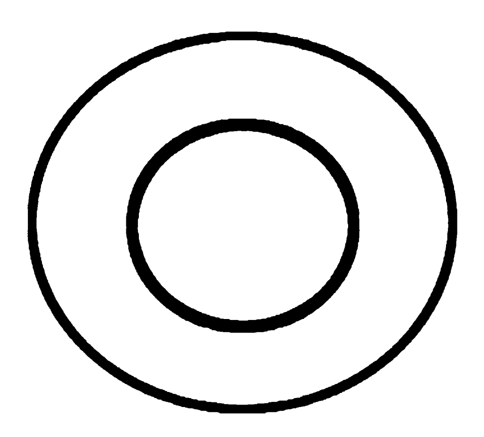
[73] . في النص بنشايدهم، ولكننا اثبتنا ما ورد في الكتاب المقدس اي بالغناء والتسبيح.

[74] . تقع خربة الكرمل على بعد 5 كم إلى الجنوب الشرقي من يطا، بناها الكنعانيون وهي بمعنى (مثمر) او (مشجر) ودعاها الرومان Chermela وذكر اسمها في معجم البلدان، ويوجد في هذا الموقع العديد من البقايا الأثرية، حيث نجد انقاض كنيستين بيزنطيتين، وحصن برج يعتقد انه صليبي، ونفقاً وقبوراً منقورةً في الصخر، ومغارة، وبقايا معمارية اخرى

[75] . تسمى الآن خربة معين وتقع إلى الشرق من السموع وعلى بعد 13 كم من الخليل وعلى نحو 3 كم من خربة الكرمل ترتفع 863 متراً عن سطح البحر. في خربة معين اساسات برج مربع، وانقاض مبان، وصهاريج، وبئر، ومعاصر، ومدافن منحوتة في الصخر، ومغارة، وشقف فخارية

[76] . في الأصل للتكلم

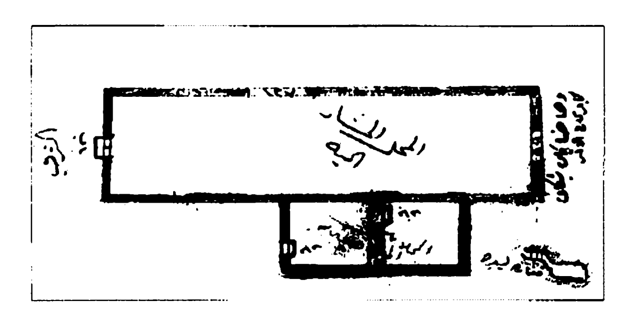
القبطان كندر وأخذنا نفتش فيها بكل تدقيق، وهي خربة قديمة مبنية على تل، وحولها شرقاً وغرباً وادٍ يسمى الجانب الشرقي منه بمرج عزيز الشرقي، والغربي بمرج عزيز الغربي. وفي الوادي الشرقي بئر ماءه نبع، ويسمى هذا البئر بئر عزيز، والخربة هذه ذات سور عظيم وله أبراج كثيرة: مبنية بحجارة كبيرة، وأكثرها ظهوراً في الجهة الغربية منه، ويحيط به سور آخر بعض آثاره ظاهرة حتى[77] الآن. وكل بنايات هذه الخربة من حجارة كبيرة، وفيها ما ينوف عن أربعين بئراً منقورة بالحجارة، وحولها آثار معاصر خمر كثيرة، وفي الجهة الجنوبية من هذه الخربة؛ وجدنا جرناً كبيراً من حجر أسود قطره ست أقدام إلا ثلث، وارتفاعه قدم واحد و 7/12 من القدم، وهو مقلوب على وجهه ومثقوب من نقطة المركز إلى الجهة الثانية هكذا:



وفي جانب هذه الخربة الجنوبي محل واحد طوله مائة وسبعٌ وعشرون قدماً، وعرضه تسعٌ وخمسون. وهو مبني بحجارة كبيرة وممتدة من الشرق إلى الغرب، وفي جانبه الشمالي ملاصق به بناء، ربما كان متعلقاً به طوله 22.8 قدم وعرضه 18.4 ويقسم إلى حجرتين، وربما كان هذا المحل مركزاً للحكومة، أو محلاً لعبادة الأقدمين، أو لشيء خلاف [ذلك]. ومع [كل] ما اجتهدناه في البحث عن حقيقته.لم نجد ما يدلنا على شيء [حاسم] لا يخطئ الفكر بتخمينه.

---

(77) . في الأصل لحد. وهي كلمة عامية محورة عن حتى



وفي الغرب من هذا: عمارة عظيمة أيضاً، غير أنه لا شيء يدل على هويتها، ماذا كانت؟ وتلتها مرتفعة وبها عواميد مكسرة ملقاة على رجم الحجارة والتراب. وقد قسنا[78] عاموداً مقسوماً إلى قطعتين، فبلغ طوله 10.5 قدم [عشر أقدام وخمسة قراريط]، وقطره 1.10. [عشر أقدام وعشرة قراريط] وفي هذه الخربة مغائر كثيرة كبيرة منقورة بالحجارة لم أر مثلها في غيرها، وقد نزلت مع القبطان إلى واحدة منها ذات مغائر، فإنه في بابها يوجد مغارة [أصلية] وبها مغارة أخرى [منفرقة].

أما المغارة المنفرقة فبابها عرضه ستة أقدام، وطول درجها تسع عشرة قدماً، والحجارة التي في درجها طولها 19.10 قدم [تسع عشرة قدماً وعشرة قراريط]، وعرضها 19 قدم [تسع عشرة قدماً]، وبحائطها الشرقي حجرة كبيرة ذات حجر صغيرة على طول الإنسان، لأن هذه المغارة كانت مقبرة طولها 24.4 قدم [أربع وعشرون قدماً وأربعة قراريط] وعرضها 21.9 قدم [إحدى وعشرون قدماً وتسعة قراريط].

وأما الأصلية فطولها 39 قدم [تسع وثلاثون قدماً] وعرضها 19.6 قدم [تسع عشرة قدماً وستة قراريط]، وبها أخرى طولها 19.2 قدم [تسع عشرة قدماً وقيراطان] عرضها 16 قدماً [ست عشرة قدماً]، وهي جميعها منقورة بالحجارة.

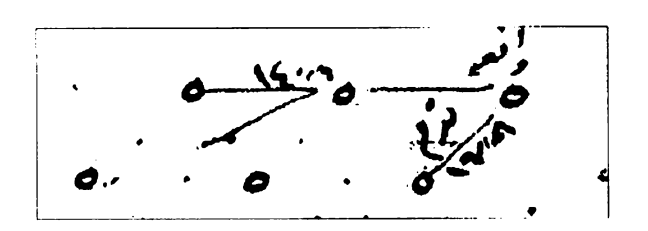
وفي هذه الخربة نحو عشرين مغارة ظاهرة من هذا النوع أو أكثر، وفيها أيضاً مغائر كثيرة خربة، وربما أخربتها الزلازل، وفوقها كانت بنايات كثيرة قد أصبحت داخلها.

وفي جانب هذه الخربة الشمالي لجهة الشرق (شرقي المدينة) خمسة أعمدة

---

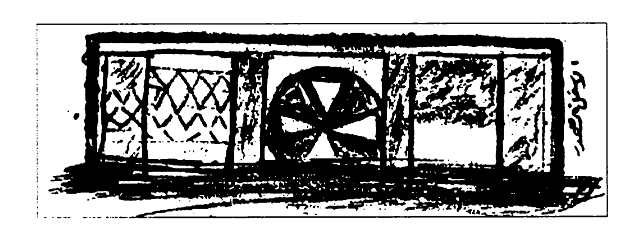
[78]. في الأصل كلنا، وهو استخدام يخص الأوزان وليس الأطوال.

مكسرة ملاصقة بعضها ببعضها، وأمامها خمسة عواميد واقفة حتى الآن، وخلافها مكسرة وملقاة فوق رجم التراب والحجارة، وهي على ترتب غريب، فإنها كانت مركونة على شكل مثلث كما ترى في هيئة رسمها في أدناه فإنها صفان هكذا:

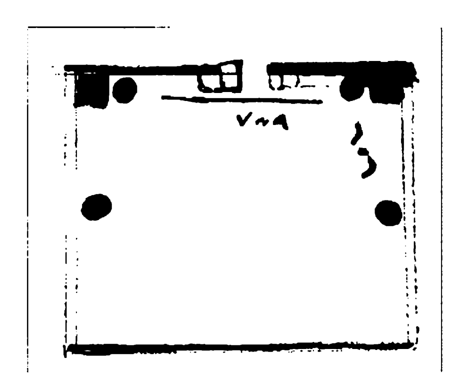


فإنه بين الصف والآخر نحو اثنتي عشرة قدماً، وبين العامود الواحد في الجهة الواحدة إلى الجهة [الأخرى] 17.9 [سبعة عشر قدماً وتسعة قراريط] وبين الواحد والآخر على صف واحد 4.6 قدم [أربع أقدام وستة قراريط].

وفي الغرب منها بئر ماء عليه خرزة وجرن من حجر واحد، وقبلاً كنا نظن، بعد أن دققنا كثيراً فيها بأن المسيحيين ليس لهم أثر في هذه الخربة، غير أننا وجدنا في جانب الخربة الشرقي عواميد مصفوفة من الغرب إلى الشرق، وفي بداية هذه العواميد من جهة الغرب وجدنا عامودين ببابين وبينهما عتبة كبيرة طولها سبعة أقدام وعليها نقوش، وفي الوسط صليب من أشغال الروم، فعرفنا بأن هذا المحل كان يوماً ما كنيسة من هذا الصليب وتركيب العواميد.



وفي القريب منها إلى الشرق بناء صغير مربع الشكل وبه أربعة عواميد مقصوفات، ولابد [أن] هذا المحل كان محلاً للعبادة خاصة للمسيحيين وهذا شكله:



وأكثر محلات هذه الخربة مفسرة حتى الآن وجميعها مبنية من حجارة كبيرة وطرقاتها مستوية يبلغ عرضها 18 قدم [ثماني عشرة قدماً] أو عشرين، وجميع البيوت تدل على أنها كانت عقوداً.

ويبلغ محيط هذه الخربة نحو ميل ونصف أو أكثر. ولو قصدت التكلم عن كل شيء فيها بالتفصيل لملأت كراساً كبيراً ولأجل حب الاختصار اقتصرت على ذكر ما قل ودل.

ثم وجدنا في الجهة الغربية من هذه الخربة ناووساً، وترتيب بنائها [على] الأكثر روماني.

تل زيف :

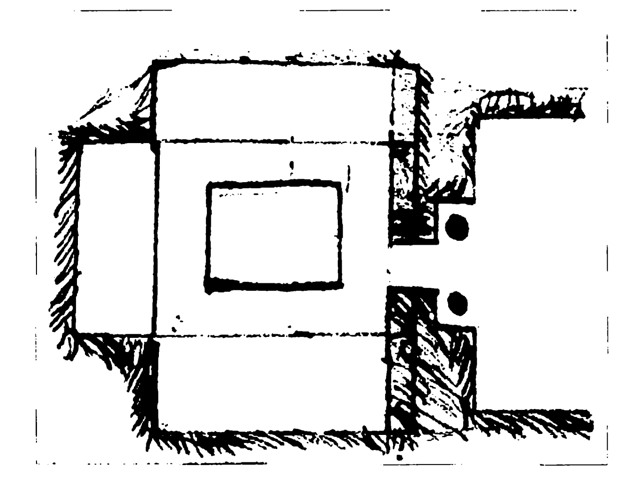
وإلى الجنوب بانحراف إلى الشرق من الخليل على بعد ساعة ونصف تل زيف وعليه أثر خربة[79] دارسة تماماً والذي يدل على وجودها هناك رقيم تراب وبعض رقيم حجارة. وقد كانت زيف مدينة في أيام يشوع حينما دخل بنو إسرائيل أرض الميعاد.

وزيف من مدن الجبل وكانت تخص سبط يهوذا (انظر يشوع 15: 55) وقد ذكرت أيضاً في (صم 23: 15 و19) وهناك في سفح ذلك التل واد يسمى بوادي الزيف وبه ناووسان.

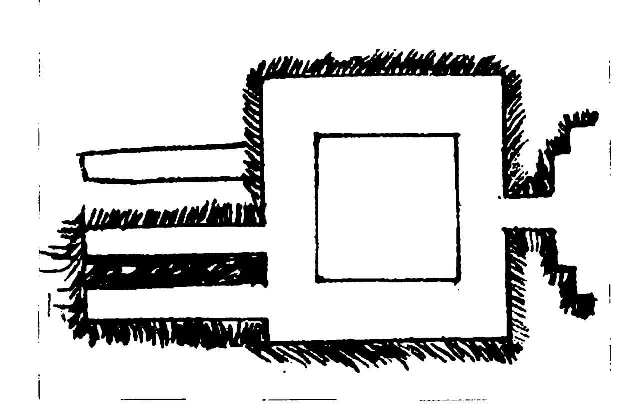
---

(79) . خربة زيف من الخرائب التي تتبع بلدة بني نعيم شرقي الخليل، وترتفع 800 متر عن سطح البحر. تلها الواقع في غربها يعلو 880 متراً عن سطح البحر. فيها أنقاض ممتدة، وجدران مهدمة، وأساسات، وصهريج، ومغائر، وبناء معقود. وتل زيف يحتوي على تل اثري مكون من الأنقاض والأساسات وحجارة بناء مبعثرة، والمدافن المنقورة في الصخر.

الأول مربع وفيه ثلاث يوكات مربعة وفي بابه عامودان واقفان وهذه صورته:



والآخر مربع وفي قرنته قبران أو ثلاثة وهذه صورته :



فهذه هي الآثار التي حفظتها تقلبات الزمان حتى الآن حتى تكون شاهداً على وجود هذه المدينة القديمة المشهورة في الكتب المقدسة.

وهناك في ذلك الوادي عين ماء (نبع) تردها الأغنام التي ترعى في تلك الجوانب، والأرض هناك مخصبة جداً. وهناك شمال تل زيف سهل واسع بالنسبة إلى سهول هذا الجبل[80]، وهو الآن يخص أهالي الخليل.

خربة الكرمل:

وإلى الجنوب من تل زيف بانحراف قليل إلى الغرب، على بعد ساعة ونصف خربة الكرمل، وهي ذات شهرة عظيمة في التواريخ، ومذكورة في الكتب المقدسة.. وقد كانت أميرية في أيام الملكة هيلانة الشهيرة حينما أتت لهذه البلاد في الجيل [القرن] الرابع، ودامت هكذا مدة، ثم بعد حروب الصليبية استولت عليها الفرنساوية وصارت عاصمة مملكة بزمانهم إلى سنة 1172م، حيث حاصرها وفتحها الملك صلاح الدين الأيوبي. وأخرب جانباً من برجها الذي سوف يأتي ذكره، وكان وقتئذ اسم ملكها (أملريك)[81] وهو فرنساوي، قد أخرب صلاح الدين الأيوبي جانباً من المدينة. أما هذه الخربة فهي كبيرة جداً وذات آثار تدل على عظمتها السابقة، وهي مبنية على ثلاثة تلال وممتدة إلى الأودية حولها. وأكثر بيوتها كانت مبنية بحجارة كبيرة ولم يزل إلى الآن كثير من بيوتها ظاهر، وخصوصاً في الجهة الجنوبية، وفيها بركة كبيرة يبلغ طولها نحو مائة قدم، وكذلك عرضها، وهي في واد بين التل الشمالي والجنوبي.

وفي الجانب الجنوبي من المدينة برج خرب أكثره، وهو المذكور آنفاً، وقد بني هذا البرج في زمان امتلاك المسيحيين، أما طوله فهو 63 قدماً، وعرضه 48 قدماً، وارتفاع العامر منه، من جهة الغرب 22 قدماً وأربعة قراريط، وبه باب للطبقة العليا عرضه ثلاث أقدام، لأن البناء ينقسم إلى طبقتين عليا وسفلى، وسمك الحائط سبعة أقدام.

وطول المحل من داخله 50 قدماً وقيراطاً واحداً، وعرضه 24 قدماً وقيراطان، وبه بئر كان يسحب الماء منه بقناة إلى بركة قبالة هذا البرج من جهة الشمال قطرها 20 قدماً وثمانية قراريط، ووراءه متراس عرضه 3 أقدام وتسعة قراريط، ومن الطبقة الثانية يصعد

---

[80] - في الأصل: السهول التي في هذا الجبل

[81] - هو اماليريك الأول او اموري أو عموري في المصادر العربية، كان ملكاً على بيت المقدس عندما فتحها صلاح الدين وتوفي بعد فتح القدس بعامين عام 1174م

لأعلى الصور [السور] بدرج طوله 14 قدماً وعرضه قدمان وسبعة قراريط وله ست عشرة درجة.

وفي الطبقة الثانية درج وباب إلى الطبقة السفلى عرضه ثلاث أقدام، وفي الطبقة الثانية غرف في الحائط الشرقي، اثنتان منها عرض كل منهما ست أقدام، والمسافة بين الأولى والثانية ست أقدام، والمسافة من الحائط إلى بداية الغرفة خمس عشرة قدماً، وهذا من داخل، وتأخذ بالصغر شيئاً بعد شيء بحيث يصبح عرضها عند حائط السور الخارجي ثلاث أقدام.

وفي الحائط الشمالي غرفة واحدة في زاويته الشرقية ملاحقة باب الدرج العلوي الذي يصعد به لأعلى البرج، وفي الغربي غرفة واحدة في انتصاف الحائط.

وأما في الجنوبي فليس شيء، لأن آكثره خراب، وكذلك جانب من الحائط الغربي. وحول هذا البرج من الجهة الغربية والشمالية والجنوبية حائط منخ[82]، أما من جهة الجنوب فليس بظاهر غير أثر فيه. والباقي تحت أردام التراب والحجارة الساقطة من حائط السور.

وأما من الجهة الغربية فالمسافة بين رأس هذا الحائط الآن وحائط السور 33 قدماً، ويوجد هناك بقرب الحائط البراني لجهة الشمال آثار بئر متينة خرزته بالحجارة.

وفي هذه المسافة آثار بناية محلات، غير أنه لا يعرف ماذا كانت؟.. وفي الحائط الشمالي ممشى عرضه ثلاث أقدام ونصف، وطوله من حائط السور إلى طرف الدرج 26 قدماً، وعرض الدرج 3 أقدام وقيراطان، وطول الدرج 24 قدماً و4 قراريط. والمسافة بين الدرج والبركة المذكورة آنفاً 4 أقدام.

وأمام هذا البرج من جهة الشرق كان يوجد قاعة طويلة طولها تسع وتسعون قدماً.

وقد كانت ذات عواميد كثيرة على الجانبين [و]في الوسط، وهذه العواميد آغلظ [من] كل العواميد التي شاهدناها في هذا الجبل، فإن قطرها قدمان وثلاثة قراريط، وهي أطول من غيرها، ومن الممكن بأن هذا المحل كان قاعة ملكية[83] ومحلاً للحكام أو قصراً للملك.

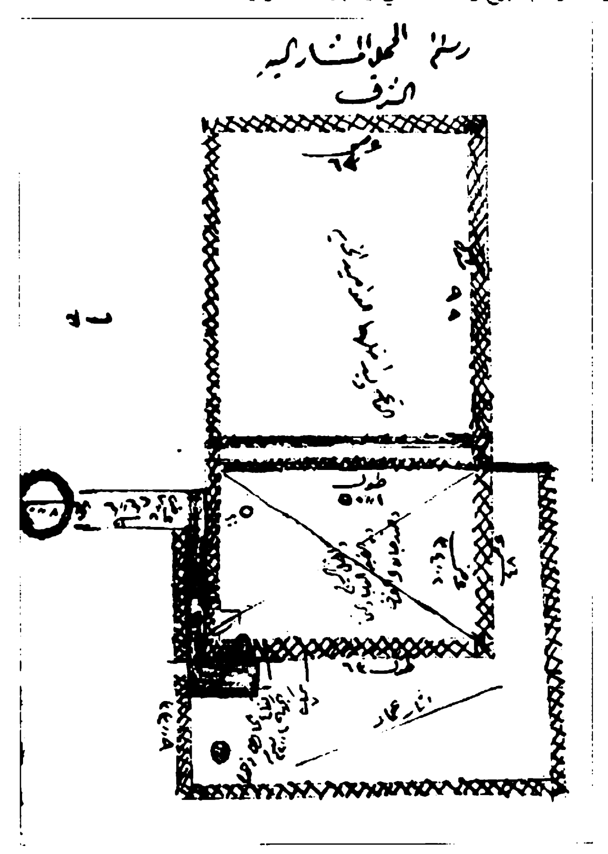
وجميع الجدران حوله مبنية بحجارة كبيرة، وربما كان حوله وحول السور دار قد خربت الآن.

---

[82]. استعارة من الجمل إذا أنيخ بعد ان كان قائماً.

[83]. في الأصل: هذا المحل كانت قاعة ملوكية

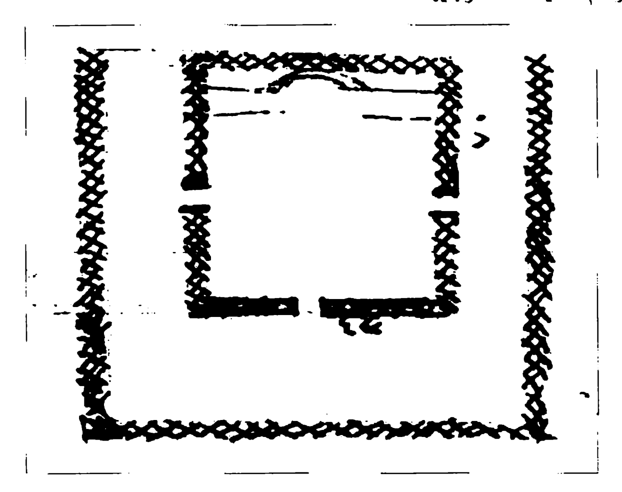
غير أنه بقي آثار تدل على وجودها سابقاً. وعرض هذه القاعة كعرض البرج تماماً.
وهذا رسم البرج والقاعة التي في جهته الشرقية.



والى جنوبي خربة الكرمل على بعد خمسة دقائق عن الخربة، كنيسة كبيرة، وهي مما لاشك فيه قديمة وبنايتها عظيمة، وكلها بحجارة كبيرة طولها 8 أقدام وعرضها ثلاث أقدام. وهذه الكنيسة [مبنية] قبل دخول[84] الصليبيين[85] لهذه البلاد، وما يدلنا على ذلك

(84). في الأصل: ان دخلت

ترتيب هذه الكنيسة على الطقس الشرقي تماماً، ولو كانت بنيت في أيام ولاية الصليبيين، لكانت على الترتيب اللاتيني. وطول هذه الكنيسة 70 قدماً وعرضها اثنتان وأربعون قدماً، وحولها رواق، وفي كل جانب من جوانبها باب، خلا الجانب الشرقي لأنه كان به الهيكل. وهذا رسم الكنيسة المشار إليها.



تل معين :

وإلى الجنوب في الكرمل على مسافة ربع ساعة تل معين وعليه خربة[86]. وهذه الخربة مسماة في الكتب المقدسة معون، وقد كانت مدينة.. ولم يبق من آثار هذه الخربة القديمة شيء يستحق الذكر سوى رسوم بنايات قديمة، وأظهرها أثر برج قديم في الجهة الغربية.

وربما كان في برج المدينة، لأن الآثار تدل بأنه كان يوجد حول هذه المدينة سور. وطول الحجارة التي في قرنة البرج المشار إليه، كل واحد منها ثماني أقدام، وارتفاعه أربع

---

[85] . في الأصل: الصليبية، وهو صيغة عامية لمصطلح الصليبيين وليس الصليبية كمفهوم

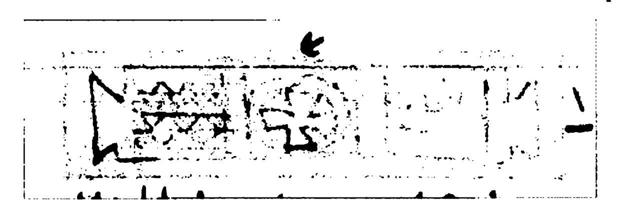
[86] . خربة معين تقع إلى الشرق من السموع وعلى بعد 13 كم من الخليل وعلى نحو 3 كم من الكرمل ترتفع 863 متراً عن سطح البحر. كانت تقوم على موقع هذه الخربة بلدة «معون» . Maon، بمعنى سكن، الكنعانية وبقيت محتفظة بهذا الاسم في العهد الروماني. تحتوي خربة معين على: أساسات برج مربع، وأنقاض مبان، وصهاريج، وبئر، ومعاصر، ومدافن منحوتة في الصخر، ومغائر، وشقف فخارية

أقدام، وهذه هي المدن الأربع القديمة: جميعها متقاربة. وهي يوطة الآن يطا، وزيف الآن تل زيف، والكرمل، ومعون الآن تل معين. وجميعها مذكورة في عدد واحد في سفر يشوع بن نون 15: 55.. وعلى كل لا يوجد ما يؤكد ذلك تماماً.

وبناء عليه نقرر الرسوم الباقية وأفكارنا من جهتها، واذا وجد شيء في الكتب المقدسة نذكره والباقي نتركه قائلين الله أعلم به، وكذلك كل شيء يتعلق بأفكارنا بعد التبصر والتمعن المدقق في كل شيء، ومراعاة عادات الأولين وترتيباتهم، من جهة اصطلاحاتهم البنائية وما شاكلها، وعلى كل حالٍ الله أعلم بحقائق الأمور.

خربة الطيرات :

وإلى الشمال الشرقي من يطا على بعد ثلاثة أرباع الساعة خربة يقال لها الطيرات[87] وهي خربة قديمة وبها آثار كثيرة مسيحية، وقد وجدنا بها عتبات أبواب عليها صلبان، ومن جملتها عتبة وجدنا عليها تاريخاً باللغة اليونانية القديمة، وهو من زمان طويل وليس عليه من الأرقام سوى عدد 97 باللغة اليونانية، ولا نعلم هذا التاريخ من أي شيء. وقد أخذ صورته على الورق طبعاً جناب القبطان لفاتن كوندر، وطول العتبة المكتوب عليها هذا التاريخ ثلاثة أذرع وعرضها ذراع وربع، وهذه صورتها بها صليب يوناني.



وفي المحل الموجود على بابه هذه العتبة، آثار كنيسة مسيحية[88] وبها عواميد مرتفعة عن الأرض، وهذه العواميد المكسرة والملقاة على الأرض كالعواميد التي في أم العمد تماماً، وكان حول هذه الخربة برج منيع وسور لم يبق من آثاره سوى رجم الحجارة

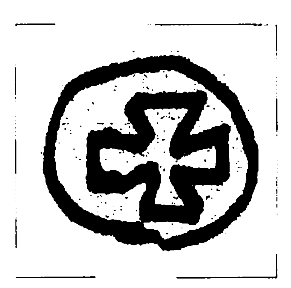
---

(87) . هي على الأغلب الخربة التي تسمى اليوم الديرات وتسمى ايضاً ام العمد الشرقية، وتقع إلى السرق من تل زيف وبها اثار بيزنطية و إسلاميه وبها عيون ماء خربة

(88) . [هامش وضعه نعمان القساطلي في أسفل الصفحة هكذا] طولها مع رواقها معظم الرواق 68.8 قدم 15.8 عرضها 39.7 قدم

التي حول المدينة، الدالة على وجوده، وفي بعض الأماكن لم يزل المدماك[89] الأول منه واقفاً. وفي الجانب الشرقي من هذه المدينة الخربة آبار كثيرة خربة، وكيفية خرابها تدل على أنها خربت بواسطة الزلازل، وهناك أيضاً مقابر كثيرة خربة.

ولنا، على كثرة الآبار بهذه الخربة، يسوغ بأن نسميها بأم الآبار. وخارج المدينة لجهة الغرب آثار كنيسة صغيرة خربة، ولم يبق مما يدل على وجودها سوى هيئة مربعها وعتبتها الصغيرة الموجود بها صليب.



و[لكي] لا نطيل الشرح بخصوص هذه الخربة فقط تقول بوجه الاختصار: إن هذه الخربة كانت عظيمة وحولها سهل واسع جيد التربة.

خربة سوسيّة

والى الغرب من الكرمل بانحراف إلى الشمال على رأس تل متسع خربة سوسيّة[90] وهي خربة قديمة وجميع آثارها رومانية وهي مقسومة إلى قسمين شرقي وغربي، وحول كلٍ منهما سور وبه أبراج والآن قد خربا، غير أن آثارهما ظاهرة ظهوراً تاماً، فإنه في بعض الأماكن يبلغ ارتفاع بقايا السور نحو خمس عشرة قدماً، وكان بين السورين طريق يبلغ عرضها نحو 22 قدماً. وقد وجدنا في الجانب الشمالي من القسم الغربي بناء كبير وهو أعظم البنايات الموجودة في هذه الخربة، ومتصل به بناء آخر روماني. فالأول يقسم إلى ثلاثة أقسام، غير أنه في الأول منها حجرة يبلغ طولها 36 قدماً وعرضها 15 قدماً، وطول

---

(89). في الأصل: المدماق

(90). تقع خربة سوسية إلى الجنوب من يطا والى الشرق من السموع بانحراف قليل إلى الشمال، ومعنى سوسيا الأحصنة باللغة الارامية وتحتوي على اثار مختلفة ممتدة: اساسات بناء له مدخل، وبوابات، وعمود مربع منقوش، وصهاريج، ومغائر، وعتبات، وابواب عليا، وطريق قديمة

الجميع معاً 71 قدماً والعرض 51 قدماً، وفي خربة الحجرة الأولى بئر صنعة يد قطره 6 أقدام، وفي الحائط الشرقي من المحل الأول الذي ربما كان داراً. ثلاثة أبواب كبيرة: عرض الأوسط منها 6 أقدام، والأبواب التي على الجانبين عرض كل منها أربع أقدام.

وكان فوق كل منها عتبة كبيرة، وسوف نُري صورة الوسطى وإحدى الطرفين. وربما كان ضمن المحلين حُجُرٌ ردمت رسومها تحت آكوام التراب والحجارة التي داخل هذه المحلات.

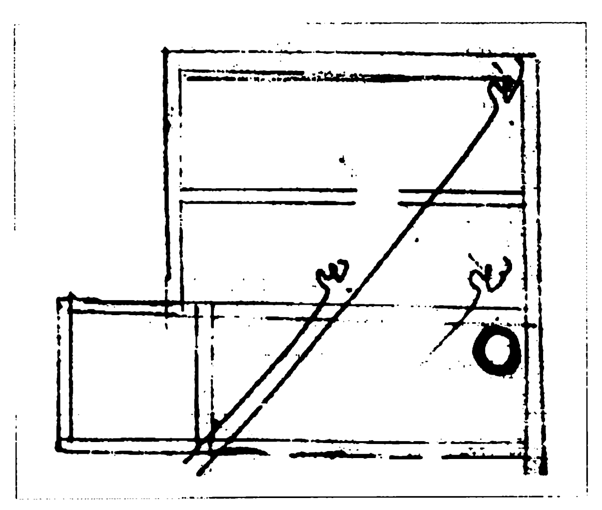
والمحل الآخر؛ أي الدار الأخرى التي بالجانب تحتوي على محلين ودار.

في جانب الدار بالزاوية الشمالية أثر درج كان يُصعد به لسطح هذه المحلات، والحجرة الأخرى هي عظيمة البناء ولها باب كبير، وفوقه كان [هناك] عتبة ألقتها حوادث الأيام الآن في الأرض: طولها 8.8 قدم وعرضها 2.8 قدم وسمكها 1 قدم.

في الجانب الغربي عامودان قائمان[91] حتى الآن، بينهما ست أقدام.

في صدر هذه الحجرة قوس خرب أعلاه وضمنه حجرة عرضها 14 قدماً.

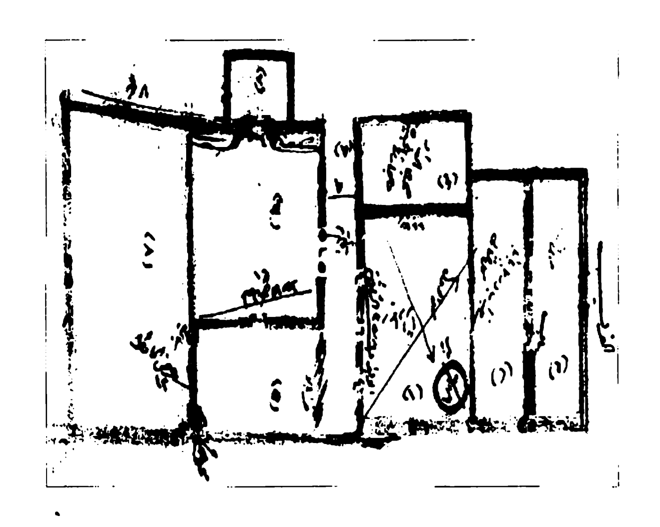
وهذه صورة رسم المحل المذكور ومنها يتضح طول وعرض كل شيء، بحيث يصبح[92] قريباً جداً للفهم وبعد الرسم سنتكلم عن ذلك أيضاً بما يجعل الفائدة أعم.



---

[91]. في الأصل: جالسان

[92]. في الأصل: يضحي



إن عدد واحد هو رسم الدار الأولى المشار إليها، وفي زاويتها البئر وفي الحائط الغربي منها في نصف الحائط أكوام من الحجارة، وربما كان هناك باب. وعدد 2 محل مستطيل وعدد 3 محل أيضاً وفيه باب. العدد 2 عرضه 3.10 قدم [ثلاث أقدام وعشرة قراريط]. في الحائط الغربي برأس الحائط قناة للماء وربما هذا الحائط لم يسقط منه شيء والمحل نمرة 4 هو الحجرة التي في نمرة 1 المشار إليها وهي من حجارة كبيرة. وعدد 9 طريق كانت بين الدارين. وعدد 5 الدار الثانية. عدد 6 الحجرة التي بها وبحائطها الشرقي العامودان وبين كل منهما 6 أقدام. وقطر كل واحد 1.5 قدم [قدم ونصف القدم]. وبصدرها عدد 7 الحجرة الصغيرة وعدد 8 محلاً كبيراً. وعدد 10 محل الدرج.

وجميع هذه البناية يونانية بحسب ما يُستدل من تاجي[93] العامودين الملقيين على الأرض ومن خلاف أشياء [أخرى]، وأما الأبواب التي في الحائط الشرقي نمرة 1 فهي من صنعة جميلة حتى يخال الناظر إليها بأنها من عواميد. وفي هذا القسم مغائر من صنعة الأيادي، وهي كبيرة وقد زرت هذا المحل مع القبطان كوندر في 27 تشرين الأول سنة 1874م، وهناك قد جلست على أحد العمودين الذين في عدد 6، وأخذت أتلو تحارير وردت إلي من الشام وبيروت والقدس، وقد سكبت دموعاً من شدة الفرح، لأنها أول تحارير وصلت ليدي

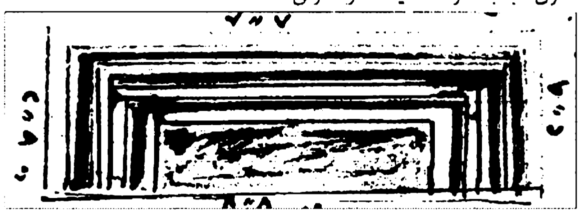
---

[93]. في الأصل: رؤوس

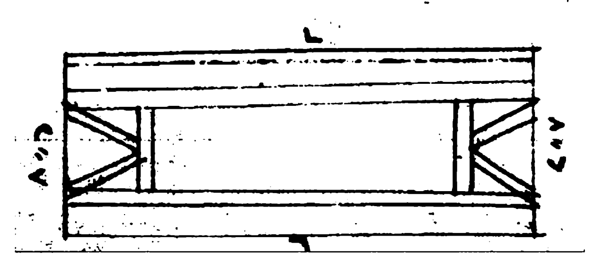
من بلادي في ذلك [الوقت]، بعد أن مضى علي شهر ولم أنظر شيئاً من تلك الجهات التي هي وطني العزيز، وثانياً لأنها حاوية أخباراً مفرحة جداً عن امتداد الإنجيل في الشام.

ثم في القسم الشرقي من هذه الخربة، الذي هو أكبر من القسم الغربي، قد وجد جناب القبطان ثلاثة تواريخ قديمة باللغة اليونانية، غير أنه لم يقرأ منها سوى بعض كلمات: لأن أكثر حروفها آبادتها الأيام، وهذا القسم ذو بنيات بحجارة كبيرة ولم تزل للآن مفسرة جيداً، وفيه آبار كثيرة، وكذلك في الغربي مغائر كبيرة طبيعية ومنه صنعة الأيدي.

والنتيجة: أن هذه الخربة القديمة التي لم نجد بها أثراً للمسيحيين، هي أظهر من جميع الخرب التي وجدناها حتى [هذا] التاريخ المذكور، لأن أكثر جدران بناياتها لم تزل [قائمة]حتى الآن، والذي حفظها هو بعدها عن القرى العامرة، لأن الخرب القريبة للقرى أكثر أبنيتها يخربها الفلاحون ويأخذون حجارتها لأجل بناية بيوتهم، وقد شاهدنا أناساً يخربون في خربة عزيز وينقلون الحجارة لقراهم لأجل البناية. رسم العتبة المشار إليها التي كانت فوق الباب الأوسط في الدار الأولى عدد ١.



رسم العتبة الثانية التي كانت على أحد البابين وكان مثلها على الآخر.



خربة المنطار :

وإلى الغرب من خربة زيف على تل وبينهما وادٍ خربة صغيرة اسمها المنطار[٦٤].

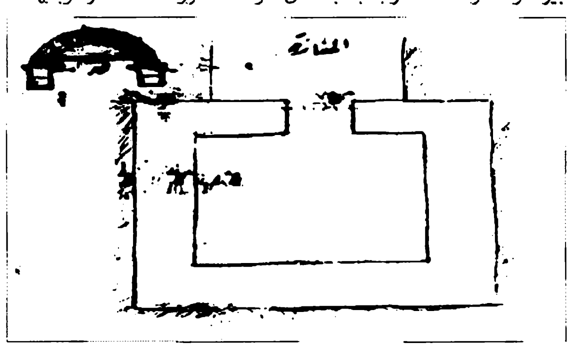
[٦٤] . تقع خربة المنطار في ظاهر بلدة يطا من الجهة الجنوبيه تقابل خربة اعزيز. ترتفع 811 متراً عن سطح البحر.

وهذه الخربة ربما كانت ديراً، وبها آثار كنيسة قديمة لم تزل إلى الآن ستة من أعمدتها على الأرض؛ تشهد بوجود كنيسة هناك. ورسم هذا المحل يشابه رسم أم العمد التي تقدم ذكرها في أكثر من وجه، وهذا المحل لم أزره بل زاره جناب القبطان كوندر في 3 تشرين الثاني سنة 1874م. وهو أخبرني عنه وبناءً عليه لا أقدر بأن أتكلم بالتفصيل عنه بل ذكرت الكلمات ذاتها التي أخبرني بها عنه جناب الموما [إليه]، وقد اجتهدت كثيراً لأحصل على فرصة أزوره بها لضيق الوقت لم يمكنني من ذلك، فاقتصرت على إخطار القبطان.

قرية السموع :

وإلى الجنوب من يطا على بعد ساعة قرية السموع[95]، وهي ذات آثار قديمة، وقد كانت هذه مدينة عظيمة في الأيام السالفة، وذات شهرة في الكتب المقدسة.. وآثار هذه القرية الآن كثيرة يطول شرحها، لأنه يوجد بها أبراج ومحلات كثيرة مبنية بحجارة كبيرة. فإنه في الجانب الشمالي أثر محل عظيم مبني بحجارة كبيرة، طول كل واحد منها نحو ثلاثة أذرع وارتفاعه ذراع ونصف، وأكثر الآثار في الجانب الشمالي. و[على] طول هذه القرية الآن مغائر كبيرة كثيرة منقورة بالحجارة، وكذلك في الجانب الغربي منها.

وفي الجبل نواويس كبيرة وخلافها. وفي جانب المدينة الشمالي لجهة الغرب مغارة كبيرة طولها نحو أربعين قدماً وعرضها كذلك، ولها باب كبير عرضه ثماني أقدام وله قنطرة. وهذه المغارة كانت أصلاً طبيعية بعد [ذلك] تصلحت حيث جميع دوائرها مبنية بحجارة كبيرة، وصدرها قد خرب جانبه الآن. وهذه صورة هذه المغارة وبابها.

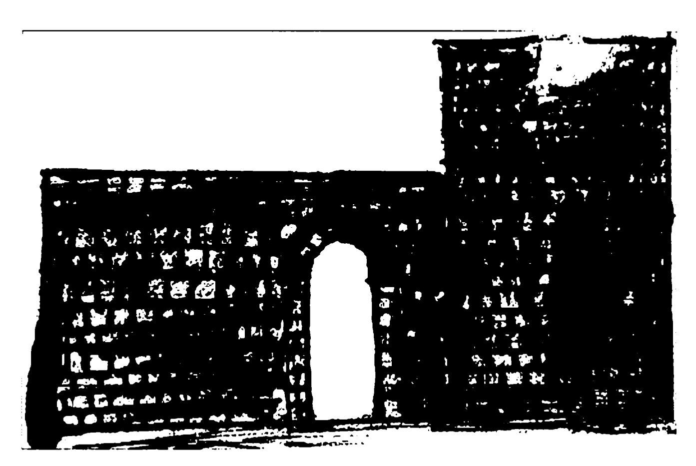


[95] . تقع قرية السموع على بعد 14 كم للجنوب من الخليل مرتفعة 734 متراً عن سطح البحر. مساحتها 165 دونماً. آخر أعمال الخليل من الجنوب أقرب قرية لها يطا. تعد السموع والضاهرية آخر معالم المنطقة الجبلية الفلسطينية

ثم في الجانب الشمالي آثار بنايات رومانية أيضاً. منها عتبات أبواب وهذه صورة واحدة منها.



وفي وسط القرية برج من أشغال الصليبيين عامر[96] حتى الآن وهو أكبر من برج الكرمل. وهذا رسمه:



وخارج القرية برج آخر، وفي غربيها أيضاً آخر خلافه. غير أنهما صغيران. والنتيجة أن الآثار تدل بأن هذه الخربة كانت مدينة كبيرة قد اعتنى أهلها كثيراً في أمرها، والأراضي حولها مخصبة. وإلى شمالها سهل مخصب نصفه لها والنصف الآخر لأهالي يطا، ولا بد من أن تكون هذه المحلة من المدن المهمة في أيام اليونان والصليبيين

(96). في الأصل: عمار.

لكثرة اعتنائهم بها، والآن يبلغ عدد سكانها نحو أربعمائة وخمسين نفساً، وكلهم مسلمون وعاداتهم[97] كعادات خلافهم من أهالي جبل الخليل، وقد عارضوا أحد الخواجات الذين معنا ومنعوه عن الشغل، فعرض الأمر جناب القبطان على قائمقام الخليل، فاستحضر أربعة من الذين تعدّوا [على الخواجا] وسجنوا في الخليل لجسارتهم هذه.

وأهل هذه القرية أحوالهم بربرية أكثر ممن سواهم، وهم ذوو بأسٍ وشراسة أخلاق، فسبحان من أقام على آثار الأولين هؤلاء القوم الجهلاء الذين دأبهم التخريب دون العمار، وعلى كل حال أحكام الله لا ندركها.

وفي هذه البلدة آبار كثيرة منقورة بالحجارة، وليس فيها ماء نبع.

قرية الظاهرية:

وإلى الجنوب من الخليل، على بعد أربع ساعات قرية الظاهرية[98]، ويظن بأنها دبير[99] حيث كانت من مدن الجبل أخذها يهوذا عندما قسم يشوع بن نون الأرض بين الأسباط.

وليس في هذه القرية من الآثار القديمة ما يستحق الذكر سوى البرج الذي فيها، وسوف يأتي ذكر تفاصيله، وبعض نواويس في الجانب الشمالي من المدينة، وفي الجبل الذي في شرقها.

وأيضاً في طرفها الشمالي كهف كبير جداً يؤوي سبعمائة إنسان بكل راحة وربما أكثر، وأهل هذه القرية يبلغون الخمسمائة ونيف، وهم قسمان أيضاً نظير قرى هذا الجبل. قسم يخص عائلة نصار وهذا القسم يبلغ ثلاثة أرباع القرية واسم الشيخ الآن أحمد النصار والمختار أخوه الشيخ علي، وهذه العائلة ذات أهمية في تاريخ هذه البلاد منذ إبراهيم باشا المصري وإلى الآن.

وحزبها عنده من اللطف ما لم نجده في غيرهم، وشيخ هذا القسم وأخوه عندهما من الحمية لتقدم البلاد الأدبي والمادي ما يسر كل محب لوطنه. وعندهم من الشهامة

---

(97). في الأصل عوايدهم كعوايد.

(98). تسمى الآن الضاهرية بالضاد، وتقع في الجنوب الغربي من الخليل وعلى مسيرة 22 كم عنها. ترتفع 655 متراً عن سطح البحر. والسموع الواقعة في شرقها، اقرب قرية لها.

(99). يتكرر ذكر دبير في سفر يشوع 12.

ورقي الأخلاق ما يستغرب وجوده بين أهالي هذا الجبل. وبالحقيقة إن هذا الشيخ وحزبه هم أشد تهذيباً وشجاعة وشهامة نفس من سواهم، وعندهم عفة النفس من الفرائض المتوجبة عليهم، ويصبون كثيراً لمن يسعى في تقدم بلادهم.

وأما القسم الثاني الذي يبلغ ربع القرية فشيخه الآن هو حسن أبو شرخ، وشيمه مع شيم أهل حزبه تفوق شيم أهل يطا وحلحول، وخلافهم من أهالي هذا الجبل [على الرغم من قلة عدد حزبهم].

وأما اعتناء هذه القرية الآن ففي تربية المواشي والزراعة فقط، وأما أمر غراس الكرم والزيتون وبقية الأشجار في هذه القرية فليس معروفاً الآن البتة، وقد كانت قبلاً ذات كروم وزيتون وتين، غير أنه ـ لأسباب سوف نأتي [على ذكرها] عندما نتكلم شيئاً [عن] تاريخ هذه البلاد- قد اضمحل منها تماماً. والآن يوجد تفكير عند الفلاحين لتجديد الكرم والزيتون وخلافهما، حيث الآن رتعوا في جنان الراحة وأصبحوا أصحاب غنى في المواشي والمال، والأرض حولهم خصبة وصالحة لرعاية المواشي وما يخصهم منها كثير جداً.

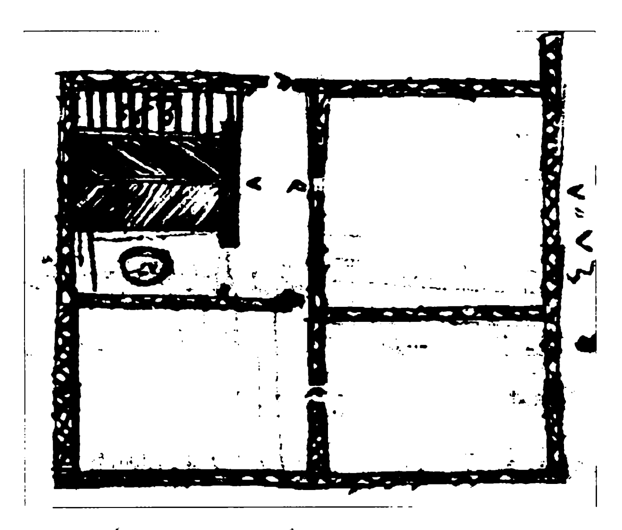
و[أما] الأرض فهي ذات تربة حمراء، وفي بعض الأماكن سوداء وخالية من الحجارة ومنسقة، واجتهادهم غير الكامل حتى[101] الآن وجودة أراضيهم قد واتياهم بالغنى بعد أن خربت قريتهم تماماً منذ عشر سنين أو أكثر، وأضحت دماراً ليس فيها ساكن لتغرب الأهالي من جور بيت عيسى[102] [عمرو] عليهم، واشتباك الحروب بينهما أياماً كثيرة حتى انتهت في أواخر أيام ثريا باشا، وحيث وافوا بهم إلى أوطانهم تحت رقع الأمان الدولي، وأخذوا في الشغل بالنشاط الذي يحتسب عظيماً بالنسبة لمن سواهم.

أما البرج المشار إليه فطوله 48.8 قدم [ثمان وأربعون قدماً وثمانية قراريط]، وارتفاعه 17 قدماً (سبع عشرة قدماً) وطول أكبر حجارته 9 أقدام وعرضه 22 قدماً، وسمك حائطه 6 أقدام، وفي داخله ثلاثة حُجر وبئر ودرج كان يصعد به لأعلاه. وجميع ذلك مبني بحجارة وسقفهُ أيضاً من حجارة كالعقود التي في بعلبك، ورسم محلاته الداخلية هكذا. وعرض كل من أبوابه السفلية ثلاث أقدام.

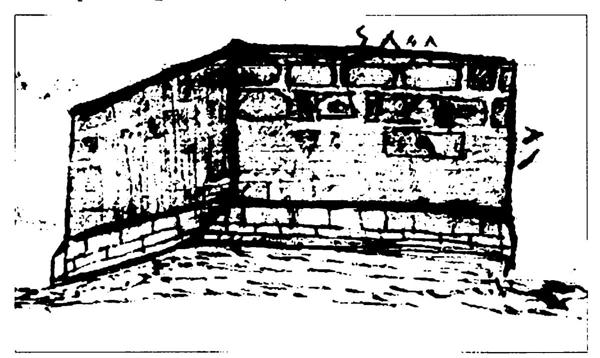
---

(101). في الأصل: واجتهادهم الذي بغير كامل لحد الآن.

(102). في الأصل كتبت كلمة لحام ثم شطبت وكتبت فوقها عيسى، وهو الإقطاعي عيسى عمرو.



وعرض هذا المحل من سطحه 29.2 قدماً [تسع وعشرون قدماً وقيراطان]، وهناك بجانب ذلك حجرة مستطيلة عرضها 15.3 قدم وهذا رسم البرج الخارجي.

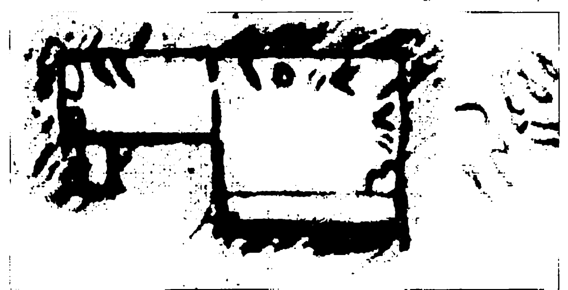


والى الجنوب من البرج المذكور، على بعد نحو مائتي ذراع، هناك عدد من أشجار التين[103] ووراءها[104] مغارة كبيرة طبيعية مقطوعه عند مضيق قبل آخرها، معظم طول

[103] . في الأصل تعبير عامي: يوجد اكم شجرة من التين

[104] . في الأصل وما ورائهم

الموضوع 170 قدماً ومعظم عرضه نحو 70 قدماً، ويبلغ طول المقطوع فيها نحو ستين قدماً، فإذا أضيف قسماها أحدهما للآخر يبلغ الطول نحو 230 [قدماً]، ولهذه المغارة نوافذ في سقفها بعضها طبيعية، وبعضها صنعة الأيدي، ومعظم ارتفاع سقفها 15 قدماً، وبجانب بابها معصرة كبيرة لأجل الخمر. منقورة بالصخر، طولها 17.4 قدم [سبعة عشر قدماً وأربعة قراريط] وعرضها 15 قدماً، وبجانبها جرن بنفس الصخر؛ طوله 11 قدماً وعرضه 5.5 قدم [خمس أقدام ونصف القدم]، وعمقه نحو 5 أقدام وعمق المعصرة قدمان.



بير السبع :

يوم الثلاثاء في 10 تشرين الثاني غربي سنة 1874م رحلنا من الظاهرية إلى بير السبع[105]، وهي إلى الجنوب الغربي من الظاهرية على بعد ست ساعات، وكان طريقنا في وادي الغماري الذي يمتد من جنوب الظاهرية إلى جنوب شرق إلى وادي الخليل.

وعند اتصال الواديين أحدهما بالآخر صعدنا على جبل ومن هناك كان على شمالنا مقطعة أحيا وخربة الرهوة[106] وعلى اليمين خرب دير الهوا[107]، ودير الغاوي[108]، ودير سعيدة[109]، وتات ريط[110].

---

[105] . يكتبها نعمان القساطلي بير سبع ونحن نثبتها بير السبع، كما يلفظها العرب الفلسطينيون، وهي أهم المواقع في صحراء النقب

[106] . خربة الرهوة: تقع حالياً على الطريق العام بين الضاهرية وبئر السبع

[107] . دير الهوا: في الجهة الشمالية من دير سعيدة، به دير متهدم، وأسس، وصهريج، وطريق قديم، ومعصره منقورة في الصخر.

[108] . خربة تقع إلى الجنوب من الظاهرية

[109] . خربة سعيدة: وتسمى أيضاً دير سعيدة، وهي على طريق بئر السبع فيها أسس، وأكوام من الحجارة المدمولة

[110] . يسميها البعض ايضاً تتريت تقع بالقرب من حدود قضاء بئر السبع ترتفع 425 متراً عن سطح البحر بها جدران، وأساسات، وعضائد ابواب، وأكوام حجارة، وصهاريج، وفم بئر مثمن الزوايا.

وبعد ذلك بنصف ساعة وصلنا إلى المحل الذي يصله العرب [البدو] في الفلوة واسمه محط الهفس، وهناك مقبرة للعرب، ثم على بعد نصف ساعة منه بئر المقرونة، وهي في وادي الخليل، إلى شمال الطريق.

وعلى بعد ثلاث دقائق منه لشمال الطريق أيضاً عرق الأبرص، ثم بعد بُعْد قليل قرنة غزالة، وهو اسم تلة هناك، ثم الأرض التي بعدها اسمها طويل المحذي، وفي نهاية هذه الأرض في رأس تلة لشمال طريقنا أيضاً خربة حورا، وفي رأسها خربة كبيرة حولها خمسة قصور من جهاتها اسمها قصور المحافظة.

وكل واحد في هذه القصور يبعد عن الخربة نحو ربع ساعة، وجميع ذلك مبني من حجارة صوان. ثم على بعد قليل، وهو نحو ثلث ساعة تل السقاطي، وبه بئر السقاطي[111]، ثم بعد ذلك بنحو ساعة تل السبع، وعلى بعد ساعة منه لجهة الغرب بير السبع، وبين بير السبع وتل السبع خربة الوطن[112]، وهي على شط وادي السبع الذي يمتد من بئر السبع وحتى بحر الروم.

وهي [بئر السبع] خربة كبيرة جداً، وكانت شهيرة في الكتب المقدسة، وهي من بلاد الفلسطينيين [القدماء]..

وقد جرت بها حوادث كثيرة مذكورة في الكتب المقدسة، وأما الآن فلم يبق من آثارها سوى رسوم بناياتها التي تدل على دائرتها الكبيرة المتسعة، وأكثر بناياتها كانت من التراب (وربما كانوا يعملونه لبناً) والظلط[113] وحجارة الصوان، وفي بعض الأماكن يوجد بعض البنايات بحجارة صخرية، وهذه الحجارة لا بد [أنهم] أتوا بها من أماكن بعيدة، لأنه في تلك الجهات لا يوجد حجارة صخرية مطلقاً.

ومنه الآثار التي بها وتستحق الذكر بئر ماء لجمع ماء المطر، وهو في الجهة الشمالية من الخربة، ومنه يستدل بأنه كانت [هناك] آبار كثيرة لجميع مياه المطر. وكذلك وجود آثار حمام في الجهة الجنوبية من المدينة، وأرضه كانت مرصوفة بحجارة صغيرة جداً، من النوع المسمى عند الدمشقيين بالفسيفسة، وهي نظير التي وجدناها في قرية حلحول في بيت حيث كان يوجد كنيسة هناك. وفي القرب من ذلك الحمام بئر ماء من صنعة الأيدي مدمول [أي مردوم] قاعه. وقد كان ماؤهُ نبعاً ولا شك: إذا رفع التراب المتراكم

---

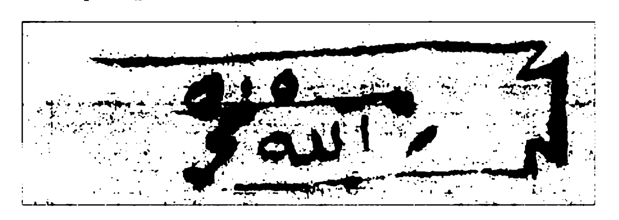
(111) . تل وبئر السقاطي معروفان بهذا الاسم حتى اليوم

(112) . ما تزال معروفة بهذا الاسم

(113) . هي كسر الأحجار غير المنحوتة او المشذبة

في أسفله يخرج الماء. وقد كان ذا ماء نبع، واستعمل ماؤه كثيراً بحسب ما يستدل من تأثيرات في جوانبه. وعمق هذا البئر الآن 23 قدماً وقطره تسعة أقدام وقيراطين.

والى الغرب منه على بعد مائة وخمسين ذراعاً بئر آخر ماؤه جيد نبع، قطره 12.3 وعمقه لحد الماء 37 قدماً. وفي المدماك الثامن في أعلاه يوجد تاريخ عربي وهذه صورته.



وهذا التاريخ ربما كتبه المسلمون بعد أيام طويلة منذ امتلاكهم البلاد. أو ربما أصلحوا هذا البئر في سنة 505 هجرية ونقشوا هذه الكتاب عليه.

وعلى بعد نحو مائة وخمسين ذراعاً منه بئر أخرى ماءها نبع، وهي كالبئر الأولى والآن يستقي منها العرب [البدو] الذين في تلك الجهات.

وحول بير السبع برية شاسعة، وجميعها سهول مخصبة ذات تربة بيضاء وحمراء، وهي من أيام الله يعلم بها لم تنل حظاً من الفلاحة، غير انه منذ سبع أو ثماني سنين، أخذ بعض العربان الساكنين في تلك الفيافي بحرث[114] أجزاء قليلة منها، وهي تأتي بمحاصيل تفوق درجة الاعتدال. وربما من لم يرَ الأراضي لا يصدق ما يقال له عما تأتي به محاصيلها، فإنه قيل بأن مد الشعير أتي بخمسين وأكثر، والقمح بثلاثين، مع عدم اعتناء البدو في أمر الفلاحة والزراعة.

وأنا أولاً قارنت هذه الأقوال، غير انني لما رأيت جذور قصبات الحنطة والشعير تأكدت [من] صدق المقال، وبالحقيقة إن هذه الأراضي المدمولة تحت أثواب الزبل من مواشي العرب [البدو] لو فعلت بها أيدي الأعمال لأتت بما لا يحصى من الغنى. ويا حبذا اعتناء حكومتنا السَنيَّة بأمرها، وشروعها في بناء مدن في تلك السهول المخصبة التي لم تشاهد عيني نظيرها.

ولو شرعت بالكلام[115] عن جودتها وخصبها وحسن الهواء هناك لما وجدت في

---

[114]. في الأصل: بان تحرث

[115]. في الأصل: لأتكلم

لغتنا العربية الواسعة كلاماً يساعدني على التعبير عنها، ولكن بوجه الاختصار أقول إن هذه الأراضي لا يماثلها شيء خلافها، وهي كنز من ذهب، تنتظرها أيدي الاجتهاد والغيرة في الأعمال لا خلافهما.

خربة أم بطين:

والى الشمال الشرقي من بير السبع على بعد ساعة خربة أم بطين[116] وتل أم بطين وسهل أم بطين، وهذه الخربة مع الأرض حولها قد اشتراها من الحكومة رجل دمشقي، واجتهد في الشغل بها، وقد وافته بغنى عظيم حتى أنه صار الآن من المتمولين، مع أنه قبلاً كان ذا أموال قليلة. وهي أرض لا توجب فلاحتها تعباً وعناء لسهولتها وطراوة تربتها ونعومتها. كما أنني رأيت بعض العربان يحرثون على جمال، وعلى حمير صغيرة وضعيفة.

والى الشرق من بير السبع تل مرتفع بالنسبة لتلك الأراضي يسمونه بخشم التنّير، وفيه خربة التنّير.

والى الشمال منه على بعد نصف ساعة خربة برغوت، وهي في طويل أبو جروة، وكذلك خربة العمرى[117]، وهي منحرفة عنها قليلاً، وفي الجهة الشمالية أيضاً خربة تل شريعة[118].

والى الشمال الغربي منه على بعد نصف ساعة أيضاً خربة أبو سمار.

والى الغرب على البعد ذاته خربة أبو رفيق[119]، وعلى بعد ساعة ونصف مفرضات السبع وهي رؤوس جبال متلاصقة وربما من صوان ورمال كبقية تلال هذه المحلات، وهذه حدود أراضي السبع ووادي السبع يمر من أمامها لجهة الشرق.

وفي بير السبع نصبنا الخيام عند الآبار التي تقدم ذكرها، وفي تلك الليلة ونحن نيام، أتت اللصوص وسرقت بعض حوائجنا وزادنا من الخيام.

يوم الأربعاء[120] في 11 تشرين الثاني غربي سنة 1874م، ارتحلنا من بير السبع شرقاً وقصدنا تل الملح[121].

---

(116). معروفة بهذا الاسم حتى الان

(117). هي خربة عمرة أو العمرة

(118). تل الشريعة معروف في المنطقة المشار إليها.

(119). يوجد فرع من عرب التياهة في النقب اسمه ابو رفيق، ومن المرجح ان اسم الخربة اخذت منه

(120). في الأصل: الأربعة

(121). تل معروف في بير السبع.

وفي طريقنا مررنا على خربة اسمها أبو تلول[122] المبدع، وهي على شط وادي أبو تلول من الجانبين.

وهناك منذ عشرين سنة جرت ذبحة عظيمة [أي معركة دامية] بين العربان قتل فيها خلق كثير من العرب، وبعد الصلح قبروا هناك وهناك، وصارت مقبرة للعرب لهذا اليوم.

ثم في الغرب من بير السبع بئر ماء نبعٌ اسمهما بيار المشاش، وبجانبها تل[123] عليه خربة صغيرة اسمها الغرة.

وقبالة ذلك التل لجهة الجنوب رؤوس جبال اسمها روس الغرأ وهذه الرؤوس متقاربة جداً بعضها لبعض، وبجانبها الشرقي جبل يسمى بنقب الغرأ[124].

وإلى الشرق منه على بعد نصف ساعة ونيف خربة سعوة[125] وبها بناية قديمة من حجارة صوان، وهي كحورا والغرأ.

تل الملح :

وبعد أن سرنا ست ساعات ونصف من بير السبع وصلنا إلى تل الملح وهو تل صغير عليه أثر خربة قديمة، والآن في رأس التل المذكور، الذي هو من التراب والظلط، مقبرة للعرب [البدو]، وأمامه لجهة الشمال وادي الملح، وهو مذكور في صموئيل 2.

وقبالة الوادي شمالاً أو بجانبه الشمالي بئر ماء نبع مائه فيه طعم الملوحة، وهذه البئر قديمة جداً والآن تستقي منها العربان، وبئر آخر بجانب هذه مدمول [أي مردوم] أسفله بالتراب، وإذا اعتني به ونُضحَ التراب من جوفه، يخرج منه ماء لا محالة. لأنه بحسب ما يستدل بأنه كان ذا ماء.

وهذان البئران عميقان، ويبلغ عمق المستعمل نحو 40 قدماً، وهو مبني من حجارة صوانية من المستغرب حفر آلة النحات بها. وهناك في وادٍ أمام الآبار نصبنا الخيام وبتنا تلك الليلة.

---

(122) . ما تزال معروفة بهذا الاسم حتى اليوم

(123) . تل المشاش معروف بهذا الاسم حتى اليوم

(124) . جميع هذه التسميات تسمى الآن الغرة بالتاء المربوطة

(125) . خربة معروفة بهذا الاسم حتى الآن

العودة إلى الظاهرية :

ثم في اليوم الثاني أي يوم الخميس الواقع في 12 تشرين الثاني غربي سنة 1874م، توجهنا من هناك قاصدين الظاهرية، فمررنا في طريقنا ونظرنا خربة حورا، وكان مسيرنا في ذلك خمس ساعات فقط.

أما تل الملح فواقع في سهل متسع مخصب وجيد التربة اسمه فرْعة، وهذا السهل يمتد شمالاً من مكحول إلى خربة عرعرة جنوباً، ومنه جبل اللتيفة شرقاً إلى مشاش الفرا غرباً، ومكحول إلى الشمال من تل الملح، وكذلك خربة بالقرب منها اسمها كحلة، وإلى الشمال الشرقي منه خربة ديربان [أو ديركان] وخربة كسيفة[126] إلى جنوبه على بعد ثلث ساعة جامع لم يزل إلى الآن أكثره عامر واسمه قباب الشادري، وإلى الغرب من المقام المذكور خربة التلول أيضاً، وهي خربة كبيرة غير التي تقدم ذكرها.

ومن هناك يبتدئ وادي التلول[127] وبعد أن سرنا ست ساعات وصلنا إلى الظاهرية حيث كنا ننزل[128].

قرية عناب :

وإلى الغرب من الظاهرية خربة عناب[129] وهي من مدن يهوذا ومذكورة في الكتب المقدسة (يشوع 15:) وهذه الخربة ذات آثار تدل عليها[130] رسومها فقط، لأن أكثر حجارتها قد نقلها أهالي الظاهرية إلى عمار بيوتهم، وإلى الشرق منها على بعد ستة دقائق آثار كنيسة كبيرة. وقد كانت الخربة ممتدة إلى هناك وما وراء الكنيسة، ولم يزل إلى الآن عمود واحد من أعمدة الكنيسة المشار إليها واقفاً..والآن في الشتاء والربيع تبيت في هذه الخربة أغنام ومواشي الظاهرية، لأنه يوجد بها مغائر قديمة كبيرة وكغيرها وصيرٌ[131] مصفوفة من حجارة أقامها أهالي الظاهرية.

---

(126) . تسمى الآن كسيفه

(127) . مقطع مكرر في فقرة سابقة حذفناه: (م في يوم الخميس في 12 تشرين الثاني سنة 72 قلعنا الخيام وسرنا من بير الملح إلى الظاهرية، وقد زرنا في طريقنا خربة حورا التي تقدم ذكرها)

(128) . في الأصل: نزول

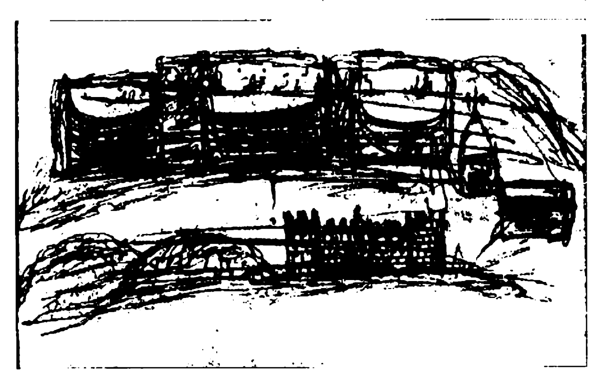
(129) . ثمة قريتان متجاورتان بالاسم نفسه: عناب الصغيرة في ظاهر قرية الظاهرية الغربي ترتفع 625 متراً عن سطح البحر، وعناب الكبيرة في الجنوب من عناب الصغيرة ترتفع 600 متر عن سطح البحر، تحتوي القرية على: انقاض مدينة، وكنيسة، وجدران، وبرج محول إلى جامع في الوقت الحاضر مهجور، وبناء معقود (قصر العنب) وأساسات، وصهاريج، ومعاصر.

(130) . في الأصل: علي

(131) . في الأصل: سيّر، جمع صيرة، وهي جدران غير مسقوفة للماشية

وعناب هذه تسمى عناب الصفيرة، وهي على بعد ساعة منها لجهة الشمال، وفي عناب الكبيرة برج بناه الصليبيون لم يزل [قائماً] حتى الآن.

وإلى الشمال على بعد ساعتين ونصف برك سليمان وهي حدود جبل الخليل. وهن ثلاث برك كبيرة كل واحدة منهن نحو مائة ذراع ونيف، والوسطى تزيد عن ذلك نحو 25 ذراعاً، وعرضهن كطولهن تقريباً خلا الوسطى، ومياه هذه البركة تجميع من ماء المطر ومن نبعي ماء هناك قبالة القلعة، التي بناها المسلمون للمحافظة على ماء هذه البركة، لأن المياه تذهب منها بقناة إلى الحرم في القدس، وفي طريقها تسقي بيت لحم. وفوق العين الأولى التي بجانب البركة الأولى قبة صغيرة فوقها صليب حجر ذو أربعة شعب، غير أن إحدى شعبه كسرت. وعلى بعد قليلٍ من البرك إلى الجهة [التي] أمام القلعة على رأس تل دير للروم يسمى بدير مارجريس. أما رسم البرك المذكورة فهو هكذا.



بعض أخبار عن جبل الخليل

[حكم العائلات الإقطاعية، أيام إبراهيم باشا، الزراعة، المياه والآبار، العائلات الحاكمة، مقاطعة اللحام، مقاطعة بيت عيسى عمرو، مقاطعة بيت العزة، مقاطعة بيت العملة، عدد سكان الجبل، الصحة، التعليم، أخلاقهم، نساؤهم، ملابسهم، قِرى الضيف، واردات، المواقع التي تم استكشافها]

حكم العائلات الاقطاعية :

إن هذا الجبل قبل سنة 1861 ثمانمائة وواحد وستين كان يقسم إلى أربعة مقاطعات تختلف بالاتساع بعضها عن بعض، وكانت هذه المقاطعات محكومة من عائلات[132] لا يُعلَم في أي وقت قبضت عنان حكمها الظالم، وذلك لخوض هذا الجبل في بحر عظيم من الجهالة والغباوة، كبقية بلدان سوريا وخلوفها في أوائل هذا الجيل وخلافه [أي القرن التاسع عشر].

فلذلك ليس له تاريخ محفوظ يقرر حالته منذ مدة مديدة، وكان [شيوخ] تلك العائلات كملوك مستقلين يأخذون[133] أموالاً من الأهالي عن غير ترتيب، ويسوقون الرجال للحرب وقت الاقتضاء بدون تنظيم، وكان كل راجلٍ أو ذكر يقدر أن يتقلد السلاح مجبوراً أن يتجند ويسير لساحة القتال، وكانت الحروب كثيرة وقلما تنقطع، وأكثرها مع العرب [البدو]، ومنها ما يكون أهلياً .

وكان لكل قرية شيخ يتقلد أحكامها، ويأخذ منها ما يشاء من الأموال بدون ممانع أو معارض، وكان عند الاقتضاء أو عند طلب العائلات الحاكمة، يقوم بتقديم الأموال لها ،

---

(132) . في الأصل: عيال، وهي كلمة عامية تعني عائلات. ومن الآن وصاعداً سنصحح هذه المفردة العامية دون الإشارة إلى ذلك.

(133) . في الأصل: مستقلة تاخذ وتسوق الخ

وكان يجمعها بإلقاء الضرائب على الفلاحين، وكانت الفتن في هذا الجبل كثيرة جداً، حتى أنه ما كان إنسان [يستطيع أن] يتمتع بالراحة أسبوعاً من الزمان.

وقد أخبرني بعض الرجال المتقدمين بالسن بأن كل أيامهم، قبل أن تسود الحكومة وتحل دعائم الراحة في تلك الأقطار، كانت مشحونة بالأكدار والغزوات، وكان لا يقدر أن يسلك في طريق أقل من عشرة رجال بسلاحٍ كان للدفاع عنهم عندما يهاجمهم العدو.

وقلما يمضي يوم ولا يسلب فيه أحد في الطريق، وترعد بنادق الدفاع أو الهجوم. ومن جراء ذلك كانت أكثر البلاد والأراضي مسرحاً[134] لجنود الدمار والخراب، وكانت المحاصيل قلما تأتي بما يفيض عن احتياج الإنسان، ومع ذلك كانوا يقنعون بما كانت توافيهم به أيدي رداءة أعمالهم، غير مكترثين بتقدمهم، وحاسبين بأن سعادتهم تقوم بمجد الفوز بالغزوات وتعدي بعضهم على حقوق بعض.

ومن أغرب الغرائب عدم سرور الاختيارية [كبار السن] منهم بالراحة الحاصلة الآن في أرجائهم، واحتسابها نداً لجبنهم، وتعدياً على حقوقهم، مع أنها قد أخذت[135] توافيهم بمجد صحيح، يليق بهم أن يشكروا من سعى في سبيل هدم حصون طالما أتتهم آبراجها بالرجوع القهقرى إلى الوراء.

ولكن الظاهر بأن الحالة الحاضرة [لا تعجب] من رَبِيَتْ سجيته على عدم الراحة، إتباعاً لقول المثل الدارج وهو: (من اعتاد على روائح الأقذار تجنب نفحات المسك).

أيام إبراهيم باشا :

وكانت أيدي الحكومة العثمانية غير فعالة في تلك الأرجاء. ومع ما اجتهد به إبراهيم باشا الفاتح المصري ليُدخل هذه البلاد إلى دائرة طاعته بوساطة قوته الجبرية لم يتمكن من ذلك، لأن رجال هذا الجبل كانت تقتله ببسالة لا مزيد عليها. وكانت توقع[136] أضراراً كثيرة بجنوده.

وقد سمعت بعض المتقدمين [بالسن] يقولون إن المرحوم إبراهيم باشا قد مدح بسالة رجالهم واقتحامها المنايا. وقال إن هذا الجبل قد أوجب فعل تأثير قوي به، وتأخير ليس بقليل على أعماله.

---

(134) . في الأصل مرسحاً.

(135) . في الأصل: اخذت بان توافيهم وقد حذفنا بان لأنها زائدة.

(136) . في الأصل: تلقي

فهذا من جهة، وأما من جهة أخرى فأقول بناءً على بعض براهين أعتمدها من جملة الأمور الدالة على فوز إبراهيم باشا على الجبل واستيلائه عليه، إن كان بقوة جبرية حربية أو بواسطة خلافها، هو ما شاهدت في بعض الأشخاص، فإنني شاهدت نحو أربعة أشخاص مقطعة السبابات من أيدهم اليمنى، وقد كنت أسأل كلاً منهم عن ذلك، فيجيبني بأنني قد قطعت أصبعي كيلا أدخل في عسكرية إبراهيم باشا.

وقد عاينت نحو سبعة أشخاص وقالوا لي إننا دخلنا في عسكرية إبراهيم باشا، وكذلك وجود كثير من المصريين قاطنين بين الأهالي ومتملكين، وكان أول دخولهم واستيطانهم في هذه المحلات من أيام الدولة المصرية.

فمن ذلك نقدر أن نستنتج، بأن ذلك الجبار المصري قد أخضع هذا الجبل إلى حكومته العسكرية. وهناك شيء آخر يدلنا على ذلك أيضاً وسوف يأتي ذكره في محله.

الزراعة :

أما هذا الجبل فقد كان قديماً من نصيب سبط يهوذا [!]، وهو ذو تربة جيدة وأراضيه مخصبة للغاية، وأما مزروعاته في هذه الزمان فهي الحنطة والشعير، وفي بعض الأماكن يزرعون العدس والذرة البيضاء الشبشولية.

ومن أشجاره المثمرة الزيتون: فإنه يوجد فيه بكثرة وخصوصاً في مدينة خليل الرحمن والجهات الغربية، وكذلك الكرم، فإنه يوجد فيه بكثرة كلّية، وأكثره في الجهات الجنوبية من الجبل، وبقية الجهات قد أخذ أهلها بالاعتناء في أمر غرسه، وربما بعد مدة قصيرة سيتقدم بالنمو تقدماً يوافي الأهلين بفوائد جسيمة، كما كان في الأيام السالفة.

فإنه بحسب ما يستدل من آثار معاصر الخمر الكثيرة الموجودة في كل مكان وخربة منهُ، بأن الكرم كان ذا محاصيل يصعب على القارئ تصديقُها إذا قررنا تعديلاً لها.

واحترازاً من ذلك نقول بأنه يوجد في هذا الجبل من معاصر الخمر ما ينوف عن الألفين وربما أكثر كثيراً، لأنك في كل صخر صامد قريب من قرية أو خربة، تشاهد عدداً ليس بقليل من تلك المعاصر الكبيرة الدالة على عظمة السالفين، وشدة رغبتهم في شرب الخمر وإدمانه، وفضلاً عما ذكر نقدر بأن نقيم من نفس الكتب المقدسة برهاناً عن تقدم غرس الكرم في الأزمنة السالفة، ونموه في هذا الجبل، فإنه يذكر في الكتب المقدسة بأن يشوع وكالب أتيا من وادي أشكول بعنقودٍ من العنب كبير جداً حملوه على عصاة.

تنبيه :

إن وادي أشكول هو وادٍ كبيرٌ ذو تربةٍ حسنة، مبنية فيه مدينة خليل الرحمن، وبه كروم كثيرة من العنب والزيتون والسفرجل، وأراضيه جيدة جداً.

ثم لا بد من أن يشتاق القارئ كثيراً ليرى خبراً عن العنب في هذا الوادي الشهير قديماً، وكيف يمكن أن يوجد عنقود عنب واحد بالحجم المذكور في الكتب المقدسة، وبناء على ذلك نقول: إننا بحسب ما قادنا إليه فكرنا بعد البحث المدقق، وجدنا أنه لا يوجد عنب في كل جهات سوريا وربما في العالم أجمع بكبر عنقوده.

كذلك ومن المحال أن يكون موجوداً جنس مثل هذا في الأزمنة القديمة، وقد فقد من العالم، بحسب رأي البعض، فإنه لو كان يوجد كذا جنس لما تلاشى وجوده مع ما نجده عند جميع القبائل والطوائف في الاعتناء في أمر هذا الصنف.

وقولنا هذا ليس لمقاومة[137] قول الكتب المقدسة، بل لنوضح الأمر على ما هو، إذ بوساطة ذلك يزداد القارئ تأكيداً بأن الكتب المقدسة موحى بها من الله تعالى، ولم تفعل بها يد كما يزعم البعض، وبناء على ذلك نقول: إنه لا يخفى على كل من نظر إلى جفن العنب في هذه البلاد بأن الجفن قصير ولا يكبر ولا يفرع أغصاناً كبقية الدوالي في غير بلادٍ.

ومن المعلوم بأن الأهلين هنا يرفعون الدالية عن الأرض بعصاة طولها من الذراع إلى ذراع ونصف، وحملها يكون في جوفها على بعد ذراع من جذرها، وعند سنة الإقبال التي يصح، وبالأحرى يقبل بها الكرم، يصير محمول الجفنة الواحدة نحو خمسة عشر وعشرين رطلاً، وبعضها يضحي حملها في جوفها حتى يظنه الناظر كأنه عنقود واحد، ولا شك بأن يشوع وكالب قد أخذا عندما أتيا يتجسسان الأرض جفنة برمتها ذات إقبال، حتى أضحت كعنقود واحد. فسبحان من يخلق ما يشاء، ومن أنار علينا نور الحق بوساطة كتابه المقدس، وتشهد لسموِّه والإيحاء به من الله، بساطته واقتصاره على تقرير الأمور على ما هي عليه بدون التعرض لتعليل، إذ جعل التعليل والعمق بها من الأسرار التي تدخل على صونها وسموها)...

ثم، ويكثر في هذا الجبل التين الأسود، ويوجد أيضاً نوع من التين الأبيض، وكلاهما في الحجم كالتين البعل الذي يصير في القرى[138] الشامية. وفي بعض الجهات يزرعون شيئاً من التفاح وخلافه من الأشجار ذات الأثمار.

---

(137). في الأصل: لنقاوم

(138). في الأصل: القرايا.

المياه والآبار :

ثم، وأكثر قرى هذا الجبل ليس فيها ماء نبع، بل تشرب من ماء المطر، ولهذا نجد الآبار المنقورة[139] في الصخر فيها كثيرة، وجميعها من شغل السكان الأصليين، وقد كان البئر من البنيات التي تكلف الذين يقومون بها مصاريف عظيمة. ونستدل على ذلك من المخاصمات التي جرت بين عبيد إبراهيم وعبيد أبي مالك، وبين عبيد إسحق وعبيد أبي مالك أيضاً. وأما ماء النبع فيوجد في محلات متفرقة من هذا الجبل، وأشهره عين الذروة التي تقدم الكلام عنها، وشهرتها لوقوعها على الطريق بين الخليل والقدس، وأكثره إلى جهة الغرب من الخليل على بعد ساعة تقريباً، وهناك نحو عشرِ عيونِ ماء. فإنه برأس الوادي المسمى بوادي (أبو الغور) ثلاث عيون ماءٍ، وفي وسط الوادي ست عيون ونيف، وبوادي الفراديس الملاصق لوادي (أبو الغور) أربع عيون، وبين خربة الهجري وخربة الدلبة عين ماء تسمى نبع حفير، وفي هذا المحل كانت دبير وهي الحقل الذي أعطاه كالب لابنته.

ومما قادنا إلى معرفته [...][140] حتى الآن كثرة المياه التي هناك. مع كونه ليس هناك مياه نبع في هذه المحلات من جبل الخليل من تلك الجهة خلاف ما ذكر.

والكتاب يقول: إن كالب الذي كان ساكناً في الخليل التي هي حبرون، قد أعطى ابنته العيون العليا والعيون السفلى، وليس بغير هذا المحل عيون كهذه سوى في المحل المذكور... وهناك خلاف المياه المذكورة في خلاف جهات، ومن عادة أصحابها أن يزرعوا بها بعض الخضر فتأتي بإقبال وافرٍ، ويكبر حجم ما يزرع بها خلا الفجل. وقد شاهدت عند عين الذروة البندورة الواحدة تبلغ ماية وخمسين ديكا.

العائلات الحاكمة :

وبقي هذا الجبل تحت تسلط حكامه[141]، من أهالي البلاد، إلى أن اشتعلت نيران الحرب [بينهم و]بين حضرة الوزير المحبوب ثريّا باشا. وكان ابتداؤها سنة 1858م، ودامت إلى سنة 1861م، حيث أسر البعض من أمرائه وساقهم تحت الحفظ إلى دار السعادة كما يأتي.

وهذا جدول كل مقاطعة مع قراها وعدد سكانها واسم العائلة التي كانت تحكمها منذ التاريخ الذي قدرنا أن نصل إليه أي من أيام الفاتح المصري إبراهيم باشا.

---

[139] . في الأصل التي

[140] . كلمتان غير مفهومتين

[141] . في الأصل: سكانه الذين من اهاليالخ

أولاً . مقاطعة اللحام :

وآخر من اشتهر من حكامها، وكان آخرهم هو عثمان اللحام، و[قد] نال سطوة ونفوذاً بالبلاد أكثر ممن سبقة من حكام مقاطعته، وكان يخشى سطوته العرب [البدو والفلاحون (تنبيه: إن سكان جبل الخليل اسمهم قيسيين ولا نعلم لأي قيس منسوبين).

عدد	أسماء القرى	عدد سكان	مذهب[142] الأهالي
1	بيت عطاب (وتبعد أربع ساعات عن الرملة شرقاً مسكن بيت اللحام)	700	مسلمون جميعاً
1	علار العليا	400	مسلمون جميعاً
1	وادي فوكين	500	مسلمون جميعاً
1	علار التحتا	400	مسلمون جميعاً
1	جراش [جرش]	500	مسلمون جميعاً
1	دير الهوا	400	مسلمون جميعاً
1	دير الشيخ	400	مسلمون جميعاً
1	حوسان	400	مسلمون جميعاً
1	عرتوف [عرطوف]	500	مسلمون جميعاً
1	إشوع	400	مسلمون جميعاً
1	صرعا (على بعد ساعة من بيت عطاب وهي حدود بلاد اللحام)	400	مسلمون جميعاً
1	بيت نتيف	500	مسلمون جميعاً
1	زكريا	400	مسلمون جميعاً
1	بيت محسير (تبع أبو غوش)	450	مسلمون جميعاً
1	بيت الجمال (تبع الرملة)	400	مسلمون جميعاً
15	مجموع القرى	6800 [143]	[المجموع]

---

(142) . في الأصل: اجناس اهلها.

(143) . في الأصل: 7000 وهو خطا.

إن جميع قرى هذه المقاطعة واقعة إلى جهة الشمال الغربي من مدينة خليل الرحمن.

المقاطعة الثانية . مقاطعة بيت عيسى عمرو :

آخر من اشتهر بها من حكامها الوطنيين عبد الرحمن عيسى، وهي من أقوى مقاطعات هذا الجبل وأكثرها سكاناً.

عدد	أسماء المدن القرى		عدد سكان	مذهب الأهالي
1	مدينة الخليل		12.000	8.000 مسلمون 4.000 يهود سكناج
1	بيت فجار	من حدود الجبل الشمالية	250	مسلمون جميعاً
1	بيت كاحل	من حدود الجبل الشمالية	400	مسلمون جميعاً
1	سعير	من حدود الجبل الشمالية	500	مسلمون جميعاً
1	الشيوخ	من حدود الجبل الشمالية	450	مسلمون جميعاً
1	حلحول	من حدود الجبل الشمالية	500	مسلمون جميعاً
1	يطا	جنوب شرقي من الخليل	500	مسلمون جميعاً
1	السموع	جنوب شرقي من الخليل	؟	مسلمون جميعاً
1	بني نعيم	شرق من الخليل	500	مسلمون جميعاً
1	الظاهرية	جنوب	450	مسلمون جميعاً
1	دورا (سكن أولاد عيسى)	عرب [بدو] من الخليل	3000	مسلمون جميعاً
1	تفوح	عرب [بدو] من الخليل	600	مسلمون جميعاً
1	إدنا	عرب [بدو] من الخليل	550	مسلمون جميعاً
1	الدوايمة	عرب [بدو] من الخليل	500	مسلمون جميعاً
1	سبتا (شمال الخليل على بعد عشرة دقائق)		5	نصارى وهناك دير للمسكوب
15	مجموع القرى		20.205	وفيها دور للمسكوب أي الروس.

المقاطعة الثالثة ، تخص بيت العزة :

وهي كانت من المقاطعات الشهيرة في قوة رجالها ومقدرتهم، وجميع قراها واقعة إلى الغرب من مدينة خليل الرحمن، وآخر من اشتهر من رجالها وكانت في مدته طاعتها للدولة العلية، ودخولها في دائرة الخضوع هو مصلح العزة:

عدد	اسم القرى	عدد سكان	جنس الأهالي
1	القبيبة	600	مسلمون جميعاً
1	بيت جبرين (على حدود الجبل الغربية وهي مسكن بيت العزة)	600 (مات نصفهم في سنة 1874م)	مسلمون جميعاً
1	دير نخاس	500	مسلمون جميعاً
1	كدنا	800	مسلمون جميعاً
1	رعنا	650	مسلمون جميعاً
1	عجور	500	مسلمون جميعاً
1	تل الصافي	500 (مات نحو ماية وخمسين شخصاً سنة 1874م)	مسلمون جميعاً
1	زيتا	450	مسلمون جميعاً
1	دير الدبان	600	مسلمون جميعاً
1	ذكرين البردان	700	مسلمون جميعاً
10	مجموع القرى	5700	مسلمون جميعاً

(تنبيه) إن هذه المقاطعة قد تناقص عدد أهلها في هذه السنة، أي سنة 1874 مسيحية، قريب خمسمائة نفس، وذلك لشدة فعل الأمراض والأوبئة بها، وأكثر ذلك كان في بيت جبرين وتل الصافي وما يشابههما من القرى.

المقاطعة الرابعة ، تخص بيت العمله :

وأخر حكامها هو نمر العملة، وهذه المقاطعة هي أصغر مما قبلها، ومع ذلك لم تكن أنقص أهمية من غيرها عند الاقتضاء وانتشار نيران الحروب، فإن جميع رجالها

باسلون كبقية رجال الجبل، ولا يهابون المنايا وهذه أسماء قراها مع ذكر عدد سكان كل منها :

عدد	اسم القرى	عدد السكان	مذهب الأهالي
1	ترقومية	800	مسلمون جميعاً
1	نوبا	600	مسلمون جميعاً
1	خاراس	500	مسلمون جميعاً
1	بيت أولى[144] (وهي مركز الحكومة السالفة أو قصبة هذه المقاطعة)	1000	مسلمون جميعاً
1	صوريف	600	مسلمون جميعاً
1	أم البرج	0000	مسلمون جميعاً
1	سنابره وأم البرج (خربتا منذ عشرين سنة بحرب أهلية)	0000	مسلمون جميعاً
7	مجموع القرى	3500	مسلمون جميعاً

فيكون مجموع هذا الجبل: مدينة واحدة، واثنتين وأربعين قرية[145]، وديراً واحداً[146].

عدد سكانه :

(تنبيه إن أعداد السكان التي ذكرناها هنا هي بوجه[147] التقريب وقد فحصنا فحصاً مدققاً عن ذلك من الفلاحين سكان البلاد، وإن شاء الله سنتوصل إلى الحقيقة تماماً من دفتر الحكومة.

إذا فزنا بما يمكننا من ذلك، وإلاّ فنظن بأن تقريرنا المذكور هو قريب من الحقيقة جداً، إذا ما كان الحقيقة عينها، وإجمالياً هو كما في الجدول الآتي:

(144) . الآن اسمها بيت اولا.

(145) . في الأصل: وقرية عدد 42.

(146) . في الأصل: ودير عدد واحد.

(147) . في الأصل: بنوع

	يهود عدد	نصارى عدد	مسلمون عدد
في مقاطعة بيت اللحام، وهي إلى الجهات الشمالية الغربية من مدينة الخليل	0000	000	7000
في مقاطعة بيت عمرو، وهي إلى الشمال الجنوب والشرق والغرب من جبل الخليل	4000	005	16205
في مقاطعة بيت الفرة، وهي إلى غرب الخليل	0000	000	5700
في مقاطعة نمر العملة، وهي إلى الغرب من الخليل	0000	000	3500
	4000	005	32405

ليكون العدد العمومي عدد 36405.

الصحة :

ثم إن جميع مسلمي هذا الجبل، هم على جانب عظيم من القوة والبسالة، وأجسامهم صحيحة لجودة الهواء. فإن هواءهم جيد للغاية ويقوي الأبدان، ولو كان يوجد عند الأهلين، ولو بعض الاعتناء في أمر النظافة، لكانت أجسامهم أحسن بنية مما هي عليه الآن. ومعدل أعمارهم أطول كثيراً، وخصوصاً في زمان سادت عليهم به أيدي الراحة، وقطعت من بينهم أسباب الحروب الأهلية وخلافها والتعديات وحجبت سفك الدماء.

وليتهم ينتبهون لذلك، فتقطع من بينهم أسباب الأمراض الوبائية التي توافيهم في سني الأمطار الغزيرة، فإنه عندما تكثر الأمطار كالسنة الحالية التي هي سنة 1874 مسيحية، توافيهم عقبها بعض أمراض فتاكة، تفعل بهم فعلاً مريعاً ومحزناً، فإنها تغلق[148] [قرى] كثيرة، وتقتل كل أهلها. وأكثر هذه الأمراض يكون ابتداء دخولها إلى الجهات الغربية من هذا الجبل، حيثما يوجد مياه نبعية. والذي يساعدها على الامتداد والفتك: الأسباب التي تقدم ذكرها، وعدم وجود أطباء لمنع سريانها.

---

(148). في الأصل: تسكّر.

التعليم :

وأما أحوال هذا الجبل الأدبية فمتأخرة جداً، فإنه مع كثرة قراه لا يوجد به مدرسة سوى بعض مدارس ابتدائية في مدينة الخليل، لأجل تعليم القراءة البسيطة، ومدرسة في قرية دورا التي هي أكبر قرى هذا الجبل. وقد تأسست منذ أربع سنين، وهي لدرس القراءة البسيطة.

وحتى الآن لم يخرج من تلامذتها من يعرف غير الحروف الهجائية، والحركات، وأبجد هوز، وخلاف ذلك لا يوجد تقدم سوى أن ابن أستاذها صار يعرف أن يتلو بعض آياتٍ من الفرقان. وأظن أن هذه المدرسة مع ضعف الوسائط الموجودة بها لا تأتي بفائدة، ووجودها كالعدم، وكم نتمنى[149] لو أعتنت حكومة البلاد وأرغمت الأهلين ليعلموا أولادهم، بعد أن تفتح لهم مدارس تتكفل بتقدمهم وانهاضهم من حماءة الجهالة وارسالهم إلى جنات النور وحدائق المعارف.

ولكن لابد من أن يأتي يوم تفوز فيه هذه البلاد بتقدم من هذا القبيل، لأن أنوار المعارف قد أخذت[150] تدخل عموم أنحاء بلادنا.

إن عدد من يحسنون القراءة البسيطة في هذا الجبل لا يتجاوز الثلاثمائة، وكلهم من الخليل، ولولا ما يتعيشون منها بواسطة ترتيبهم خطباء على قرى جبلهم، لما وجد عندهم اجتهاد لذلك.

غير أنه يوجد من أصل الثلاثمائة المذكورة نحو عشرين رجلاً من المصريين يحسنونها، وهم خطباء في بعض القرى لهم معينات سنوية في محلات خداماتهم. والخطيب عندهم مولجة به كتابة الضيعة وتقسيم أموالها وجمعها واعطاء الوصولات، وعلى الشيخ إنفاذ ذلك بين الفلاحين، ودفع الأبدال إلى الحكومة بمساعدة الخطيب، ولكل قرية شيخان، وخطيب أو خطيبان، ومجلس اختارية، وذلك من الأمور الغريبة، [أي] وجود خطيبين، فإن كل قرية من قرى هذا الجبل مقسومة إلى حلفين، يضاد بعضهما بعضاً في بعض الأمور، وفي كل قرية منزولان أو منزول واحد. [و] المنزول محل لقرى الضيوف ويصرف عليه الأهلون بالدور.

أخلاقهم :

إن نفس سكان هذا الجبل (خلا سكان مدينة الخليل لأنه سيأتي الكلام عليها في

---

(149) . في الأصل: وياحبذا.

(150) . في الأصل: اخذت بأن تدخل

محله إجابة لوعدنا من قبل) مدنية من وجه، ولو وجد عند أهله شيء من المعارف لما كانوا كذلك مع ما هم عليه من البسالة والشجاعة والقوة، ومن وجه آخر كرماء الأخلاق بعيدون عن الغدر، ويحبون ضيف منزولهم كثيراً ويكرمونه بقدر استطاعتهم، وهم من هذه الجهة كالعرب البدو وعندهم محافظة كلية على العرض.

نساؤهم :

ونساؤهم لسن بجميلات، وحسنة المنظر عندهم نادرة الوجود، وأكثرهم، أو جميعهم، سمر الألوان نساءً ورجالاً، ورجالهم أجمل منظراً وأشدُّ بهاءً من النساء.

والمرغوبة عندهم المرأة القوية الجسم، القادرة على الأعمال، وهم يشترون النساء شراءً بثمن ظاهر كالعبيد، ولا حرية لنسائهم البتة[152].

ومن الأمور المطلوبة من المرأة، أن تقوم بكل خدمات البيت، وبأشغال كثيرة في الحقل، وجميع الأتعاب الشاقة متعلقة بها، حتى أنني وجدت نساءً كثيرات يحرثن الأرض، وقد شاهدت إنساناً في إحدى براري هذا الجبل، شاداً امرأته مع حمار صغير يحرث عليها الأرض، كأنها بقرة أو حمار[153].

والنتيجة أن النساء عندهم تقوم بأكثر الأعمال، والرجال في أيام الفراغ، أي الأيام التي لا يكون عندهم بها شغل في الحراثة يتسامرون في المنزول، أو يتوسدون على المزابل، ويتركون الأعمال لنسائهم وبناتهم، وما عليهم إلا مضاجعة نسائهم فإنهم ممحونون بذلك كثيراً، وقد سألت بعض الرجال والنساء عن أسباب كسل الرجال، فكانوا يجيبون بأن الرجال تكفيها أشغال الليل (يريدون بأشغال الليل الجماع).

ومنه عادات نسائهم أن يتدققن [أي يشمن] وجوههن وأيديهن بالدق الأزرق كما تفعل نساء البدو في الجهات الشمالية، ونساء سكان حوران، ويعدون ذلك من المحاسن الصناعية الواجبة.

وأما أشغال الرجال، فهي حراثة الأراضي في أيام الشتاء بمساعدة النساء، وقطع الأغصان من الأحراش لعمل الفحم ونقله إلى القدس وبيعه هناك.

---

[152] . يقصد مهر العروس

[153] . لعله يبالغ قليلاً فقد ذكر في أول الكتاب انه سمع من البعض بأنهم يحرثون على نسائهم، والآن يقول إنه شاهد ذلك في إحدى البراري

وشغل الصبيان رعاية المواشي، فإن الأهالي أغنياء بها كثيراً بالنسبة لسكان هذه البلاد، وذلك لكثرة المراعي لها، الناتجة عن خصب الأراضي وجودتها.

وشغل البنات مساعدة أمهاتهن في الأشغال، ومشاركتهن في الأتعاب ويمارسن ذلك، حتى يصلحن أن يكن أهلاً لبيوت من يتزوجن بهم من الرجال. وقد يوجد بين النساء كثيرات أعينهن مشركة لأنهن يحملن الأحمال الثقيلة على رؤوسهن.

ملابسهم :

إن ملابس سكان هذا الجبل كالعرب [البدو] تماماً، فإن الرجال يلبسون ثوباً أبيض ذا أردان طويلة، وفوقه عباءة، والنساء يلبسن ثوباً أزرق وفوقه عباءة. أيضاً زنارية يلبسنها في أيام الشتاء، ولا يقتني الرجل منهم غير ثوب واحد وعباءة واحدة، وإن كان غنياً فيكون عنده ثوبان وعباءة سوداء شغل بلاد غزة أومصر. والذي ليس بغني فعباءته زرقاء أو بيضاء بغدادية أو[١٩٤] شامية [أي دمشقية] بيضاء مدققة. وعندما يغسل ثوبه يتشح بعباءته.

غير أن المرأة وقت عرسها تقتني ثوباً مقلماً من الشقف السلطانية التي تشغل في الشام [أي دمشق] وكثيراً أيضاً من الخام. وسوف يأتي إيضاح ذلك في محله.

تنبيه :

إن بعض المشايخ يلبسون أكباراً وبعضهم قنابيز، غير أن الشيخ لا يقتني أكثر من كبر أبيض أو كبرين وقنبازين أو ثلاثة، ولابد أن يكون واحد منهما أبيض، وزنار للجميع، رجالاً ونساءً، من جلد يعملونه أقشطة، وأكثره يرد من الشام [دمشق]، وعلى رؤوسهم يلبسون طربوشاً فرنساوياً له طرة زرقاء، وكل خيط منها في رأسه شرية صغيرة، ويلفون فوقه كفيَّة كبيرة بغدادية، والبعض يلفون شاشية بيضاء كبيرة. والنساء يلبسن طاقية من قماش أزرق، لها زناق يربط تحت العنق، ويعلق في أطرافه قطعة من العملة، وأكثر ذلك الريال العمود أو ريال أبو شوشة.

وأما النساء فجميعهن حفاة ولا تلبس الواحدة منهن بأرجلها سوى مداس يوم عرسها، والعزيزة على قلب رجلها تلبس أحياناً مداساً، والرجال كثيرٌ منهم يمشون حفاة أيضاً.

---

(١٩٤). في الأصل ام

قرى الضيف :

من عادات سكان قرى هذا الجبل أن يتناولوا الطعام كل ليلة في منزول البلد، ويأكلون من الذبائح التي تذبح به للضيوف، وإذا كان هناك ضيف واحد فلابد من ذبح رأس غنم أو أكثر، وطبخ كمية ليست بقليلة من القمح المجروش والأرز.

ومن عادتهم عندما يتناولون الطعام، أن يجلس الضيوف أولاً على المائدة في الصف الأول، ويبتدئون في مناولته الأهلين بقولهم: (هاك يا غانم). ثم يتناول الضيف لقمة ويناول الثانية لرجل من الأهلين. وهكذا حتى ينتهي الطعام.

وأما النساء فليس لهن نصيب بأكل اللحم سوى في الأعياد ويوم الدور الذي يصيب رجالهن في الضيافة، فإنهن يأكلن هن وجاراتهن ويذقن شيئاً من اللحم. وقد يصيبهن أيضاً جانبٌ منه في الأعراس وعند إقامة الأفراح كالطهورات [أي ختان الذكور من الأولاد]، وعند عودة أحد الرجال من العسكرية وما شاكل ذلك.

واردات :

ليس في هذا الجبل شيء من الصنائع يعتد به سوى الحراثة وشغل خشبها (تنبيه إن أكثر كلامنا أو جميعه عن هذا الجبل قد أستثنينا منه مدينة الخليل لأننا سنتكلم عنها[155] وحدها كما وعدنا أن نفرز لذلك محلاً مخصوصاً). وليس هناك تجارة مطلقاً سوى [التجارة] بالحبوب والزيت وقليل من الدبس والتين المقدد، وواردات هذا الجبل أكثرها شامية [دمشقية] فإن العبي التي هي جانب عظيم من كسوتهم ترد لهم منها، كذلك الكفاية [الكوفيات] ترد لهم عن طريق الشام، وإن كان بعضها شامية وبعضها شغل بغداد. وأكثر لوازم الفلاحة ترد من الشام، وكذلك ملابس نسائهم.

وأما ما يرد من آوروبا لهم فهو: الخام، والطرابيش، والجلد، والنحاس، وجميع ذلك يرد لمدينة خليل الرحمن ومنها يتفرق في القرى.

وأسلحتهم يستجلبونها من مصر والقدس والذين يقتنونه من السلاح هو البارودة (وجميع بواريدهم حديثة وقديمة يقولون إن أكثرها من أيام إبراهيم باشا) والبعض سيف جالس، والبعض يقتنون زيادة عن ذلك فرد غدارة، وكل ذكر منهم يبلغ الأثنتي عشرة سنة يقتني بندقية.

---

[155]. في الأصل: عليها.

[المواقع التي تم اكتشافها]

يوم الأربعاء في 7 تشرين الأول غربي سنة 1874م

الاكتشاف في جبل الخليل لجهة الشمال الغربي والشمال من الخليل:

[النوع]	[الاسم]	[الحالة]	[الوصف]
بئر	الرامة	خراب الرامة	شمال الخليل يوجد بها بناء عظيم مربع الشكل
بئر جمع	اجدا[156]	خربة اجدا	شمال غربي الخليل على رأس تل مرتفع
جبل	رأس الينبوع	-	شمال غربي الخليل
قرية	النبي يونس	عامرة	على تل عالٍ شمال الخليل وهو في قرية حلحول
قرية	حطحان [حبطان]	عامرة	على تل عالٍ شمال الخليل
قرية	منين		على تل عالٍ شمال الخليل
قرية	بقارية[157]	خربة	على تل عالٍ شمال الخليل
قرية	بيت كاحل	عامرة	على تل عالٍ شمال غربي الخليل
قرية	عين القوف	عامرة	على تل عالٍ شمال غربي الخليل
قرية	بيت أومُر	عمار	على تل عالٍ شمال غربي الخليل
	وادي السُود أو وادي عين القوف		
	وادي برج حسكة شمال وادي القوف على بعد مسافة قليلة		
قرية	الطيبة[158]	خربة	

---

(156) . تسمى الآن خربة جدايا في جنوب قرية بيت نتيف بها أساسات، وصهاريج منقورة في الصخر، ومعصرة زيت مع قوائمها.

(157) . اسمها الآن بقار وتقع في الشمال الغربي من حلحول وفي بقار نبع حمل اسمها. وهي موقع اثري يحتوي على: جدران متهدمة، واسساً، وصهاريج ومغائر.

(158) . خربة الطيبة: تقع بين قريتي «إدنا» و«حلحول»، ترتفع 784 متراً عن سطح البحر، بها: بقايا ابنية وعقود، ومدافن

قرية	إدْنَه [إدنا]	عامرة	جنوب غربي من الخليل
قرية	الدّوايمة	عامرة	جنوب غربي من الخليل
قرية	تفوح		جنوب غربي من الخليل
قرية	دورا		غربي الخليل بانحراف إلى الجنوب
قرية	النبي نوح[159]		غربي الخليل بانحراف إلى الجنوب في قرية نيين
قرية	النُعَيْمية[160] وبها مقام النبي لوط		شرقي الخليل
قرية	تل النحزاح		
قرية	مجدل فصيل	خربة	

يوم الخميس في 8 تشرين الأول غربي سنة 1874م

قرية	بيت فجّار	عامرة	على قمة جبل عال جنوبي من القدس
جبل	رأس طورا ويسمى أيضاً مصلى إبراهيم		إلى الجنوب من القدس
قرية	قصر أم ليمونة	خربة	إلى جهة الجنوب الشرقي من القدس
	قرت الجاموس (اسم صخر عظيم) بتل المينة		إلى الشرق من قصر أم ليمونة
بلد	تكّوع [تقّوع]	خراب	في تل جنوبي أم ليمونة على بعد ربع ساعة
وادي	العَرُوب		في سفح الجبل المبنية عليه [قرية] بيت فجار
بركة	العَرُوب		قيل إن المياه كانت تجري منها بقناة إلى برك سليمان ولم تزل آثار القناة موجودة إلى الآن

منقورة في الصخر إلى الجنوب

(159). مقام النبي نوح يقع حالياً في قرية دورا.

(160). هي قرية بني انعيم

بئر	الكسني		بئر في وادي العروب لجهة الجنوب منه
برج	الطُفوف		جنوب شرقي القدس
خربة	شعسنّة		جنوب شرقي القدس
خربة	كوفين		جنوب شرقي القدس على الطريق بين القدس والخليل
خربة	إجْدُور[161]		جنوب غربي من القدس ومذكورة في الكتب المقدسة (يشوع 15: 58)
خربة	بيت إسْكاري[162]	يوجد هناك بلوطة كبيرة	جنوب غربي من القدس ومذكورة في الكتب المقدسة
خربة	بيت ساوير		شرقي بيت اسكاري على بعد قليل
خربة كبيرة	ابرَيْكُوت		قرب ساوير إلى جهة الشمال الشرقي
وادي	الدور		واسمها في الكتب المقدسة وادي بسط
جبل	رأس القاضي		جنوبي الطريق بين القدس والخليل
خربة	بيت خيران		بالقرب من قرية فلحول
خربة	القط		شمالي الطريق بين القدس والخليل قبالة وادي الدروز

يوم الجمعة في 9 تشرين الأول غربي سنة 1874م

وادي	الشرق		وهو يمتد من قرية حلحول إلى وادي كويزيبا شمالاً
مغارة	الجمجمة		وهي في وادي الشرق شمال الطريق على بعد ثلث ساعة من حلحول، وهي منقورة قيل إنها تتسع لثلاثمائة رأس غنم
مغارة	الشرق		في وادي الشرق منقورة بالصخر وهي جنوبي الطريق على بعد قليل من مغارة الجمجمة

[161] . تسمى الآن جْدور، وتقع في الشمال الغربي من بيت أمّرْ.

[162] . تسمى الآن خربة عراق السكاري

قرية	الشيخ إبراهيم الهدمي	عامرة	إلى الجنوب من رأس المصلى
جبل	رأس مصلى الشيخ إبراهيم أو رأس طورا		وهو يمتد من قرية الشيخ إبراهيم نحو الشمال حتى ينتهي في وادي العروب
قرية	سعير وفيها مقام عيسو	عامرة	وهي إلى الجنوب الغربي من رأس طورا
وادي	كويزيبا		وهو بسفح جبل المصلى يمتد من رأس وادي الشرق نحو الشمال حتى يتصل بوادي العروب
خربة	كويزيبا		بسفح جبل المصلى قرب رأس الوادي
	قناة الزعفران	محل شهير	جنوب شرقي من القدس وغربي رأس المصلى
قرية	حلحول	عامرة	جنوب شرقي القدس وشرقي رأس المصلى
	رجم السمّاعة		إلى الشمال من حلحول على بعد قليل
	بيت خيران	خربة	برأس تل القاضي شمال حلحول
	بيت صور	خربة	أمام عين الذروة على شمال الطريق بين القدس والخليل
	سور الصور		في بيت صور وهو من بناء المسلمين..
عين	الحُصَا		على الطريق بين القدس والخليل تحت حلحول
عين	الذروة الفوقا		على الطريق بين القدس والخليل تحت حلحول
عين	الذروة التَحتا		على الطريق بين القدس والخليل تحت حلحول
	قصر إحلابين أو خان الذروه		على عين الذروة وهو أثر كنيسة قديمة ظاهر للآن هيكلها وبها نواويس وأثر قناتين منقورتين بالصخر

بيت لحم

[حذاقة أهل بيت لحم، أحوالهم، لباسهم، تجارتهم، كنيسة المهد، التنازع على الكنيسة، خربة تَقُوع، عين جدي، بئر الشركة، سبة، عواصف وأمطار، عرب الجهالين]

بيت لحم :

يوم الخميس الواقع في 25 شباط غربي سنة 1875م خرجنا من القدس لأجل الشغل، بعد أن قطعنا في القدس ثلاثة أشهر ويوماً واحداً. فبعد أن سرنا ساعة ونصفاً: وصلنا إلى بيت لحم وهي إلى الجنوب الغربي من مدينة القدس، وهذه المدينة قديمة جداً ومنها داود النبيُ والملك، وبها ولد السيد المسيح من مريم العذراء في مزود للبقر.

حذاقة أهل بيت لحم :

وأهلها يبلغون نحو ألف رجل من النصارى وستين من المسلمين، وبناء على ذلك عدد سكانها يقارب الأربعة آلاف نفس[163]، وهم قوم أصحاب عقول حاذقة وفطانة عظيمة، فلو وجدت عندهم وسائط كافية لتقدمهم، لساروا بكل سهولة لأعلى درجاته، ومن الغرائب، تجد النساء والرجال يستطيعون أن يتكلموا بلغات بدون أن يعرفوا القراءة في اللغة العربية، فلذلك يحق أن يعدوا من أصحاب العقول الراقية[164] والفطانة والذكاء، إذ اتخذنا ذلك برهاناً عليها، فضلاً عن إدارتهم وحذقهم بشغل الصدف وبنقشه، الأمر الذي فاقوا به جميع من سواهم إن في أوروبا أو آسيا، ولهم نشاط في الأسفار، فإنه قلما تجد مملكة من ممالك أوروبا ولا تجد فيها ولو نفراً واحداً منهم، سار إليها برسم التجارة في صدفه المنقوش بأجمل النقوش وأرقها، وفي مسابحه المختلفة الأجناس والأشكال، وفي

---

[163] . تحسب الخانة، التي تكون باسم الرجل خلال الفترة العثمانية عادة، بخمسة اشخاص وسطياً.

[164] . في الأصل: الرايقة

كاساته المتنوعة المشغولة من حجر موسى (إن حجر موسى هو نوع من الحجارة أسود اللون يشبه الحجارة التي يصنعون منها ألواحاً لكتابة الأرقام الهندسية في المدارس).

أحوالهم :

وأهل هذه المدينة عندهم عدم القيام بالأشغال من الأمور المعيبة جداً (بخلاف جميع سكان البلاد حولهم، الذين يعدون الكسل من الأمور الشريفة)، فبوساطة جدهم تمكنوا من أن يجعلوا لبلدتهم أهمية تجارية في البلاد وحولهم، وقد فازوا بذلك فوزاً تاماً، حتى أن جميع العربان التي في تلك الجهات تأخذ بضائعها ولوازمها من عندهم، وقد أخذ يحذو حذوها بعض الفلاحين. وأهلها أكثرهم في يسار وراحة من جهة المعيشة، وهم بالإجمال أصحاء الأبدان لجودة الهواء عندهم، ونساؤهم حسنات الصورة، ويوجد بينهن كثيرات ممن يُحْسَبْنَ في أعلى طبقات الجمال، ورجالهم أيضاً حسنو الصورة وأشد، غير أنهم مع ما هم عليه من الحذاقة، لا تخلو طباعهم من نوع من الشراسة.

ومن تصرفهم مع نسائهم يظهر بأنهم حتى هذا الزمان النيِّر لم ينتظموا في سلك الحرية، ولا وضعوا أرجلهم ولا في درجة من سلم التمدن، فإنهم يستخدمون نساءهم كالعبيد ويشترونهن شراءً ولا يلبسوهن سوى الثوب، وفي أيام الشتاء عباءة زنارية فوقه، ويوجد كثيرات منهن بغير أقنبة صيفاً وشتاءً، وعليهن أن يقمن بأعمال نظير أعمال نساء جبل الخليل، اللواتي تقدم ذكرهن.

غير أنه لا يسوغ أن نعتبرهن مظلومات كأولئك، وإن كانت أتعابهن تكاد تكون واحدة، السبب لأن رجالهن يشاركونهن بأتعابٍ تكاد تكون كأتعابهن.

لباسهم :

ومن عادات النساء في هذه البلدة أن يلبسن على رؤوسهن شكلاً من الذهب أو الفضة. إن هذا الشكل لا يسوغ أن يكون سوى من العملة وأكثره يستعمل من الريال الشوشة أو البشله وهذا الشكل تصف أجزاؤه متلاصقة بعضها بجانب الآخر، وحينما تضعه المرأة[165] على رأسها تضيء حروفه على رأسها والجميع [..][166] واقفة. ولابد من أن نضع صورة لإحدى نسائهم إذ منها يقرب كل شيء على الفهم أكثر.

---

[165]. في الأصل: الحرمة

[166]. عبارة غير مقروءة



ثـم إن رجـال هــذه البلـدة قــد أخذوا[167] يرتبـون ملابسهم ترتيباً يوافق اصــطلاح أهــل المــدن، ومــن عــادتهم أن يلبــسوا علــى رؤوســهم طربوشــاً كالــذي يلبسه أهـالي الخليـل، ويلفـون فوقـه كفيـة مثلهم.

تجارتهم :

وأكثر واردات هذه البلدة التجارية مـن أشغال الشام [دمشق]، ولا يوجد ما يُصَدَّرُ منـها سـوى الـصدف المنقـوش، والمـسابح والأقـداح الحجريـة، وبعـض الحبـوب كـالقمح والشعير، وأكثر ذلك إذا ما قلنا كله يصدر منها إلى القدس ويتصرف هناك.

ويوجد في هذه المدينة نحو خمسة عشر دكانا لبيع البضائع، ودكاكين خلافها لشغل الكنادر والسرامي[168]، وبيع بعض الأشياء العطرية، وبها خستخانة[169]، وجميع بناياتها مـن الحجر الأبيض، ويبنونها طبقـة فوق الأخـرى حتى تـصل أحياناً لأربـع طبقـات، ومنظرهـا الخارجي جميل إذ ترى جميع البيوت بيضاء، ولها نوافذ في كل حجرة على الطريق، واحدة كبيرة أو عدد 2 صغار، وبعض البيوت لها في الطبقات العليا دواوين جميلة.

عادات :

وهذه المدينة محاطة بأودية عميقـة من كل جهاتهـا خلا بعض الغربيـة وجانـب مـن الشمالية الغربية، فإن الأرض هناك مرتفعة وعاليـة، ويحـيط بها بـساتين مـن كل جهاتهـا،

---

[167] . بان زائدة

[168] . الكنادر احذية النساء والصرامي أو السرامي احذية الرجال

[169] . اي مستشفى (تركية)

وأكثر أشجارها من الزيتون، ولها كروم كثيرة متفرقة في جهاتها، وأهلها يحبون كثيراً إدمان المسكرات كأهالي القدس، غير أنهم أقل منهم ميلاً إلى المنكرات.

ومن عادة أكثر نسائهم أن يُنزلن إلى القدس بعض محصولات أو حطباً لكي يبعنه، وبناء على ذلك أمست كثيرات منهن في مصاف فلاحات القدس اللواتي يعتبرن صون الفروج من الأمور المعيبة، وذات الإرادة منهن هي من تحصل بعض البارات بغير إعطاء ما يقابلها سوى تسليم ف..[171]

وأهاليها من روم ولاتين وبرتستانط ومسلمين. فالروم يبلغون ثلاثة أخماس الجميع، واللاتين ثلاثة أعشار، والبروتستانط ثلاث عائلات والمسلمون الباقي.

كنيسة المهد :

أما آثار هذه المدينة فمنها بئر كبيرة منقورة بالحجارة ولها ستة أفواه يسمونها آبار داوود، وهي واقعة إلى الشمال الشرقي من الطريق الموصلة إلى القدس، قبل أن تصل إلى المدينة بنحو مائة ذراع. وأخَصُ آثارها الكنيسة التي بها المبنية على المغارة التي ولد بها السيد المسيح، وهي كنيسة كبيرة بنيت في أيام الملك قسطنطين أول ملوك المسيحيين.

وهذه الكنيسة كبيرة يبلغ طولها نحو خمسين ذراعاً، وعرضها نحو ثلاثين، وهي قائمة على أربعة وأربعين عمود مركبة من أربعة صفوف، ولم يزل فوق تلك الأعمدة نحو السقف بعض صور قديمة مربعة من قطع صغيرة ذهبية كالفسيفسة. الكنيسة ودائرة هيكلها الآن قد أمست الكنيسة بذاتها، ويوجد قاطع من حائط بينها وبين فسحة الكنيسة، ودائرة الهيكل مقسومة بين الروم والأرمن والسريان والقبط. فالروم لهم الهيكل الأوسط والجانب الجنوبي، والسريان لهم هيكل وبالأحرى مائدة في الجانب الشمالي عند مدخل المغارة التي ولد بها المسيح، وهذه المائدة يقدس عليها القبط أيضاً، وإلى الشمال منها في الزاوية الأقصى مائدة للأرمن اليعقوبية، وما وراء ذلك كنيسة للاتين، وبها باب ينزل منه إلى المغارة التي ولد بها السيد المسيح له المجد، وهذا الباب وضع في جانب الكنيسة الجنوبي بقرب الباب، ويدخل لكنيسة اللاتين بباب قبالة هيكل الأرمن لجهة الغرب، وأما المغارة التي ولد بها السيد فينزل إليها بدرج صغير، وضمنها المزود والمهد. فالمزود للروم، والمهد للإفرنج[172]، وسوف يأتي رسم ذلك، وتقف على كل شيء بالتفصيل.

---

[171]. هكذا في الأصل

[172]. اي اللاتين وهم كاثوليك

التنازع على الكنيسة :

هذا ولا يخفى بأن هذه المغارة قد أمست في أوقات مختلفة موضوعاً لخصومات كثيرة بين الروم والإفرنج والأرمن، حتى أنه في السنة الماضية قد اتصلت بها الشرور بين الروم والإفرنج، وقد اتصلت إلى الباب الشمالي وأوجبت قالاً وقيلاً أشغل أعمدة كثيرة في الجرائد، وأقلق أفكار أرباب السياسة. وكانت أسبابه تعليق أيقونات قديمة فاعل بها السوس[173]، وتعليق ثوب على جدران المغارة، وكانت النتيجة تعليق الثوب من اللاتين، وتلك الأيقونات البالية فوق ذلك الثوب من الروم.

ومن جراء تلك القلاقل والشرور التزمت الدولة أن تبني هناك مسكناً للعساكر لأجل قطع النزاع وحفظ الراحة العمومية، وأن تجعل بيت لحم قائمقامية متعلقة في القدس الشريف، وكان ذلك في سنة 1872 مسيحية.

ويوجد دائماً في تلك القلعة بلك أو بلكان[174] من العساكر الشاهانية[175]، ونحو عشرين نفراً من الضابطين[176]، وعند الأعياد التي تصير في بيت لحم تلتزم تلك العساكر أن تدخل الكنيسة بسلاحها مع القائمقام لأجل حفظ السلام وحسم الشرور التي قلما تنقطع. أما الأعياد التي تصير بها قداديس احتفالية في كنيسة بيت لحم المذكورة، فهي عيد الميلاد عند الإفرنج واللاتين، وعيد الروم وعيد الأرمن، فعند حدوث هذه الأعياد يتقاطر إلى هناك زوار كثر[177] من القدس والقرى المجاورة ومن غير جهات، وخصوصاً عند عيد الروم فإنك تجد المسكوب [الروس] هناك أسراباً أسراباً، وكذلك كثيرون من الزوار اليونان، وكذلك عند عيد الأرمن فإنه يوجد هناك زوار كثر منهم من أقطار بعيدة وقريبة، وتجدهم في كسومة[178] وملابس متنوعة، وكل طائفة من الطوائف المذكورة عند ذلك العيد ملزوم بطريركها مع بعض مطارنتها أن يقدسوا هناك، وعند عيد اللاتين يذهب إلى هناك القنصل الفرنساوي، وعند عيد الروم قساوس المسكوب، وتصير ملاقاتهما احتفالية مع البطاركة، وكل يلاقيه أبناء مذهبه. وأما السريان والقبط فيقدسون بقداديس على الموائد المختصة بهم.

---

(173) . اي متآكلة

(174) . البلك: المجموعة العسكرية

(175) . أي العساكر السلطانية، هم جنود نظاميون

(176) . ويسمى ايضاً الضابطية اي عناصر الشرطة

(177) . في الأصل: كثيرة

(178) . جمع عامي لكلمة الكسم، وهي تعني الموديل بالمصطلحات المعاصرة

هذا، وكل عاقل لا يحب أن تكون تلك القداديس والصلوات الاحتفالية على ما هي عليه، ويفضل إبطالها من وجودها، فإن ساحة الكنيسة تصبح وقتئذ مسرحاً[179] لإدمان المسكرات وارتكاب المنكرات، وميداناً للخصومات والشرور والشتائم، وكل ما يأباه ذو العقل السليم. فيا حبذا لو انتبه عقلاء[180] القوم لذلك وسعوا في حسم أمور ترفع عن دياناتهم الإهانة والاحتقار، وتنسبهم إلى عدم الشهامة وفقدان الناموس.

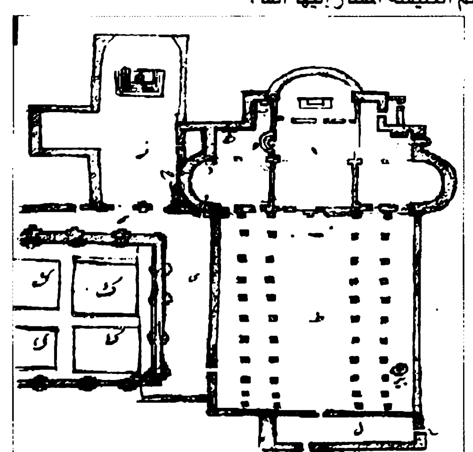
ثم إنه يوجد في هذه البلدة مدرسة للاتين لأجل الصبيان، ومدرسة أخرى للبنات عدد تلامذة الاثنتين تنوف عن الخمسين.

وكذلك بها مدرسة للروم ومدرسة للبروتستانط، وما يعلم في كل المدارس المذكورة العربية البسيطة، وفي مدرسة اللاتين تعلم اللغة الفرنساوية.

ويوجد بها أيضاً دير للروم، وهو أكبر الجميع، ودير للاتين، ودير للأرمن، والجميع متلاصق بعضهم ببعض. ومن عادة بعض الزوار في أيام الأعياد المار ذكرها، أن ينزل كلٌ في دير طائفته مدة إقامته في زيارته.

وبالأحرى مدة إطلاق عنان شهوته الوحشية، حيث يصل لميدان يمكنه من بلوغ مآربه والتمتع بفتياته.

هذا رسم الكنيسة المشار إليها آنفاً.



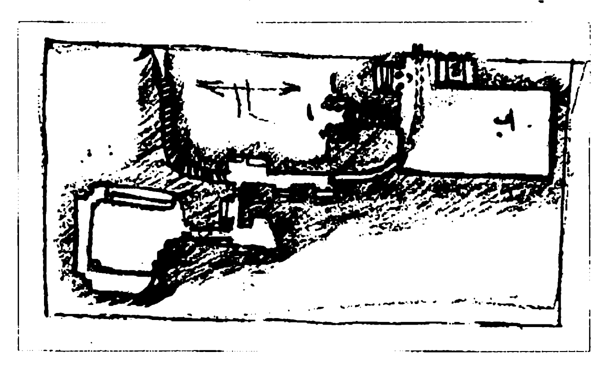
(179) في الأصل: مرسحاً.

(180) في الأصل عقّال.

فهذا رسم هذه الكنيسة الشهيرة والقديمة المبنية من أيام الملكة هيلانه في أوائل الجيل الرابع، وهذا تقسيمها فإن (أ) يخص الروم و (ب) السريان القدم [الأرثوذكس] و(ج) القبط و (د) الأرمن و(هـ) باب المغارة و (و) باب يؤدي إلى كنيسة اللاتين و(ز) كنيسة اللاتين و(ح) باب ينزل منه إلى المغارة ومنه مغارة متشعبة بها مقامات و(ط) الكنيسة القديمة المقسومة و(ي) رواق و(ك) حُجر و(ل) رواق خارجي و(م) باب يؤدي لدير الروم. إن سقف الكنيسة شاهق وقد اقيم حديثاً وهو من الخشب على شكل...[181]

وكنا نحب أن نضع هنا رسم دير الروم والأرمن واللاتين، ولكن حيث ما تيسر لنا ذلك، و[ما]لم نفز بأخذ رسمه تركناه هنا، ولابد من وضع رسمه إذا فزنا بأخذه في وقت من الأوقات، لتكون الفائدة تامة.

هذا وقد بقي علينا الآن أن نضع رسم المغارة المولود بها السيد مع المغارة الأخرى المتصلة بها، التي ينزل إليها من دير اللاتين وتخصهم.



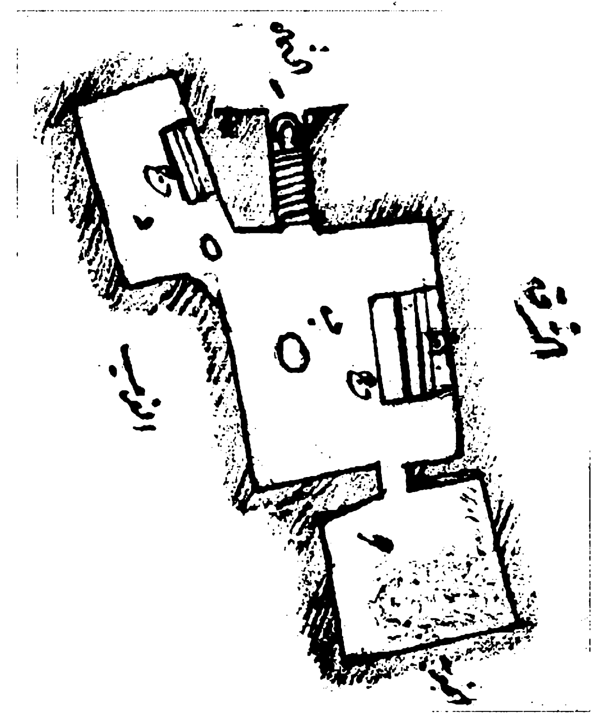
فإن (أ) هو باب المغارة المولود بها السيد و(ب) فسحتها ويبلغ طولها نحو خمسة وعشرون قدماً و(ج) المزود و(د) المهد المغارة الموصلة إلى مغارة الولادة وبها مقامات كثيرة كما ترى ولابد من ذكر اسم كل منها بعد ذلك.

وفي جانب بيت لحم الجنوبي قبالة الدير المختص بالروم مغارة يسمونها بمغارة الحليب، وهي نقر، ويقال إن السيدة مريم العذراء أول درّ حليبها [كان] هناك، وهذه المغارة

---

[181] . كلمة مطموسة وقد تكون قبّة

بيد اللاتين يُنَزَلُ إليها بدرج، وصخرها من نوع كالكدان[182] الذي يوجد في جهات دمشق الشام، وربما هذه المغارة كانت بئر ماء لأنه في سقفها فوهتين كأفواه الآبار القديمة الموجودة بهذه البلاد. وحين زرتها كانوا يشتغلون في أمر توسيعها، وهي تحتوي على حجرتين كما ترى في الشكل أدناه، وهذه المغارة يبلغ معظم طولها مع فروعها نحو 65 قدماً، وعرضها نحو 20 أو خمس وعشرين قدماً.



فإن (أ) بابها وما تحته الدرج الذي إليها و (ب) الحجرة الوسطى وكل من (ج) مذبح و(د) إحدى الحجرتين و (هـ) الحجرة التي كانوا يوسعونها وكل دائرة في حجرة (ب) و (د) هي نافذة لسقف المغارة.

(182) . الكدان نوع من الصخور الكلسية اللينة

فهذا ما قد قدرنا أن نقف عليه من أحوال هذه المدينة وآثارها الشهيرة المهمة، وذلك بعد أن زرناها أكثر من ثلاث مرات. ولابد من زيارتها مرة أخرى إن شاء الله، وذكر ما نقف عليه زيادة عما ذكر بعد الاستناد إلى الحقيقة والتدقيق في الآثار.

تنبيه :

قد فاتنا أن نذكر شيئاً عن مياه هذه المدينة الشهيرة، والآن نقول: إنه ليس فيها ماء نبع مطلقاً، والأهالي يشربون من ماء يصل إليهم بقناة من برك سليمان، ومن آبار يجمعون بها ماء المطر.... ثم إنه يوجد أمام باب الكنيسة الخارجي فسحة كبيرة و[قد..ة][181] الطول والعرض. وببعض جانبها الشمالي حيثما تنزل إلى الوادي نحو نصفه مقابر للنصارى.

ومن الآثار أيضاً بهذه البلدة بعض نواويس مائتين شاهدة إلى الجنوب الشرقي منها. [و] على بعد عشرة دقائق عنها ناووسان.. وقد سمعت من الأهلين بأنهم وجدوا نواويس كثيرة في البساتين وردمت بالتراب.

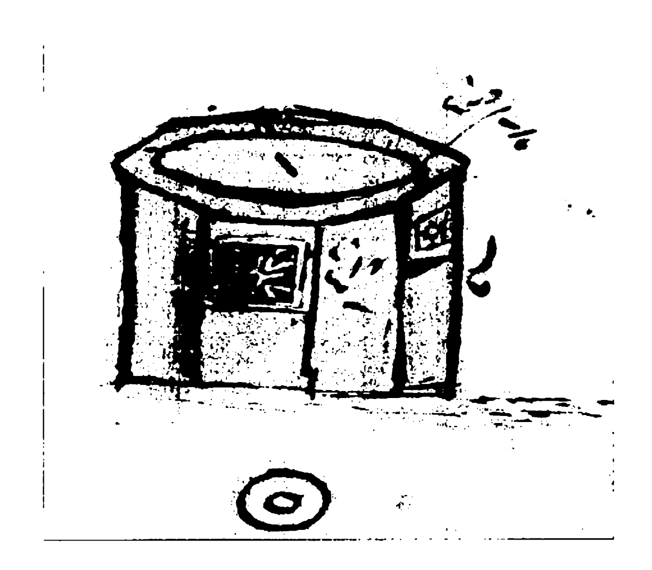
ثم إنه على الطريق بينها وبين القدس، على بعد عشرة دقائق منها لجهة الشمال الغربي، مقام بيد المسلمين يسمونه قبة راحيل. يقولون: إن يعقوب دفن امرأته راحيل به.

خربة تقوع :

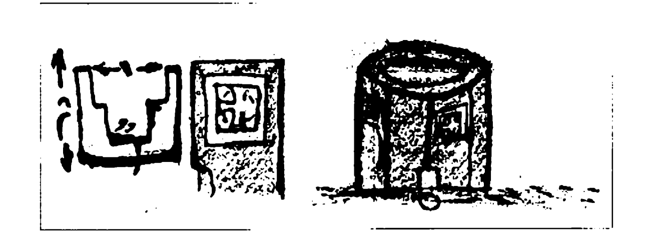
وإلى الجنوب الشرقي من بيت لحم على بعد ساعتين خربة تقوع، وهذه الخربة قد كانت ذات شهرة في الكتب المقدسة.. والآن هذه الخربة في أيدي سكان سعير يفلحونها. والأراضي حولها جيدة التربة وتأتي بمحاصيل كثيرة. وهي مبنية على تلة مرتفعة وبها آثار كنيسة للمسيحيين، وربما بنيت من أيام دولة الصليبيين، ومما يدلنا على وجودها الآن جرن المعمودية الكبير، الذي [ما زال موجوداً] حتى هذا الوقت، وقواعد أعمدتها، ووقوف عمودين منها حتى الآن، وعلى جرن المعمودية المذكور رسم صليبان ظاهران حتى الآن. وهذا الجرن مثمن الأضلاع ارتفاعه ذراعان ونصف، وعرض كل من أضلاعه ذراع، وهذا رسمه.

---

[181]. كلمة غير واضحة



فهذا رسم الجرن من أربع جهات ومن داخله، فإنه أولاً يوجد به دائرة قطرها ذراع. وعلى عمق ذراع، منها دائرة أخرى قطرها ثلثي الذراع وفي أحد جوانب الجرن أو في الزاوية التي بجهة الشرق والشمال ثقب يخرج منه الماء وتحته بئر. وهذا رسم الشكل من هذه الجهة.

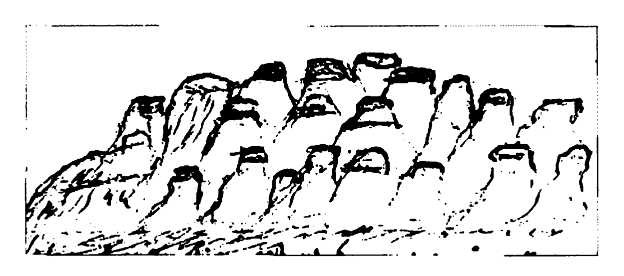


وبجانب الخربة الشمالي آثار برج عال على طور مرتفع عنها، وربما كان هنا منزل للعساكر، وفي ذلك الطور لجهة الجنوب ناووسان، وفي نصف الخربة لجهة الجنوب الشرقي في الكنيسة على بعد مائتي ذراع، عين ماء نبع ينزل إليها بدرج غير منظم،

وماؤها جيدة في الطعم، وفي هذه الخربة أبنية[184] كثيرة لم تزل حتى الآن واقفة غير أن أقدمها آثار الكنيسة والسور، الذي لم تزل آثاره ظاهرة حتى الآن في الجانب الغربي، وجزء من الجنوبي. ومحيطها [أي خربة تقوع] الآن يبلغ نحو ميل ونصف، وقد يستدل بأنها من قبل كانت أكبر من ذلك.

ومن آثارها التي تشهد بعظمتها السالفة، مغائرها الكثيرة التي في الجهة الشمالية الشرقية المنقورة في الصخر والكبيرة فإن بعضها يبلغ طوله الستين قدماً، وعرضه نحو أربعين، وهذه المغاير يسكنها الآن في أيام البذار والحصاد الفلاحون أهالي سعير، الواضعون اليد على تلك الأراضي، وفي هذه الجهة آبار كثيرة منقورة بالصخر، وحولها أجران قديمة، وعند أحدها عمود محفور باطنه كجرن.

ومن شرق الخربة تتبدى البرية ولا يوجد بها أودية وجبال. وفي تلك البرية، المسماة بنوع إجمالي ببرية عين جدي، لا يوجد بها أثر لسكنى قوم متمدنين في الأيام السالفة، سوى بعض خرب صغيرة لا يتجاوز عددها العشرة، مع أن تلك البرية شاسعة، وهي محيطة بجميع الجهات الغربية من بحر لوط[185]، غير أنه يوجد آبار في جهات مختلفة، ربما أقامها الأولون لأجل شرب مواشيهم التي ربما كانوا يرعونها في تلك البراري. ولأجل شربهم عندما كانوا يسافرون إلى عين جدي المدينة الشهيرة في الأيام السالفة، وهذه البرية يوجد بها أراض كثيرة صحراوية، لا تنبت نباتاً، ويوجد بها آراضٍ أيضاً كثيرة جيدة للزراعة، وبها جبال كثيرة جميع حجارتها من الصوان، وتلك الجبال صغيرة ورؤوسها مرتفعة، ولا يوجد سهل فوقها. وهذا رسم محل منها بين وادي الحصاصة وهو بدء بمحل يسمى قبور الزعارنة.



(184) . في الأصل: بنيات

(185) . البحر الميت

عين جدي :

غير أنه قبل أن تصل لعين جدي[186] تجد لون الصخور هناك آجرياً محروقاً كالكلس ولا عزم له، ومنظرها مكرب للغاية، ولا ينبت نبات هناك إلا في السنة التي تكون أمطارها غير اعتيادية، كالسنة الماضية، وأما في غيرها من السنين، فلا تُنْبِتُ أرضها شيئاً، كأن الله تعالى حفظ تلك الأراضي لتكون شاهداً على عظمته وآياته التي فعلها لما غضب على عصاته سكان سدوم وعمورة، والمدن التي غطاها البحر.

وقد سافرنا من القدس إلى هذه الجهات في يوم الخميس في 25 شباط غربي سنة 1875، فنمنا في بيت لحم، ومنها يوم الجمعة توجهنا إلى وادي الحصاصه ولم نشاهد فيها ما يستحق الذكر من الآثار سوى آبار الماء التي قد خرب أكثرها.

ويوم الإثنين ارتحلنا من وادي الحصاصة وسرنا شرقاً إلى الشمال، وبعد أن مشينا خمس ساعات وصلنا إلى عين جدي، ونصبنا خيامنا هنالك، ويوم السبت زرت عين جدي.

أما عين جدي فينزل إليها نقب صعب السلوك للغاية جداً، ولا يمكن لدابة محملة أن تسلك به، وطوله نحو مائتين وخمسين قدماً، وهناك حصن يحفظ البلاد من دهمات الأعداء التي على شط البحر وما وراءه. فإنه يقدر أربعة رجال أن يمنعوا جيش الأعداء من المرور هناك، ولو كان ألوفاً. والجبال فوق عين جدي كأنها حائط عال منتصب، أو سور حصين غير ممكن خرقه.

ثم في أسفل ذلك النقب عين جدي، وهي نبع ماؤه في الشتاء ساخن ويخرج من بين صخرتين، وبجانبه نبع آخر لجهة الشمال على بعد عشرين ذراعاً يسمى عين العرايجة، ومياه هذين النبعين تتفرق فرقاً وتسير بانحدار نحو مائتين وخمسين قدماً تسرى في ذلك السهل المتسع، متشعبة إلى أن تصب في البحيرة، وعلى جوانب المحلات التي تسري فيها أشجار كثيرة ومنتزهات بهية كمنتزهات دمشق الفيحاء، وربما تزيد عنها نضارة وبهاء لمنظر البحر الذي أمامها. وهناك الهواء جيد ويوجد أيضاً على شطوط ماء الأعين قصب كثير.

وفي تلك الأرض، كثير من شجرة الأراك والرتم وشجرة السيال والقطف، وخلاف

---

(186). عين وبلدة معاً على الشاطئ الغربي للبحر الميت، على بعد خمسة وثلاثين ميلاً من القدس، وعلى بعد ميل واحد من شاطئ البحر الميت، وعلى ارتفاع أربعمائة قدم عن سطح ذلك البحر، وكانت تمر بالقرب منها طريق للقوافل محصورة بين البحر والجبل

آشجار مختلفة الأنواع لا أعلم أسماءها . ويكثر هناك نوع من النبات يصير كالشمر اسمه الشكران، ويحمل شيئاً كالزوفان[187] الصغير أصفر اللون. وهناك نباتات أرضية كثيرة مختلفة الأشكال والألوان وبعضها ذو رائحة عطرية منعشة.

ويوجد أيضاً إلى شمال نبع عين جدي على بعد مائتي ذراع في وادي يسمى بوادي السدر عين ماء كبيرة بمرج على خط عين جدي. وتسري بانحدار إلى السهل الذي به خربة عين جدي ولتتفرق بذلك السهل. وهذه العين عند مخرجها قصب كثير، وعند وصول مائها إلى السهل يتفرع فتكثر على شطوطه المزروعات إلى أن يصب في البحر.

ومن عادة العربان وخصوصاً عرب التعامرة والرشايدة أن يزرعوا في انتصاف شهر شباط خياراً في تلك الفسحة.

فبعد زرعه بثلاثة أشهر أو أقل يأتي بالثمر، وذلك لحماوة أرضه، وكذلك يزرعون هناك حنطة فتأتي بإقبال عظيم، ويوجد بين عين جدي وعين السدر مغارة طبيعية، وجدرانها من [..][188] وهي إلى الشمال من عين جدي في الجبل الجنوبي من وادي السدر، وهي على خط إلى الشمال منحرفاً إلى الشرق من نبع سدر.

ومن الآثار الموجودة هناك أثر قصر قديم بالقرب من عين جدي، لم تزل إلى الآن حجرة باقية على حالها من حجره معقودة، غير أن الحمَّارة هذه الأيام يسمونها الطاحون.

وقرب شط البحر خربة عين جدي، وكان تسمى في الكتب المقدسة بحصون تامار، وقد اشتهرت كثيراً في الكتب المقدسة.. وهذه الحدود كانت يتنزه بها ملوك هذه البلاد الأولون.

وقد بنى بها هيرودس الكبير قصراً جميلاً، كان في كل سنة يخرج إليه للتنزه. وهذه الخربة كبيرة غير أنه ليس بها ما يستحق الذكر سوى بركة ماء كبيرة.

واليوم المنازل القديمة والرائعة [..][189] الكثيرة التي أضحت بهذا الزمان ملكاً لدولة الخراب والدمار محافظة على نضارتها حيث أيدي الطبيعة رمتها بأشجار حفظت بهاءها.

وليت الحكومة في هذه البلاد انتبهت إلى الدمار الحال بها واجتهدت في أعمارها

---

[187] . لعله يقصد نبتة الزوفا وهي عشبة معمرة يبلغ ارتفاعها حوالي 50 سم كثيرة الفروع، عطرية الرائحة، ازهارها صغيرة بيضاء إلى زهرية اللون

[188] . كلمة غير واضحة

[189] . كلمة مطموسة

بعد إدخال العربان إلى دائرة الطاعة وحياة التمدن. وبالحقيقة لم ينشرح صدري بمكان من جميع الأماكن التي زرتها إلا عندما جلست قرب عين جدي بظل تلك الأشجار، وكان النسيم الرائق بينها ويجوز هناك فيموج مياه البحر تموجاً لطيفاً ورقيقاً. غير أنني عندما كنت أتذكر ما حل بالبلدان المغطاة بمياه بحرة لوط، وألتفت ورائي وأشاهد منظر تلك الجبال المكرب الجيرية اللون، كنت أتكدر جداً ويطبق صدري، وأتذكر عظمة القدير التي فعلت نيران غضبه وأحرقت مدناً عظيمة وجعلت الجبال حولها مشققة ككلس الأتون، ولونها كآجرة على بعد أربع ساعات من كل من شطوط بحر لوط.

بئر الشركة :

يوم الخميس في 4 آذار غربي سنة 1875م ارتحلنا من عين جدي وسرنا قبلة لجهة الجنوب، وبعد أن سرنا أربع ساعات ونصف وصلنا إلى بئر الشركة[190] وشربنا منها [..] وكان طريقنا في برارٍ مقفرة وجبال كالحة وتلال من التراب والحجارة وأودية تخترق تلك الجبال.

أما بئر الشركة فهي بئر قديمة لا يعلم في أي وقت بنيت، وربما هي من أعمال المسلمين على آثر بئر قديمة، وهذه المحلة تخص الآن عرب الجهالين[191].

سبة :

يوم الجمعة في 15 آذار غربي سنة 1875م، رحلنا من بير الشركة شرقاً، وبعد أن سرنا أربع ساعات وصلنا إلى خربة سبة، وبعد زيارتنا لها أتينا راجعين إلى بئر الشركة.

أما سبة فقد كانت حصناً واسمها القديم [..][192] بناها هيردوس الكبير حصناً، وبعد أن أخذت آورشليم في أيام تيطس الروماني اجتمع بها قوم من اليهود مع نسائهم وأولادهم، فتبعهم إلى هناك العساكر الرومانية، وبنت حول ذلك الحصن مساكنَ. وقامت بحصر تلك المدينة الحصينة التي لا يمكن لعدو أن يأخذها إلا بالجهد. وحول هذه الخربة أقام الرومان نحو ثلاثين محلاً لم تزل آثارها حتى الآن محفوظة. وهذه الخربة مبنية على

---

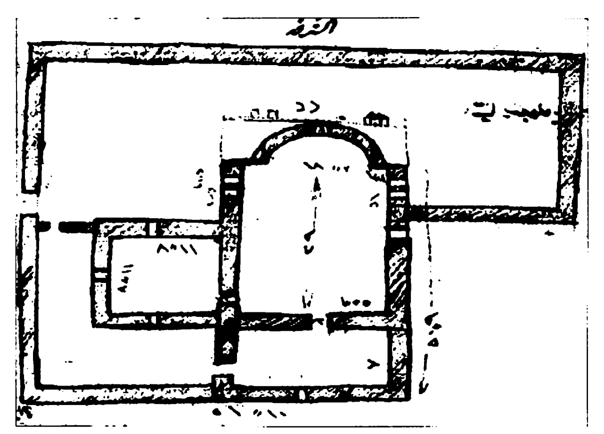
(190). يقع حالياً ضمن اراضي بلدة بني نعيم في محافظة الخليل

(191). في الأصل: الجاهلين

(192). فراغ.

رأس جبل يحيط به وادٍ عميق، وذلك الجبل لا يمكن لبهيمة أو إنسان أن يصعد إليه بوجه الإطلاق، لأنه طويل مستدير كأنه سور من قطعة واحدة، من أسفله إلى أعلاه يبلغ نحو مائة وثلاثين قدماً ونيف، ولا يصعد إليها إلا من طريق واحدة فقط، صعبة للغاية، والذي يصعد إليها يكون تحت أخطار كثيرة من السقوط، ويجب عليه أن يشخص الموت تجاه أعينه. ولها باب واحد فقط ارتفاعه ثمانية أقدام، وعرضه خمسة أقدام. وهو واقع في جانبها الغربي.

وأمامه من خارج فسحة طولها قريب عشرين قدماً، وعرضها كذلك، وحولها سور من الحجارة يحيط بها لم يزل حتى الآن واقفاً أكثره، وأمام الباب من داخل فسحة كبيرة وبها كنيسة، ربما بنيت في أيام دولة الصليبيين وهذا رسمها :



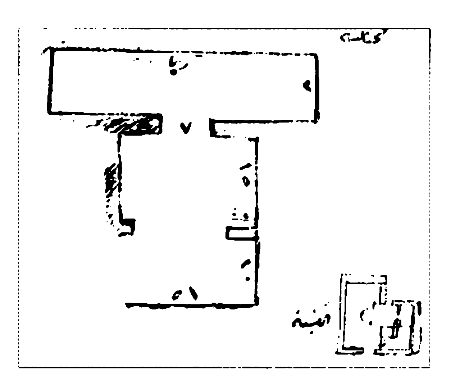
تنبيه :

إن الأعداد التي تراها في هذا الرسم هي طول أو عرض ما نرسم به من الأقدام.

ثم إن وجود هذه الكنيسة في هذه الخربة يدلنا بأنها خضعت لدولة مسيحية، وسكن بها قوم من النصارى في وقت متأخر، ولا يوجد أثر بها للمسلمين، وأكثر جدران هذه الكنيسة لم تزل واقفة ومنقوش عليها عروق من قطع من [..][193] كأنها مشغولة حديثاً.

(193). كلمة مطموسة

ووراء هذه الكنيسة من جهة الشرق على بعد ستين قدماً مغارة،، ربما كانت مقبرة للرهبان لأنه ربما كان في هذه الخربة دير فقط أو دير وبعض مساكن، وهذه المغاره منقورة بصخر من نوع الكدان[194]، ولم أشاهد من هذه الحجارة في تلك الجهات سوى هذه المغارة، وبعض قطع في [أماكن] مختلفة. أما رسم المغارة المذكورة فهو هكذا:



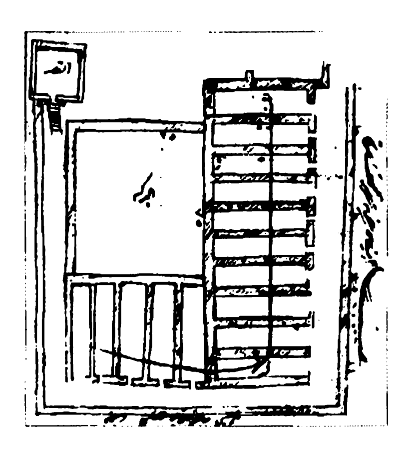
ثم إنه في نصف الجانب الغربي تقريباً ونصفه الشرقي وكل الشمالي بنايات حول السور متصلة، وأكثر حجرها مربعة الشكل، وفي وسط هذه الخربة برك للماء، منها بركة في الفسحة، وهي صغيرة وموقعها إلى الشمال الغربي من الكنيسة على بعد 50 ذراعاً تقريباً.

وقرب الزاوية التي بين الشمال والغرب بئر ماء جميع بنائه خرب أكثره الآن ومن بعده نحو 25 ذراعاً منه أبنية[195] ربما استعملت في أيام دولة النصارى، وأظهر هذه البنايات التي في هذه الجهة مساكن مستطيلة للعسكر، وعددها خمسة عشر محلاً متلاصقة، وبجانبها قصر عال بها كان يسكنه القائد. وهو واقف حتى الآن، منها نحو ذراعين إلى أربعة أذرع. ووراء هذه البنايات لجهة الجنوب مقلع حجارة كبير وعميق، وربما كانوا يقطعون منه حجارة لضرب الأعداء في أيام الحرب والله أعلم. وبين البنايات بركة ماء كبيرة مدروسة. وهذا رسم المحلات المذكورة.

---

(194) . الكدان نوع من الصخور الكلسية.

(195) . في الأصل: بنبات



إن هذا رسم البنايات المشار إليها، وعددها خمسة عشر حجرة مستطيلة طول كل منها 50 قدماً وعرضه 15 قدماً، وبعضها لم تزل رسومها ظاهرة، وبعضها خربة ومدروسة، وما وراء المكان المشار إليه لجهة الغرب بنايات مدروسة حتى تقارب الكنيسة.

ومن باب الخربة للجنوب على بعد نحو خمسين قدماً بنايات غير معروف ماذا كانت، وبينها بركة للماء، وبعدها فسحة كبيرة موعرة حتى جانب السور، حيث لا تجد [ما هو] عامر إلا شيئاً قليلاً متفرقاً، وبرجاً كبرج الروس الذي في الشام[196] على شكل نصف دائرة، شكله وأمامه إلى الجنوب بانحراف للغرب مغارة واطئة ربما كانت بئر ماء جمع، وما وراءها بركة كبيرة مستطيلة، لم تزل حتى الآن عامرة، وعلى السور من الباب حيثما تلحقه جنوبياً، وتدور به غرباً إلى أن تصل إلى خط الكنيسة، به بنايات متفرقة كانت منازل للعساكر في أيام الحصار، إذ يسكنون بها ويقومون بالمحافظة على حصونهم الحصينة طبعاً، وربما كان الأولون عند الحصار يزرعون في الفسحة التي في حصنهم هذا، لأنها تصلح لذلك، ويوجد برك متفرقة خلاف المذكورة، بعضها خرب تماماً، وبعضها جانب منه وبعضها لم يزل إلى الآن، وكنت أشتاق كثيراً لرسم جميع هذه الخربة، ولكن حيث لم أتمكن من ذلك يوم زرتها لكثرة الرياح والعواصف تركناه [أي الرسم].

ويوجد قصر في الجانب الشمالي منها واطئ عنها نحو ثلاثين قدماً، وهو مبني

---

[196] . لم يبق لهذا البرج وجود الآن ولكن اسمه ما يزال يدل على منطقة في شرق مدينة دمشق قرب حي القصاع

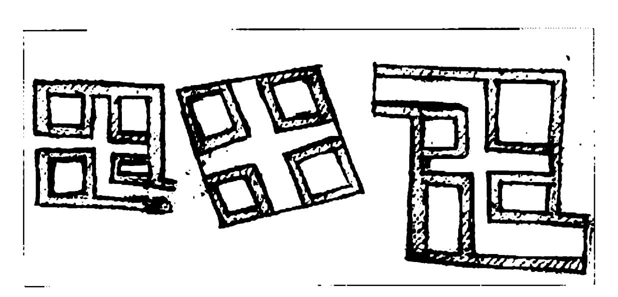
على صخرة بارزة من جبلها، وشكله على شكل نصف دائرة، وحتى الآن لم ينـزل إليه أحد من جميع الذين زاروا تلك الخربة، لعدم معرفة باب له منه، وعدم تسليم من يرغب أن ينزله من السور نفسه إلى خطر ظاهر.

وكنا أخذنا معنا سلالم جبلية لننـزل إليها، ولكن بما أن الرياح[197] كانت شديدة جداً وفعالة، وعدم وجود محل قريب لتعليق السلالم به من الخربة، عدلنا عن ذلك خشية[198] من السقوط بالهلاك الذي كنا نشاهد بأعيننا.

ثم إن جميع بنايات هذه الخربة من حجارة بسيطة آجرية، لأنها على شط بحر لوط، تبعد عنه نحو نصف ساعة فقط، وتبعد عن عين جدي أربع ساعات لجهة الجنوب إذا سير منها إليها على شط البحر.

وليس فيها عمارة مرتبة ومحكمة سوى الكنيسة والبرج أو القصر الذي على كتف الجبل البارز المشارك إليه، وبقية الأبنية من حجارة غشيمة[199]، وجميعها من قطع صغيرة وقد يصعب فعل الآلة الحديدية في تلك الحجارة، لأن أصلها صوانية محروقة.

أما الحصون الرومانية الموجودة حتى الآن آثارها حول هذه الخربة الحصينة، فجميعها مربعة الأشكال، وفي بعض الأماكن كل واحد وحده، وفي غيرها كل اثنين أو ثلاثة معاً، وقد تختلف بالكبر والصغر، فمنها ما هو كبير ومنها ما هو أصغر منه، وأكثرها وكلها يخرط بطريقين في وسطه على شكل صليب، وبعضها يبلغ كل من طوله وعرضه مائة قدم ونيفاً، وبعضها أكثر من ذلك كثيراً، وبعضها أقل، وهذا رسم اثنين منها الأكثر استعمالاً:



(197) . في الأصل: الأرياح.

(198) . في الأصل: اختشاء.

(199) . غير مشذبة.

عواصف وأمطار :

يوم السبت في 6 آذار غربي سنة 1875م، ارتحلنا من بئر الشركة جنوباً، إلى وادي سيال حيثما تسكن عقيدة عرب الجاهلين [الجهالين] الخاضعة لكبير مشايخها أبو دهوك، وكانت العواصف شديدة للغاية وقوية. وفي ذلك الليل أخذت الأمطار تهطل هطلاً غزيراً وقوياً، ولم تتقطع حتى الصباح، وبعد أن [انحبست] عن الأرض نحو ساعة ونصف، عادت تنسكب بقوة أعظم، دامت هكذا إلى الليل، حيث اشتدت أكثر إلى الصباح.

وبعد طلوع الشمس انقطعت قليلاً، فاقتلعنا خيامنا يوم الاثنين، ولم نتمم عملنا إلا وقد عادت بشدة أعظم، فركبت مع مستر جرج وسرنا قاصدين تل عراد، وكانت الرياح شديدة، والبرد بكثرة، والأمطار بغزارة، ومن كثرة البرد لم نتمكن من التوجه للمحل المقصود، فوجهنا ركابنا لجهة مدينة الخليل ونحن نقاسي المشقات والأهوال من أفعال الأمطار.

مدينة الخليل

[مدينة الخليل، سكانها وأعمالهم، ملابسهم، أعراسهم، طقوس الطهور والأفراح والأحزان، وصف مدينة الخليل، الحرم الابراهيمي، آثار المدينة]

مدينة الخليل :

وحل الغروب، [و] بعد ساعة وصلنا إلى مدينة الخليل بعد أن تصورنا الموت وثقاً [في] أوقات كثيرة، لأن جميع حوائجنا تبللت، وصرنا كمن هو نازل في نهر من الماء ومغمور به، ولولا العناية الإلهية تنشلنا من الويلات التي أحدقت بنا، لبتنا الآن في جوف وحوش البرية.

وأنا في كل حياتي لم أشاهد هولاً مثل أهوال يومنا هذا، وكنت في كل ثانية أشعر بمفاعيل البرد أقول: واويلاه إن أيدي عزرائيل تعاقب جسمي لتضعفهُ، وتخرج روحي من سجنه، وكنت دائماً استحضر وطني وأهلي وأحبابي، وأقول: يالسوء حظي، قد وافاني الحمام [أي: الموت] بعيداً عمن أحب أن أموت في القرب منهم.

وبعد دخولنا بساعتين وصلت بغالنا وبقية رفاقنا في حالة التلف. ونزلت مع الخواجات في لوكندة[200] هناك، فنشفنا حوائجنا واستدفينا، ومن ثم أخذنا[201] ننسى مصابنا والأخطار التي تهددتنا. غير أن حالة عفشنا التي أمسى بها، كانت [تجعلنا] نشخص له [لله] بما أرتنا آيدي المنون.

ولله الحمد رجعنا جميعاً سالمين شاكرين المولى على أنعامه وخصوصاً لأنه لم يؤثر برد ذلك اليوم في أحد منا، لأننا جميعاً كزهرة نضرة في بداية حدائق الشباب، وكان مسيرنا غرباً بانحراف إلى الجنوب.

---

(200). كلمة لاتينية تعني النزل الخاص بالمسافرين.

(201). بان زائدة.

ويوم الأربعاء نصبنا الخيام أمام الكرنتينا[202]، فعند العصر زارنا جناب قائمقام الخليل البيروتي اللطيف عبد الغني المندس، ثم يوم الخميس قبل أن نسافر صباحاً زرته وحدي في محله، فأظهر لي كل اعتبار ومؤانسة، وبعد الزيارة سرنا معاً إلى الخيام.

سكانها وأعمالهم :

أما مدينة الخليل واسمها القديم حبرون، فقد تكلمنا عنها شيئاً يسيراً بنوع تاريخي في وجه [صفحة] 14 من دفترنا هذا، ووعدنا بالكلام عنها بنوع مسهب، والآن بناء على ذلك نقول:

إن هذه المدينة صارت مركز حكومة هذه الجبل منذ أيام صاحب الدولة ثريا باشا الشهير، وبها دارٌ للحكومة غير مرتبة ولا منتظمة، وبها مجلس للادارة ومجلس لتمييز الحقوق، وأهلها مسلمون ويهود. فالمسلمون 15000 واليهود 2000 جميعهم سكناج[203] قد سكنوا بهذه المدينة في أوقات مختلفة، وهم يتعاطون البيع والشراء والدين بالفائدة[204]، ويوجد بينهم أغنياء بالنسبة للسكان، ولا يوجد لهم كنيسة خصوصية للصلاة، بل إن فرائضهم الدينية يقيمونها في بيوتهم، ومنهم من يتعاطى مهنة بيع المسكرات، وبينهم من يقتبل نزول السوّاح في بيته.

أما المسلمون فمعاشهم من البيع والشراء والفلاحة، وبينهم من هم أصحاب صنائع فيشتغلون الصرامي، ويدبغون الجلود، وعندهم رزق بذلك، ويصطنعون الخزف والقِرَب، وقد اشتهروا بشغلهم ويذهب في كل سنة منهم أناس للتجارة بها في الحجاز.

ومن أعمالهم المشهورة شغل الزجاج أساور، وقد نجحوا بذلك نجاحاً مكنهم من أخذ الأسبقية الأولى بهذه الصنعة، وقد شاهدت أعمالهم المتقنة بهذه الصناعة ويحق لهم الثناء عليها.

وأكثر التجارة هنا في البضايع التي تتصرف في جبل الخليل، وقد تقدم الكلام عن ذلك، فلا حاجة إلى التكرار.

ثم إنه يوجد في هذه المدينة نحو خمسين نولاً ونيف لنسيج العبي الزريقية، وأشغالهم جيدة بهذه الصنعة كالدمشقيين، وربما أحسن منها، وقد اشتريت عندما

---

[202]. المحجر الصحي

[203]. اي يهود اشكناز غربيين مهاجرين من اوروبا.

[204]. في الأصل: دَيْنُ الفائظ.

شاهدت تلك الأنوال لأنني لم أشاهد نولاً في كل هذه البلاد سوى نولين في مدينة القدس الشريف لنسج العبي أيضاً.

ملابسهم :

أما سكان مدينة الخليل بوجه الإجمال فأصحاب دهاء، ويوجد بينهم من هم كالفلاحين تماماً، يحبون الكسل، وهم خدام جامع الخليل الشهير الموجود في مدينتهم، ويبلغون نحو عشرة حمائل [عائلات].

أما ملابسهم فاليهود كغيرهم من السكناج، وأما المسلمون فيلبس الرجل منهم ثوباً وفوقه قمبازاً[205] وفوقه عباءة، والنساء يلبسن كملابس نساء الشمال، غير أنهن فوق ملابسهن يلبس ثوباً أسود ويتقنعن برقعةٍ بيضاء، ويضعن مناديل على وجوههنّ، ويحتجبنَ كثيراً.

غير أنه لاحجاب عندهن في البيوت، ولم يزلنَ إلى الآن يلبسن قرص طربوش فضة وعبيدية وصفاء[206]، وما شاكل ذلك من الحلي الثمينة القديمة، وأكثر نساء هذه المدينة طوال القامة.

أعراسهم :

ومن عادة الرجال أن يتزوجوا من الاثنتين فما فوق، ولا تجد بينهم من عندة امرأة واحدة إلا ما ندر.

ومن عادتهم أن يشتروا النساء شراء[207] كأهالي الجبل، والثمن عندهم من الثلاثة آلاف فما فوق بحسب حسن البضاعة.

ولايتزوج الإنسان من دون أن يدفع الثمن على أخر بارة، والعرس يقوم عندهم مدة ثمانية أيام، من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة، فكل ليلة تقوم الأفراح في بيت العريس، النساء وحدهن والرجال وحدهم من دون ولائم، وبعد أن يقطعوا جانباً من الليل ينصرف كل منهم إلى محله مع حرمه.

ولا يدخل العريس عندهم إلا يوم الجمعة مساء، ومن عادتهم أن يطهروا يوم زفاف

---

[205] . في الأصل: امبازاً.

[206] . انواع من الحلي والمصوغات كانت تتزيى بها نساء ذلك العصر.

[207] . المهر.

العريس أولاداً من عائلته. وفي يوم الزفاف يذبح العريس الذبائح بحسب قدرته، وتقوم الولائم من العصر. فيأتي الناس للطعام وهو الأرز واللحم، وإذا كان أوانه يضعون عنباً بعد العشاء.

وبعد أن يتناول الطعام الرجال تتناوله النساء. بعد أن يَكُنَّ أتين بالعروس من بيت أهلها، ورقصن ما سمحت لهن الفرصة به.

ومن بعد الغروب بوقت قليل، يذهب العريس محاطاً بقوم من رجال عائلته وخلافهم لإقامة الصلاة في الحرم الشريف. وبعد أن تنتهي حلوة العشاء يَسير لمحله محاطاً بقوم متقدمين بالسن إلى أن يصل إلى باب بيته، فتستلمه النساء، ويأخذن بالرقص أمامه وهو مطرق بنظره إلى الأرض. وفي الساعة الثالثة أو الرابعة يخلونه مع عروسته، فيجلس هو بزاوية وهي بزاوية أخرى برهة من الزمان، فإن كان العريس يريد أن تكون امرأته دونه لا يتقدم إليها فتتقدم هي، وإذالم يتقدم أحد منهما إلى الآخر تأتي أمه أو خالته أو عمته أو امرأة متقدمة في الأيام من عائلته، وتجمعهما معاً وتخرج.

وأما النساء فيمارسن الضرب على الدريكة والنقارة ويرقصن وينشدن الأغاني، حتى يمضي معظم الليل فينصرفن أو ينصرف بعضهنَّ، وفي اليوم الثاني صباحاً يعمل العريس وليمة لأهل العروس وأهله وأصحابه، وبعد مناولة الطعام يفرشون منديلاً بين الرجال في وسط المحفل، فيصير كل منهم يلقي من الدراهم من النصف بشلك إلى البشلكين، كل بقدر استطاعته، ومن يدفع أكثر ذلك نادر جداً.

وكذلك يعملون هذه العملية نفسها بين النساء، وأخيراً يجمعون ما يصير التكرم به من الرجال والنساء ويشترون للعروس به مصاغاً وبعضهم خلافه كأرض أو عقار وما يشبه ذلك.

وهذا نادر لا يوجد إلا بين الأغنياء كثيراً، وعندما يقبض أبو الفتاة ثمنها [مهرها] يشتري لها ببعضه مصاغاً وبعض ملابس ويأخذ الباقي. وقليل منهم لا يطمع بشيء من ثمن [مهر] ابنته.

وعلى العريس أن يقدم خُلعاً لأنفار معلومة يصير الشرط عليها بعلم البازار، وعليه أيضاً أن يكسو بعض نساء عائلته كسوة العريس. وهي ملابس خصوصية ومعلومة عندهم.

وكم يجري من الخصومات لأجل عدم قيام العريس بما وعد به من الخلع، أو ما

يجب عليه تقديمه لنساء معلومات من أقاربه، وبعد أن يكمل جمع الدراهم المار ذكره، الذي يسمونه نقوطاً، تنتهي الأفراح ويذهب كل إنسان إلى بيته بسلام.

طقوس الطهور والأفراح والأحزان :

أما الطهورات فتحسَب عندهم من الأفراح المعتبرة، وربما إذا جرت وحدها منفردة عن الأعراس فإن مدة فرح الطهور تختلف بحسب ميل أهل المزمع تطهيره، فهي من اليوم إلى السبعة، وأما يوم الطهور فلا يكون إلا يوم الجمعة، بعد صلاة الظهر أو قبلها، يأخذون الولد راكباً على فرس مزينة، وعندما[208] يصلون إلى قرب الحرم الخليلي يرفعه أحد الأقارب الشبان بين يديه، ويسير به إلى أن يصل ويقف على الدرجه العليا من درجات باب الحرم فيأتي الجراح، ويقطع غرلته وحينئذ تشتغل رجال بالتروس والهوبرات، وبعد ذلك يسيرون به راكباً على فرس إلى البيت، وعند وصوله إلى هناك تأخذ النساء في الهيهات والغناء والرقص، والرجال ينصرف كل منهم إلى عمله. وإذا كان الطهور قبل الظهر يقدم أهل المُطهَّر في الصباح طعاماً للجمهور، وأن جرى بعده يقدمون عشاءً، وبعده ينصرف الجميع إلى بيوتهم، غير أن بعض النساء الأشد قرابة يبقين في البيت مقيمات بأفراح وغناء ورقص، وفي اليوم الثاني ينصرفن إلى منازلهنّ.

ويوجد عندهم بعض الأفرح خلاف هذه، كالتي يقيمونها عندما يأتي رجل من العسكرية، أو عند الولادة وما شاكل ذلك، فلم نذكرها لعدم سريانها على نوع واحد.

وأما أحزانهم فمثل بقية أحزان السوريين، ومن عادة نسائهم لبس أثواب الحداد مدة طويلة عند وفاة عزيز عندهم.

وصف مدينة الخليل :

أما هذه المدينة فمبنية على جبل، من أسفله إلى قرب رأسه، وجانب منها على جانب الوادي الذي يخترق ذلك الجبل، المسمى قديماً في الكتب المقدسة بوادي أشكول.

وجميع أبنية هذه المدينة من الحجارة من الأسفل إلى الأعلى، والأسقف معقودة[209]، وهي تقسم إلى طبقات بعضها فوق بعض، ولابيت إلا ويسكنه عيال كثيرة، ومنظر هذه المدينة من الخارج جميل، حيث أنها من حجر أبيض متين، ولكل بيت قبة أو أكثر في

---

(208) . في الأصل: ولما.

(209) . في الأصل: الأسقفة عقودة

أعاليه، وأما من الداخل فليس كذلك، ولا ترتيب أو نظام في المساكن، ومن عادة كثيرين منهم أن يعملوا أمام أبواب بيوتهم فناء مربع الشكل، كل من طوله وعرضه 15 قدماً وأكثر وأقل، ويبنون فوقه عليَّة. أما طرقات هذه المدينة: فأكثرها ضيق وقذر، ولا يوجد بها مجلس بلدي لإصلاح أحوالها من هذا القبيل، وبها أربعة أسواق متلاصقة بعضها ببعض، وفي الجميع مائة وستون دكاناً ونيف، وقال بعضهم أكثر من ذلك.

وهذه الأسواق تبدأ من نهاية القلعة الملاصقة للحرم الشريف عند حارة القزازين، فيكون امتدادها من الشرق إلى الغرب، وبها قهاوٍ كثيرة، غير أنها لا تستحق أن تحسب زرائب للبقر لقدمها، ولعدم وجود منظر لها.

وفي هذه المدينة حمامان فقط، قيل إنه يوجد بهما نوع من الجمال. وأكثر الطرقات مبلطة بحجارة يصعب السلوك عليها بالكنادر.

وبها أيضاً معاصر كثيرة للزيت، لأنه يوجد حولها بساتين كثيرة من الزيتون كما تقدم، وأهلها يتفاخرون في مخلل العنب، ويستعملونه بغلي العنب بالدبس، والبعض من المقتدرين يغلونه بسكر عوض الدبس، والجميع يحفظونه من سنة لسنة كمؤونة أوليّة لهم.

وأكثر شرب أهالي هذه المدينة من ماء المطر، ويوجد بها بعض أعين ماء متفرقة، غير أن ماءها ليس بجيّد، وأحسنها عين الخليل، وهي تخرج من الحرم الشريف.

وبها بركتا ماء في جنوب البلد الأولى في منتصف الوادي والثانية عند باب للبلد قرب حارة القزازين، وهي صغيرة مستطيلة كل طولها نحو 80 قدماً وعرضها 50 قدماً، وأما الأولى فقديمة وكبيرة.. وهذه البركة تعد من آثار هذه المدينة المستحقة الاعتبار والذي يدلنا على قدمها[210] عدم وجود بركة نظيرها في هذه المدينة، وموافقتها بالاتساع والبناء البرك القديمة المحفوظة بكثرة في هذا البلد.

وهي مربعة الشكل، كل من طولها وعرضها ينوف عن المائة والخمسين قدماً، وعمقها قريب [من] ثلاثين قدماً، ينزل إليها بدرجين في زاويتين من زواياها. وهي الآن عامرة تماماً، والأهالي لا يتركون أيدي الدمار تفعل بها لشدة احتياجهم إليها.

ومن بنايات هذه المدينة الحديثة المستحقة الاعتبار بالنسبة إلى الأبنية بها، الكرنتينا، وهي إلى الجنوب من المقبرة بسفح الجبل، وهي تحتوي على حُجر جميلة ومرتبة، ولها مأمور خصوصي يقيم بها دائماً.

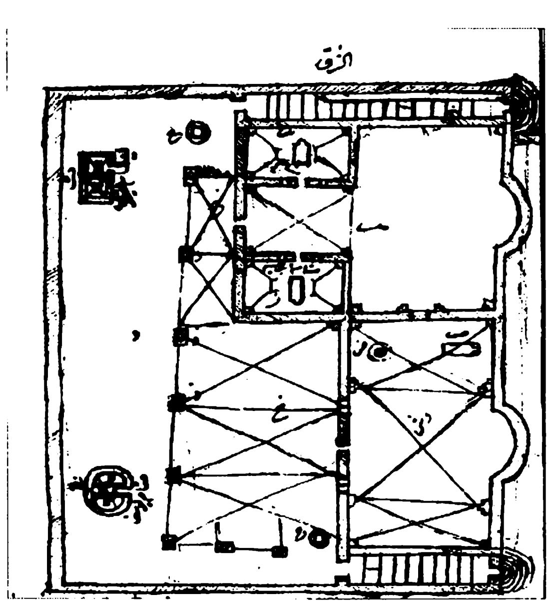
---

(210). في الأصل: قدمبتها.

الحرم الابراهيمي :

وأشهر شيء في هذه المدينة الحرم الشريف، وهو مبني على مغارة المكفيلة التي دفن [فيها] ابراهيم وسارة واسحق ورفقة ويعقوب وليا . وبناؤه من حجارة كبيرة يبلغ طول بعضها خمسة أذرع وارتفاعه ذراعان، وهذا المحل له بابان من جهة القبلة، وفوق الباب الذي إلى الغرب مسلة، وفي الزاوية بين الشرق والشمال مسلة أخرى.

ولا يسمح لأحد من اليهود أو النصارى بأن يدخل إليه مطلقاً، وقد دخله البعض من النصارى وهم متنكرين، وقد أخبرني بعضهم بأنه مزخرف جداً وجميل للغاية، ومنه قدرت أن أقف على حقيقة رسمه وما به من المحلات.



وقد قيل إنه فوق المغارة التي يسمونها الغار قبة مصفحة وشباكها بالفضة، وتحتها باب لا يدخله أحد وبه شق. ومن عادة سكان الجبال إذا راموا شيئاً من الخليل، أن يكتبوه بورقة ويلقونه إلى المغارة، وقد قال بعضهم إن الشيخ المتولى على خدامة الحرم (ويسمونه نقيباً) وقد فتح تلك المغارة من نحو عشرة سنين وأخرج تلك الأوراق منها، أحرقها لأنها لم تعد تتسع شيئاً والله أعلم. أما رسم الحرم من داخل فهو كما ترى.

لقد دخلت إلى الحرم الشريف متنكراً في أوائل آذار غربي سنة 1875م، وكنت بخوف

واضطراب زائد، لئلا يشهر أمري، فأكون ضحية مطامعي بنظرته وعندي خبر مطول عن سبب دخولي إليه لأعاينه.

إن هذا رسم الحرم، ولا نعرف قياساً له، غير أنه بحسب ما فهمنا أن طوله يبلغ نحو مائتين وخمسين قدماً وربما أكثر، وعرضه مائتي قدم ونيف، وبه أمتعة ثمينة، ويأتي هذا المحل نذور كثيرة من جهات مختلفة.

أقسامه: كل من (آ) درج وطوله نحو أربعة عشر قدماً، و(ب) هذا لليهود والنصارى يصلون فيه، وكل من (ت) درجات أمام الباب الخارجي، و(ث) و(ج) مقامات في الدار...وكل واحد منهما ينقسم قسمين. وكل من (ح) مسلة، و(خ) رواق، و(د) الدار مستطيلة الشكل. و(ذ) الأعمدة مركب عليها الرواق وقواعدها مربعة و... شاهقة، وقيل إن بعضها من قطعة واحدة وعددها ٩ بحسب ما تحققنا، و(ر) حرم سقف مدخله عقد، وداخله خشب مصفح برصاص على شكل جمالون، و(ز) مقام إبراهيم وهو حجرة بها تابوت ولها على كتفي الباب من كل جانب شباكان، و(س) مقام سارة وهي تشابه كل المشابهة مقام إبراهيم، و(ش) حرم آخر له باب من الرواق وباب آخر من حرم (ر) غير أن باب الرواق أكبر وعلى جانبيه أربعة شبابيك من كل جانب اثنان و(ص) مقام سيدنا اسحق، و(ض) مغارة الغار أوالمغارة ولها قبة مصفحة بالفضة وشباكها من فضة أيضاً، وجميع مفاتيح أبواب محلات الحرم من فضة، إلاّ مفاتيح الأبواب الخارجية. وأما سقف حرم (ش) فعقد عالٍ وجميل وعليه نقوش، فهذا ما قدرنا أن نصل إليه من أوصاف هذا المحل الشهير الذي لم يدخله أحد من المدققين حتى الآن ليخبرنا عن أوصافه تماماً.

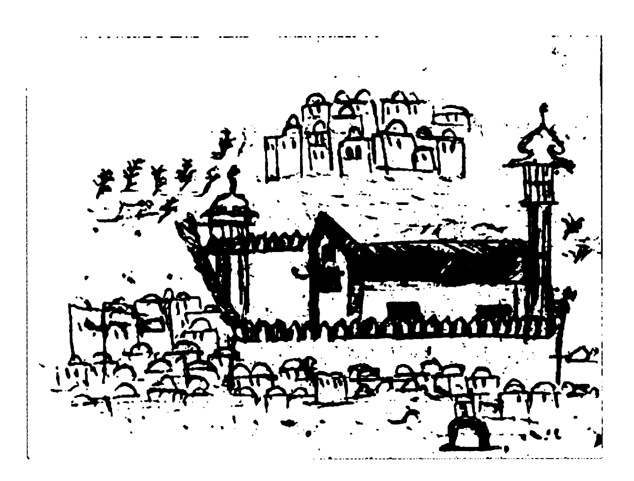
أما منظره الخارجي فهو هكذا كما ترى جانبه، وفوقه في الجبل بنايات يسكنها الفلاحون وهي [..][211] عن كل المدينة.

تنبيه:

إن خُدام الحرم يستلمون مفاتيحه بالنوبة وما يرد من الإيراد يقتسمونه بينهم بعد إخراج المصاريف منه، وحفظ كمية معلومة في خزانته، ولا أحد يقدر أن يخطف هذه الخدمة منهم لأن بيدهم فرمان سلطاني.

---

(211). كلمة مطموسة



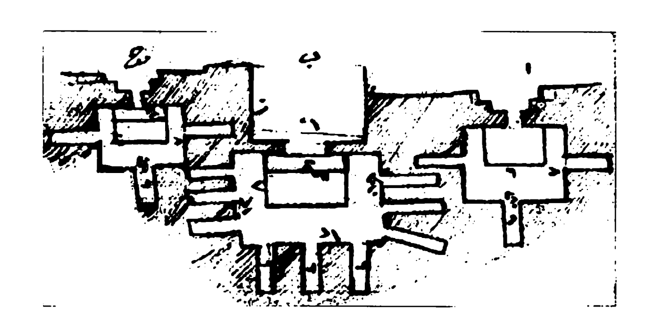
لقد بقي رسم جانب كبير من مدينة الخليل سنصفه فيما بعد، لأن الرسم الذي أخذناه قد تلف أكثره بالأمطار وضمن دفترنا هذا فنطلب من الله أن يعيدنا إليها مرة أخرى لنزيد الكلام بحيث لا نترك شيئاً.

آثار المدينة :

ومن آثار هذه المدينة دير إلى الغرب من الكرنتينا بين البنايات يسمونه الدير حتى الآن، وقد خرب أكثره غير أن بعض حجره لم تزل واقفة حتى الآن، وهو على أرض دير قديم، والجديد ربما من بناء الصليبيين، وبه أعمدة مكسرة وموضوعة في البناء. وفي إحدى حجره طاقة يزعم المسلمون بأنها متصلة إلى حرم الخليل أي الغار، وهذا من الخرافات الكثيرة التي لا نصدقها، وفي ذلك المحل مطحنة على دابة لم يزل حجرها السفلي باق حتى الآن.

وهناك أيضاً بئر ماء ومن صنعة الأيدي كان ماؤها من المطر، والآن السكان يخربون من هذا المحل شيئاً بعد شيء ويأخذونه لأبنية بيوتهم.

ومن الآثار أيضاً نواويس قديمة إلى الشمال الغربي من ذلك الدير، وأخصها وأكبرها ما يسمونه مغارة حبرون، وهي ناووس واقع في آخر المدينة من تلك الجهة، أي من الجهة الجنوبية الغربية، والآن فوقه بيت تسكنه عائلة من أهالي الخليل.. وهذا رسم هذه النواويس.



إنه يوجد ناووس آخر بجانب (ج) غير أنه يختلف عنه بعدم وجود حفرة فيه، وفي بقيته إلا (ب) يوافقه كل الموافقة. وقد تركنا وضع رسمه لضيق المقام. ثم إن شكل أبواب النور التي داخل النواويس فهو هكذا.



وارتفاع كل باب قريب من الثلاثة أقدام ومعدل البعد بين كل ناووس والآخر نحو عشرين قدماً وارتفاع سقف ناووس (ب) ثمانية أقدام، ومن داخل أربعة أقدام، ويوجد نواويس خلاف هذه بالقرب منها في البساتين التي فوقها، لا حاجة إلى ذكرها هنا ونكتفي بالإشارة إليها..

ثم إلى الشمال الغربي من مدينة الخليل، على بعد ربع ساعة محل يسمى سبتا[212]، وقد سبقت الإشارة إليه وهو على طريق تفوح. وهناك دير للمسكوب بني من عهد قريب، وهذا الدير جميل ولا يوجد مركز للتداوي غيره هناك، وأمامه بلوطة كبيرة يزعمون أنها بلوطة ممرا. وقد قامت مشاحنة طويلة لأجلها، إذا أحب المسكوب الاستيلاء عليها ولكن لم ينجحوا.

---

(212) . سبتة موقع اثري في ظاهر "المسكوبية" الشمالي، بها انقاض، مدافن منقورة في الصخر.

وأخيراً أعطي (باور) بأخذ المحلات حولها ويبنى ديراً وتكون تلك البلوطة الكبيرة مزاراً عمومياً للجميع والآن مبني حولها دائرة من الحجارة، ويدخل إليها بطريق على جانبيه كروم للمسكوب، والباب الموصل إليها بناه المسكوب ومفتاحه ليلاً يكون بيدهم، وهذا البستان مشغول، وهو أرتب وأجمل [من] جميع بساتين مدينة الخليل وأجملها .

وإلى الشمال الغربي من الخليل تَفُوح، وإلى الشمال بانحراف إلى الغرب منها أيضاً إذنا ، وعلى خط للشمال أيضاً منها دير اقطير [الطير] وفيها آثار قديمة كآبار ونواويس، وعلى ما قيل بها مقام للمسلمين يسمونه بالنبي صالح. وإلى الغرب منها دير نخاس ومنها على ربع ساعة بيت جبرين.

بيت جبرين

[بيت جبرين، عائلة العزة، حمائل بيت جبرين، آثارها، خربة صندحنة، كنيسة صندحنة، العرقان، عراق الأسالمة، عراق هليلة، عراق المنشية، عراق الخيل، عراق الزاغ، تل صندحنة، عراق الفنش، خربة مرعش، خربة بيت لي، خربة عوا، خربة مجدلة]

بيت جبرين :

أما بيت جبرين فهي لينة القديمة المشهورة في الكتب المقدسة [وذكرت] مرات عديدة، وقد اشتهرت بها كثيراً، وقد كانت قديماً مدينة ذات أهمية عظيمة لوقوعها على الحدود الفلسطينية، ومنها جليات الجبّار، الذين قتله داوود، وقد .. خضعت للرومان، ثم للنصارى، ثم للمسلمين، ثم للصليبيين، ثم للدولة الأيوبية، [ثم للمملوكية] ثم للعثمانية.

عائلة العزة :

وهذه المدينة الشهيرة العظيمة قد انحطت الآن كثيراً عن عظمتها السالفة، حتى أضحت قرية ذات أبنية حقيرة، غير أنها تفضل على غيرها لأنها من القرى الشهيرة، وهي عاصمة مقاطعة بيت العزة، الذين اشتهروا في هذه البلاد. وفي أيام صولة الشيخ مصلح العزة آخر من تولى من هذا [البيت] ولم يزل حَيّاً، كانت هذه القرية تزيد اعتباراً عن الآن، لأنه كان بها ثلاثة آبار[212] عامرة شهيرة كان دائماً يصلحها الشيخ مصلح. ولعائلة العزة أهمية في تاريخ هذه البلاد، فإنها قد حكمتها مدة وكانت ذات نفوذ عظيم بها، حتى أنه قيل إن أولاد مصلح وأولاد ابن عمه كانوا يفعلون أعمالاً تنفر منها الطباع السليمة، كقتل من يغتاظون منه، والدخول على المرأة التي يحبونها على الرغم من رجلها.

وكانت أعمالهم تؤثر في والديهما، غير أنهما لا يتخذان الوسائل اللازمة لردع بنيهم

[212] وردت في الأصل بيارات وهي عامية بمعنى آبار.

عن مثل تلك الارتكابات. فهذا الأمر حمل الأهلين على كره تلك [العائلة]، وقد وقع اختلاف بين مصلح وابن عمله على أمر حكومة البلاد، فكان مصلح لا يريد التنازل عن تولى أمرها، وذاك يتمنى بأن يملكها، فأوجب الأمر بينهما إلى حمل السلاح أكثر من سنة، وكانت في الجميع الغلبة لمصلح لمساعدة الدولة له، وميل أكثرية الأهلين لمساعدته وإبقائهم حكومته.

وله في هذه القرية قصر جميل، وكان لابن عمه قصر آخر نظيره. وكان في أيام الاختلاف حزب مصلح يتحصن في قصره، وحزب ابن عمه يتحصن في قصره، ويشتغل إطلاق البنادق بينهما، وكانت المخاوف كثيرة، ولا يأمن الإنسان على نفسه من غدرات عدوه المتصلة، ولما عظم نفوذ الحكومة في هذه البلاد في أيام ثريا باشا، أخذت الفتن تقل، وحينئذ فاز الشيخ مصلح بولاية البلاد، غير أن خضوعه للدولة صار أكثر مما كان سابقاً، وانقطعت تعديات الأهالي بعضهم على بعض، كذلك تعديات المقاطعات التي ما كانت تفتر مطلقاً، وأخذ الناس يشعرون بالراحة ويبادرون إلى أعمالهم.

وفي أيام عزت باشا فاز مصلح بالولاية على كل جبل الخليل وصار قائمقاماً في مدينة الخليل، وبقي في ذلك المركز أكثر من سنة ثم عزل ولزم بيته، وأما عائلة بيت عمه، فتأخرت كثيراً وكذلك هو قد خسر جانباً ليس بقليل من غناه السابق.

ومن ثم أخذت هذه القرية تنحط أكثر فأكثر حتى خربت الآبار التي بها وكذلك قصر ابن عمه.

وكانت الدولة قد فصلت ابن عم مصلح المذكور المسمى ناجي عن بيت جبرين، وأسكنته كدنا[213] ومات فيها.

حمائل بيت جبرين:

وأهالي بيت جبرين الآن يقسمون ثلاثة أحزاب، فالأول الدعاجنة، والثاني الشوابكة، وهذان حزب مصلح، والثالث الغبارية، وهو حزب ابن عمه ناجي. ولم تزل حتى الآن العداوة بين حزب مصلح وابن عمه.

وأهالي هذه القرية يبلغ عددهم الآن 1200 نفس خلافاً لما ذكرنا من قبل، وقد مات من سكانها في الصيف والخريف وبداية الشتاء الماضين 450 نفساً بالحمى التيفوسية، وهذا من الأمور الغريبة التي لم يشاهد مثلها في هذه البلاد قبلاً.

وأحوال الأهلين بها كأحوال خلافهم من سكان جبل الخليل، وكذلك عاداتهم.

---

[213] - كدنا بضم الكاف او بكسرها في الشمال الغربي من الخليل، اقرب قرية لها: رعنا.

ويوجد مكتب[214] بسيط بهذه القرية عدد تلامذته في أيام الشتاء 25 وفي الصيف 17، غير أنه لا أحد منهم يحسن القراءة البسيطة.

أما مصلح العزة فعمره 65 سنة تقريباً، وهو ذو هيبة ووقار وملامح[215] الشجاعة وكرم الأخلاق يلوحان على وجهه، وقد شاهدت عنده من طول الأناة ما كنت لا أؤمل وجوده به.

وقد تزوج خمس نساء ماتت ثلاث منهنّ، والآن له ستة شباب بعضهم كريم الأخلاق [..][216] وعندهم نوع من طبائع فلاحي بلادهم.

أما أراضي بيت جبرين فجيدة وحسنة التربة، وأكثرها سهل لا يحتاج إلى أتعاب كثيرة، فيزيد خصباً وإقبالاً، وجميع زيتون هذه القرية وبيت نخاس وإذنا وتفّوح قديم جداً، ويقول الفلاحون إنه من زمان الرومان، ويوجد أشجار كثيرة مقطوع أصلها القديم، والآن [هي] مفرعة. على تلة الديرة خمس أو ست أشجار. وقد يكون بين هذه الأشجار ما هو ذو حجم كبير للغاية.

في الوادي الذي إلى الجنوب من بيت جبرين أشجار محيطها 15 قدماً وواحدة 16 قدماً، والتي [محيطها] 12 قدماً كثيرة وعشر وثمان، وأما أقل من ذلك فلا يوجد. وحتى الآن هذه الأشجار تأتي بمحاصيل جيدة.

ثم داخل هذه القرية لا يزرعون الآن سوى بعض أشجار التين. وأما الكرم [أي العنب] فلا أثر له بهذه الجهة، مع أنه لو زرع لأتى بمحاصيل كثيرة لجودة الأراضي.

آثارها :

وقد كانت هذه المدينة كبيرة في الأيام السالفة. وفي الجهة الشمالية منها لم تزل إلى الآن آثار رسومها ظاهرة، وقد كان حولها خندق باق أثره حتى الآن.

في الزاوية الشمالية الشرقية أثر بناية قديمة مبنية من حجارة كبيرة، وحتى الآن واقف هناك قوس شاهق، وربما كان قصراً كبيراً متصلاً به، وعرض هذا القوس 10 أقدام، وهناك مقبرة للمسلمين، سكان القرية، وفوق القبور أعمدة كثيرة مختلفة الأشكال، وبعضها رخامي.

---

[214]. أي مدرسة بحسب المصطلحات العثمانية في ذلك الوقت.

[215]. في الأصل: لوائح.

[216]. كلمة غير مقروءة.

ولا شك في أن الفلاحين أتوا بها من المدينة إلى هناك، وهذا ما يدلنا على عظمة سكانها من السالفين واقتدارهم، وجمال مدينتهم وبهائها . وفي هذا المحل يجدون عملة من النحاس عتيقة.

وأمام هذا البناء المتصل به السور من الخارج لجهة الغرب بئر قديم ماؤه نبع يسمونه بئر العجمي[217] على شط الخندق للشمال، وعليه أثر آبار[218] منظمة وحجارتها كبيرة ومجاريها جميلة.

وعلى بعد قليل منه للغرب بئر آخر كذاك وحوله من البناء ما حول ذاك، وفي جهة الغرب حجارته أكبر من حجارة ذاك، وبه عمودان من رخام مجوفان ومعمولان آقنية، وأمام هذا البئر المسمى ببئر القلعة[219] بناء كبير مربع الشكل، وداخله أبنية عَقْد يسكنها الفلاحون يسمونه القلعة، وبجانبه الجنوبي أثر كنيسة قديمة ربما بناها الصليبيون، وبها أعمدة جميلة وعمارتها متينة، وفوق رؤوس تلك الأعمدة قواعد من رخام منقوشة نقشاً جميلاً للغاية.

وربما كان هذا المحل ديراً لأن هناك باب فيه الرواق يوصل إليه بوساطة الصعود على درج، وأما الكنيسة فخربت تماماً، ولم يبق حتى الآن إلا بعض جدرانها الخارجية قائماً ثلاثة أذرع منها، وفي وسطها عمودان قائمان كما ترى في الشكل، وربما كانت هذه الكنيسة كانت على أسم جبرائيل رئيس الملائكة، لأنه بالقرب منها لجهة الجنوب الغربي مقام يسمونه النبي جبرين، فمنه نقدر أن نستدل الدلالة المذكورة، ولا شك في آن هذه الكنيسة شهيرة في الأيام السالفة لعظمتها وكبرها، وتسمت المدينة باسمها المحرف من جبرائيل لهذا اليوم والله أعلم بكل شيء.

أما رسم القلعة المذكورة والكنيسة بجانبها فهو هكذا[220].

ثم إن القلعة والكنيسة لم يخربا الخراب الذي هما فيه الآن منذ زمن طويل[221] لأنه قد قال كثيرون من الفلاحين المتقدمين بالسن إنهم يعونها عامرة. وإنها كانت سجناً في أيام الجزار[222] ومن بعده.

---

[217] . هذا البئر مشهور وهو يقع ضمن منطقة الغبارية

[218] . في الأصل بيارة جمع بئر وهي عامية

[219] . هذا البئر مشهور ايضاً ويقع ضمن أراضي عائلة العزة

[220] . لا يوجد اي شكل أو رسم في المخطوط يخص هذه الفقرة ومن المرجح انه رسم مفقود.

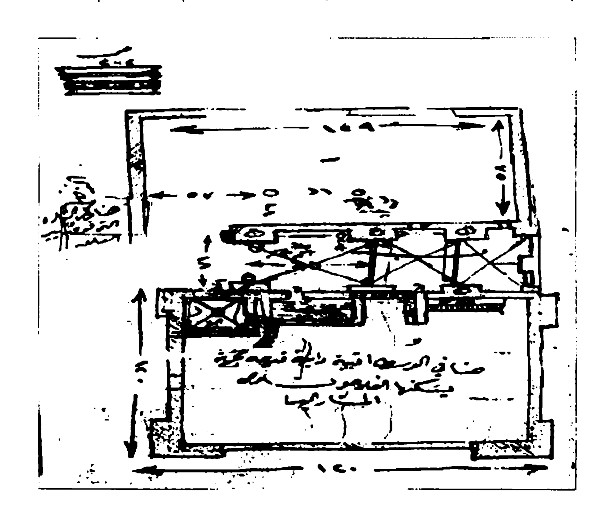
[221] . في الأصل: من زمان طويل

[222] . احمد باشا الجزار (1734 . 1804م) الذي ولد في البوسنة وباع نفسه باعتباره مملوكاً، وحكم شمال فلسطين والشام اكثر من 30 عاما واشتهر بدمويته وبصموده امام قوات نابليون عام 1799. ولولا وفاته لتولى حكم مصر قبل محمد علي

وقد آخذت بالخراب منذ أخذ مصلح العزة في بناء بيته، وقد تحصن بها الفلاحون مرة وحاصروا الدولة، ثم مرة أخرى بعد أن خربت، وبنوا برجاً بها لم يزل عامراً إلى الآن، وهو في الجهة الشرقية بين الكنيسة والقلعة.

وفي وسط القلعة الآن شيء من الصبّار[223] وكذلك وراء جدارها لجهة الغرب يوجد حاكورة[224] كبيرة من الصبار. وحول هذا البناء من كل الجوانب، كان هناك أبنية عظيمة، يُستدل على وجودها من رسومها والحجارة الكبيرة الملقاة على أكوام التراب، تنعى أيام عزها وينادي لسان حالها شاهداً باقتدار صباها وجماله. وأما هذه المحلة إلى الشرق [فهي] مقبرة للمسلمين قديمة. غير أنهم في سنة 1874م قد أُلزموا بأن يحفروا قبوراً حديثة فيها، حيث قد غصّت مقابرهم بمواقع الكثيرين منهم بعد أن فعلت بهم أيدي الأمراض الوبائية الناشئة عن انفجار مياه في دار للغرب من قريتهم، وتحقين مائها وانتانه وتأثيره بأجسامهم.

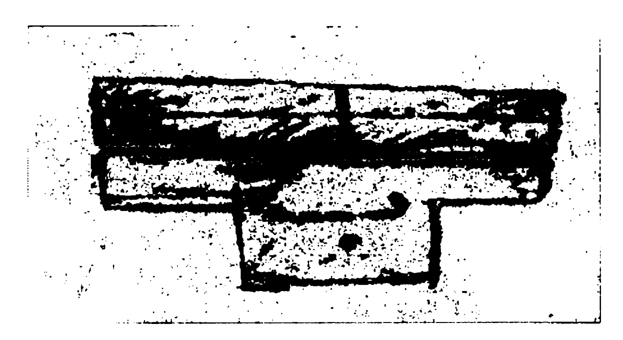
وقد ساعد على ذلك كثيراً [أي انتشار الوباء] عدم اعتناء الفلاحين بأمر صحتهم، وكثرة الأقذار المحيطة ببيوتهم [حيث] المزابل كأبراج عظيمة قائمة في الفسحات الموجودة في قريتهم وإذا تركوها .. تلحق بالعلو إلى ماشاء الله، لأنهم في كل يوم يزيدونها.



(223) . في الأصل: الصبّير.

(224) . الحاكورة أرض تحبس لزرع الأشجار قرب الدور. (المعجم الوسيط)

فـ(أ) ‌في الشكل دائـرة الكنيسـة، و(ب) الـرواق من الجهـة الشمالية وبـه سـتة أعمـدة واقفة حتى الآن فوق لكل منها رأس [تاج] من رخام أبيض عليه نقوش جميلة، وفوقه غطاء مربع كما ‌في الشكل (ص) وفوق هذا الغطاء قوس يتصل بالآخر الذي يقابله وهـذا الغطـاء ‌في الجانب الجنوبي من حجر واحد فوق كل عمـود آخـر فـوق ثلاثـة الأعمـدة، المغطاة من جهة واحدة إلا جانباً. كما نرى غراز موصول وصلاً جميلاً ..



فإن (أ) الوصلة، و(ب) القطعة، و(ج) العضائد التي ما وراء الأعمدة. فالجنوبية 3 5 أقدام [من ثلاث إلى خمس أقدام] وعرضها 2-3 أقدام [من ثلاث إلى قدمين]. والشمالية 3-5 أقدام [من خمس إلى ثلاث أقدام] الطول، والعرض 4 قدم [أربع أقدام]، والأعداد التي تراها هي طول وعرض المحلات المرسومة بها (وهكذا ‌في كل شكل) و(د) حجرة بابها ثلاثة أقدام، وداخلها الطول 16 قدم [ست عشرة قدماً] والعرض 9 أقدام [تسع أقدام]. وهذا باب كان يدخل للقلعة التي هـي الدير. وعـرض البـاب ثـلاث أقدام. وعلى بعد ست أقدام من الداخل باب آخر يصعد منه بدرج طوله 32 قدماً، وربما كان لحجرة الدير العالية.

وقبالته ‌في الجانب الثاني باب آخر مردوم، والخطوط المعارضة بعضها بعضاً (هـ) دلالة على أن السقف عقد عامر حتى الآن.

و (و) دائرة القلعة وكل من طولها وعرضها 120 قدماً، و(ز) البرج العامر الذي بناه المسلمون حصناً كما تقدم. وإن شاء الله نستطيع رسم رؤوس الأعمدة إذا تيسر ذلك.

ثم وراء القلعة لجهة الغرب بئر كان ‌في موقعه آبار واسمه بير الحمّام. وعنده رأس عمود وبه نقوش ومن جملتها شكل المنارة التي كانت ‌في قبة الشهادة (؟).

ثم إلى الجنوب من بيت جبرين على بعد خمس دقائق بئر ماء نبع يسمونه بئر أم

جدير[225] وجميع الآبار تعد من الآثار لأنها مبنية من زمان قديم، وحجارته ليست بصغيرة، والحبال على كرور الأيام مؤثرة بها تأثيراً عظيماً. وقطر دائرة كل بئر تنوف عن عشرة الأقدام.

خربة صندحنة :

وإلى الجنوب الشرقي من هذا البئر على بعد سبع دقائق، خربة كبيرة كانت مبنية على ثلاثة تلال اسمها صَنْدحنة[226] المهمة. وغالباً كانت هذه الخربة الكبيرة ملحقة ببيت جبرين لاتصال الآثار في بعض الأمكنة الغربية والله أعلم.

ومن آثار صندحنه المهمة المغائر الكبيرة العجيبة التي هناك، وكنيسة في الجانب الشرقي من هذه الخربة في جبل. وناووس يحتوي على خمسة وثلاثين قبراً، وسوق صندحنة الغريب، ومغارة صندحنة التي لاشبيه لها، وآبار كثيرة معقودة بالحجارة. حتى أن المعن للنظر في صندحنة، وجميع الأراضي التي حول بيت جبرين يتعجب كثيراً حين يرى جميع الجبال [وقد] جوفتها أيدي السكان الغابرين بنوع يدهش ويعجب أيُ إعجاب. فسبحان من أقام عباده بما يشاء.

وسنتكلم للإيضاح عن كل ما ذُكر بمفرده، ونضع رسم ما قدرنا أن نأخذ رسمه.

أولاً . كنيسة صندحنة :

وهي في شرقي خربة صندحنة، وهذه الكنيسة قديمة جداً بحسب ما يستدل من آثارها الباقية، فإن حنيتها تدل على أنها من زمان الدولة الرومانية المسيحية. وكذلك الحنيات الموجودة على جوانب الهيكل الأوسط، كما نرى في الشكل.

وقد جدد الصليبيون البناء قبالة الحنية الوسطى القديمة الشاهقة، غير أنهم لم يلحقوه بها تماماً لعلوها، فكان عقدهم أوطأ منها بنحو سبع أو ثماني أقدام، وألحقوا بها حائطاً حتى أضحى شكلها غريباً، وربما كان بناء هذه الكنيسة على اسم القديسة حنة، أو ربما الصليبيون سموها على اسم القديسة المذكورة. وهذا الاسم غالباً مأخوذ عن الصليبيين والفلاحون حرفوه، لأن أصله ربما، أو هو الصحيح، سنتاحنه.

وهذه الكنيسة قد كانت كبيرة جداً، ما لم نشاهد مثلها في كل جبل الخليل. وآثارها

---

[225]. يسميه اهالي بيت جبرين الآن بير ام جديع

[226]. يسميها الفلاحون صنداحنة

ومراعاة قوانين بناء الكنائس القديمة والحديثة، يشهدان بكبرها السابق، وإن تكن كرور الأيام قد أخربتها، واختطفت أكثر رسوها الغريبة، وأقامت عوضها آراض تفلح من الأهلين.

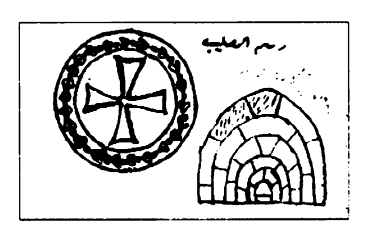
ثم ومن الممكن أن يكون دير حولها بني بعدها، لأن هناك آثاراً لبنايات فوق الكنيسة للشرق. والله أعلم.

وفي الرسم يتضح الأمر بزيادة. ولم يزل إلى هذا الوقت، شيء من جدران الكنيسة عامر، فإن الحنية الكبيرة التي تقدم ذكرها واقفة حتى الآن، والحائط بجانبها الشمالي أيضاً واقف، وبه أثر طبقات عليا وشبابيك كبيرة اثنان منها واطئان، وواحدٌ عالٍ وآخر يساويه خرب نصفه.

وحائطا الكنيسة، الشمالي والجنوبي لم يزل إلى الآن باقٍ جانبٌ كبير منهما، والعقد بينهما واقف حتى الآن، وقد كانت هذه الكنيسة من داخل وخارج مبنية من حجارة كبيرة أكبرها 6 أقدام وارتفاعه قدم ونصف، ومحلات الحديد في الشبكة ظاهرة حتى الآن، والكلس على بعض الجدران الواقفة باق مصفَّحٌ بعضها.

وقد قال لي رجل شيخ من الفلاحين إنه يعرف أكثر جدران الكنيسة والدار حولها واقف، وقد كان يصعد إلى سطحها بدرجٍ جميل، غير أنه الآن قد خرب، وباقية رسومه. ومن عليها يصعد للسطح، وقد صعدت عليه.

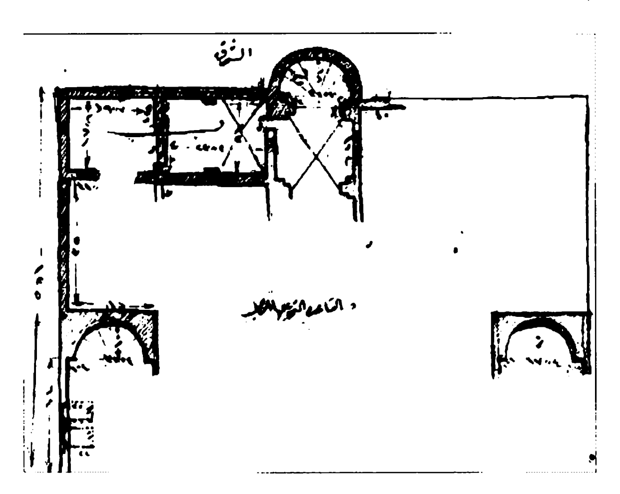
أما ارتفاع الكنيسة فثلاث وأربعون قدماً إلى حد التراب المردوم به أرضها، وربما كان علوُها خمسين، وقد وجدنا حجراً بدا كأنه كان قاعدة عمود سفلية أو علوية، عليه صليب جميل وهذا رسمه. شكل بناء الحنية الوسطى والاثنتين [الباقيتين] مثلها.



تنبيه :

إن الصليب واقع في وجه الحجر الشرقي، ومن هناك تراب حفر حديثاً فظهر هذا الصليب. وهذه القاعدة قد كانت كبيرة مكسورة، ربما نحو نصفها من جهة العرض، وأما من طولها فلم نعلم كمية المكسور منها، حيث لا دلالة عليه.

وقد وجدنا هناك أيضاً قطع رخام منقوشة نقشاً جميلاً يستدل بأنها كانت رؤوس أعمدة، والآن ليس هناك أي[227] عمود مطلقاً، ولربما وجدت [أعمدة] شرقيٌ ذلك تحت أكداس التراب، أو [أن] الفلاحين نقلوا الجميع إلى فوق قبورهم، أو كسروها والله أعلم. وهنا رسم الكنيسة المشار إليها



إن (أ) في الشكل الحنية الوسطى ومن داخل وخارج مبنية من حجارة كبيرة وارتفاعها 43 قدماً خلا المردوم منها، وفيها ثلاثة شبابيك. وبجانب الكنيسة الجنوبي حجرتان يدخل إليهما من باب في الكنيسة عرضه ثلاث أقدام وخمسة قراريط.

وبعض الحجرة الأولى الملاصقة للكنيسة لم يزل جانب من عقدها حتى الآن، ويدخل منها إلى الثانية باب فوقه عتبة كبيرة طولها 8 أقدام، وارتفاعها 2.5 قدم، والحائط الشرقي من هذه الحجرة الملاصقة للحنية أكثره واقف حتى الآن، وارتفاعه كارتفاع حائط الحنية إلى ست أقدام.

ثم إن الحنية الصغيرة جالسة حتى الآن إلا في أوسطها فمثقوبة من كثرة الأيام، وهي من حجارة كبيرة وأمامها فسحة كبيرة حائطها الشمالي مرتفع ست أقدام عن الأرض، وطول هذه الفسحة من قطر الحنية إلى آخر البناء 64 قدماً، وتحت هذه الفسحة

(227) في الأصل: ولا عمود.

من وراء الحائط إلى خارج الكنيسة قبوان عامران تماماً طول كل واحد منهما 22 قدماً وعرضه 11، ويُدْخَلُ من الأول إلى الثاني ببابين صغيرين [عرض] كل واحد قدمان وارتفاعه 3 أقدام و[هما] واقفان.

ثم إن الحنية الصغيرة التي تقابل هذه فلا قبة لها لكونها مهدمة[228]، وأما رسومها فباقية ظاهرة تماماً حتى الآن والرسوم من الجانب الجنوبي متلاشية تماماً، إلا نحو عشر أقدام بجانب الحنية الوسطى، ولابد من أنه كانت دائرة البناء هنا معادلة الجهة الشمالية، وقد رسمنا ذلك الخط دلالة على ذلك.

ونختم الكلام الآن ونقول إن هذه الكنيسة من أعظم الكنائس في هذا الجبل، والتي حفظتها لنا الأيام حتى الآن، وعظمها تدل على عظمة المسيحيين السالفة بهذه المدينة، فسبحان من يقلب البلاد وكيفما يشاء ويريد.

ثم وإلى الغرب من هذه الكنيسة على بعد نحو مائة وخمسين ذراعاً فيها بانحدار مفارتان لربما كانتا مقابر للرهبان، هما منقورتان بالحجارة، والله أعلم.

وإلى الشرق بانحراف إلى الشمال منها بئر ماء يسمونه بير كنيسة صندحنه يقولون إن به طاقة يدخل منها إلى سرداب يؤدي إلى الكنيسة، غير أن بابه منها مسدود. أما نحن فما نزلنا به لنعلم إن كان ذلك صحيحاً أم لا؟.

وماء هذا البئر لا ينبع إلا عندما تكون الأمطار كثيرة وغزيرة كسنة 1874م، وهو منقور بالصخر أيضاً..[229]

ثانياً . العرقان :

إن العرقان موجودة بكثرة في جميع الجبال المحيطة في بيت جبرين، وهي مغائر كبيرة جداً وعظيمة، حتى أن الناظر إليها يتعجب من قدرة الذين اشتغلوها. والآن خرب بعضها بفعل الزلازل، وبعضها يبلغ طوله نحو 400 قدم أو خمسمائة إذا ضمت دوائره المركّب منها على خط واحد، وقيس قطرها.

وشكل كل دائرة على شكل خيمة مستديرة، وفي رأس القبة نافذة مستديرة كفم البئر، وقطر الدائرة من 50 إلى 60 قدماً، وأكثر وأقل، وعلو القبة يفوق السبعين قدماً والثمانين في البعض، وأقل من ذلك في البعض الآخر.

---

[228] . في الأصل: خربانة

[229] . كلمتان مطموستان بفعل الرطوبة

وهذه القباب من داخل فقط، ومن فوقها الجبل، لا يظهر منها شيء سوى الفوهات المسدودة [في معظمها] بحجارة كبيرة.

ولا أحد يعلم لماذا حفروا هذه المحلات العجيبة، ولكن ربما كانوا يبيتون بها كبيوت، ولا باب حقيقي ظاهر لأكثر هذه العرقان بل يُنزل إليها من المحلات الخربة فيها.

وكيفية تركيبها مختلفة، فمنها ما تجد ثلاثا أو أربع دوائر منه على خطٍ واحد، ومنها تتفرق دوائر أخرى، ومنها ليس كذلك. وفي أكثرها عند الأرض مساطب ومقاعد وأحواض وآبار صغيرة ودواوين، ومنها ما به نواويس، ومنها ما به على شكل معاصر الخمر، ولا بد للداخل إليها من أن يندهش من منظرها.

وكنت أحتار كثيراً عندما أشاهدها وأتساءل أين رحلوا بما خرج منها من التراب والصخور، لأننا لم نجد تل تراب، وربما إذا جمع أكثر تراب القرية يأخذه عراق واحد. وأظن أن هذه المغائر أصلها طبيعي، والسكان القدماء قد أصلحوها وجعلوها على شكلها الحالي. ولست أعلم إذا كان تفكيري[230] مصيباً أم لا.

ومن الغرائب وجود آثار آلة الحفر حتى الآن في أكثر المواضع، كأنها محفورة حديثاً.

والآن نتكلم عن بعض هذه العرقان ومراكزها وأسمائها ونضع رسم المهم منها.

فأولاً، عراق الأسالمة[231]:

هو بقرب بئر صندحنة لجهة الشرق، وهو ليس بكبير كخلافه، وقد خرب جانب منه وبه آثار تدل على أنه ربما كان مقبرة، وبه في الجانب الغربي منه حفر بالحائط كالحفر التي في سوق صندحنة، الذي سيأتي ذكره.

وقد قال القبطان كوتشنر بأنه شاهد مثل هذه الطُوَق في إيطاليا، ويستعملونها في مقابر الرهبان، إذ يضعون كل جمجمة راهب في حفرة.

الثاني، عراق هليلة:

وهو كبير وبه عند انتصافه في السقف نواويس خربة من كرور الأيام، ولم نر لها باباً لننزل إليها وموقعه إلى الشرق بانحراف إلى الشمال من الذي قبله.

---

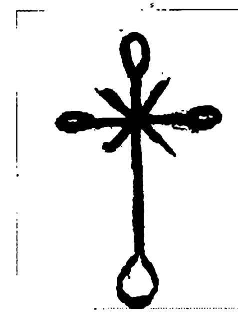
[230] . في الأصل: فكري.

[231] . يسمى أيضاً عراق صندحنة

الثالث، عراق المنشية:

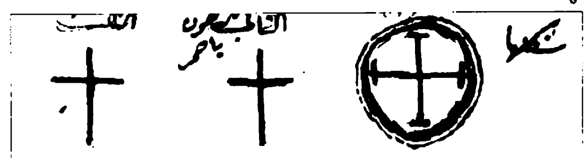
وهو يقسم الآن إلى قسمين يفصل بينهما جانب كبير خرب منه. فالأول قرب مدخله في ديوان على يدك اليسرى صليب رسمه هكذا.

وقبالته على بعد قليل منه يبلغ نحو ثلاثين قدماً كتابة كوفية هنا مسجلة، وهي (محمد رسول الله لا إله إلا الله) مكتوبة في خطين. وعند آخره في الصدر حفر كبير كخواب وخلافها، وبعضها كشكل نواعير المصبنة.

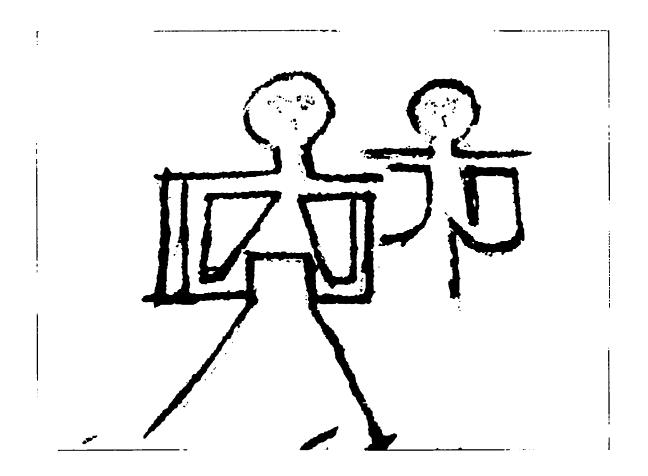


و[في] حائط الدائرة هذه، على ارتفاع نحو خمس وثلاثين قدماً من الأرض، كتابة كوفية ذات ثلاثة أشطر لم أقدر أن أقرأ منها سوى اسم الملك صلاح الدين الأيوبي، ومن ذلك نستدل بأن هذه الكتابة كتبت في أيام الملك صلاح الدين الأيوبي حينما فتح البلاد. وفي الجانب الثاني صليب هكذا على ارتفاع تلك الكتابة.

وتحته أيضاً كتابة كوفية، يقدر الإنسان وهو على الأرض أن يلمسها بيده، وهي هذه الجملة: (يا الله يا محمد) وفي هذا القسم من عراق المنشية بئر ماء نبع، ثم وفي آخر القسم الثاني من هذا العراق صلبان منقورة بالصخر على علو ليس بقليل من الأرض. وهذا شكلها:



وفي الصخر نفسه المرسوم به الصليب الثالث، زاوية مربعة شاهقة، وبها من أسفلها نبع ماء قليل، وأمامها من جهة الشمال بارتفاع نحو خمسين قدماً ونيف عن الأرض. رسم أشخاص إناث غير منتظم وهذه صورته:



وهذا الرسم تماماً غير أنه هناك كبير يعادل جسم المرأة. وتحت الصلبان التي تقدم ذكرها كتابة كوفية وهي (الله محمد).

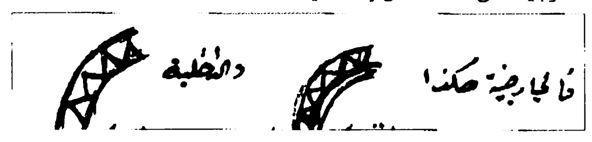
[الرابع] عراق الخيل:

ثم إن من العرقان الجميلة المختلف شكلها عما سواها ما يسمونه عراق الخيل، وهو على يمين الطريق المؤدي إلى قرية القبيبة.

ويبعد عن بيت جبرين نحو خمسة دقائق لجهة الغرب بانحراف إلى الجنوب، وبه آثار كنيسة ونقوش صليبية وهو أجمل جميع العرقان، ولأجل اختلاف شكله عما سواه وجماله، قد آخذنا رسمه وسنضعه هنا.

وفي ذلك نقول إن هذا العراق ندخل إليه بباب فسيح عريض، وبعد أن نمر في دهليزه إلى آخره نرى في السقف المقوس الداخلي من الجانبين تقاطيع جميلة باقٍ بعضها إلى الآن.

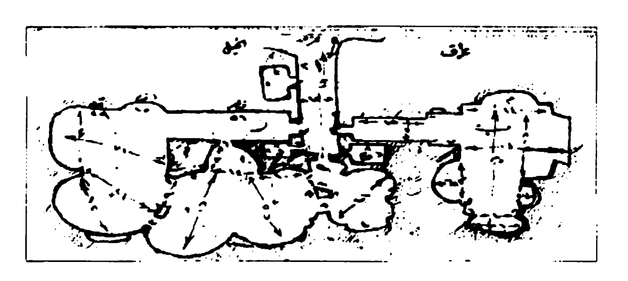
فالخارجية على هذا الشكل والداخلية هكذا.



وقد كان هذا العراق مكلساً كما يرى الآن من أثر الكلس الموجود على بعض جدرانه.

وعند مدخله في الجانب الأيسر حفر كثيرة منتظمة، لربما كانت آبار ماء صغيرة، أو لأجل استعمال خلاف هذا، وفي دهليز هذا العراق ثلاثة حُجَرٍ جميلة: الأولى قرب المدخل، والثانية قرب الباب الداخلي الذي فوقه والمخاريط المرسومة، والثالث مقابلة. وسوف ترى مركز كل شيء وكل من طوله وعرضه ورسمه.

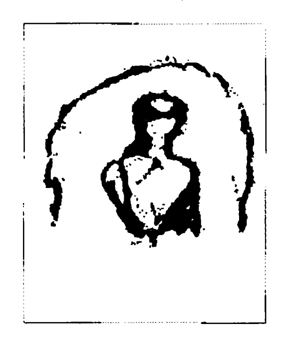
وفي سقف هذا العراق فوهات للاستنارة منها. والآن تسكنه مواشي بعض الفلاحين، ويأوي إليه بعض الرعيان في أيام الشتاء، حتى أن خيلنا وبغالنا التجأت إليه حينما وافتنا الأمطار الغزيرة في 26 آذار غربي صباحاً، حينما كنا في بيت جبرين واستقامت تهطل من يوم الجمعة صباحاً إلى يوم الأحد مساء، بغير انقطاع وبغزارة كلية. وقد تكللت الجبال حولنا بالثلوج واشتد البرد عندنا، حتى بتنا لا نقدر أن نخرج من أبواب الخيام.



فإن (أ) الدهليز وبه حجرة عند الباب ومنه أيضاً يدخل إلى (ب) و (ج) و(د) و(هـ) و(ز).

أما (ب) فحجرة كبيرة يدخل إليها من باب عرضه 3 خطوات، ولا ارتفاع معلوم له الآن، لأنه مردوم ومفتوح منه قدر ما يدخل الإنسان فقط، وسمك الباب 8 أقدام، والدهليز عرضه 5 خطوات وطوله 22 خطوة، وقبل آخره بسبعة خطوات بعرض خطوتين، كما في الشكل، وارتفاع سقفه قامة إنسان طويل. ومن حين يأخذ بالعرض، يرتفع سقفه أيضاً بحيث يصير نحو 15 قدماً وداخله كما في الشكل. وقياس كل شيء به مذكور هناك وارتفاع قبته قريب 55 أو 60 قدماً، وبها فوهة كبيرة مركزها عند النقطة التي بجانب الأربعين، وكل من (ج) و (د) حجرة عرض بابها خطوتان وارتفاعها مع سقفها كارتفاع

سقف الدهليز الذي يبلغ 20 قدماً ونيف، وهو باب الدائرة الكبيرة وهو ذو قوس خرب جانب منه الآن وعليه التخاريط في وجه [الصفحة] 139 كما تقدم. وداخله كما ترى في



الشكل، وارتفاع السقف نحو 55 قدم إلى 60، وبه أربع نجمات للضوء كما في الشكل. غير أنها الآن انسدت لخراب .. و(ز) أجمل قسم في هذا المحل، وبه كانت الكنيسة، وبابه الذي إلى الدهليز كالذي يقابله، وفي حائطه الشرقي نقوش من الزاوية إلى طرف الدائرة، عرضها ذراع واحد، ومن الزاوية إلى الحائط مائة قدم. وفي الجدار الثاني يقابله نقوش على الحائط أيضاً وعند الطبقتين في الجدار تجويف في الحائط هكذا.

وبه في رأس الشيء المماثل للشخص مثل جرن للماء المقدس الذي يستعمله اللاتين في كنائسهم. والسقف هنا كأنه قبو معقود، والجدران كأنها رخام مجلي، غير أن أقذار المواشي قد أثرت بها من أسفل، وارتفاع أسفل النقش عن الأرض علو قامة إنسان، وكل من (ح) عضاضة قائمة من الصخر نفسه، والنتيجة أن هذا العراق جميل ومدهش، حتى الآن لم تؤثر به أيدي الخراب كغيره، وكله منقور بالصخر.

تنبيه :

(إن الصخر في هذه البلدة طري يقارب الكدان يسمونه ملكي).

[الخامس]، عراق الزاغ:

وإلى الغرب من هذا العراق نحو الجنوب الشرقي عراق الزاغ، وهو كبير غير أنه مخرّب[232].

وإلى الشرق منه بانحراف إلى الجنوب والفاصل بينهما بعض بساتين الطريق.

[السادس]، عراق المقطع:

وهو كبير جداً غير أنه الآن خرب تماماً، وطوله ينوف عن 500 قدم أو أكثر، والآن

---

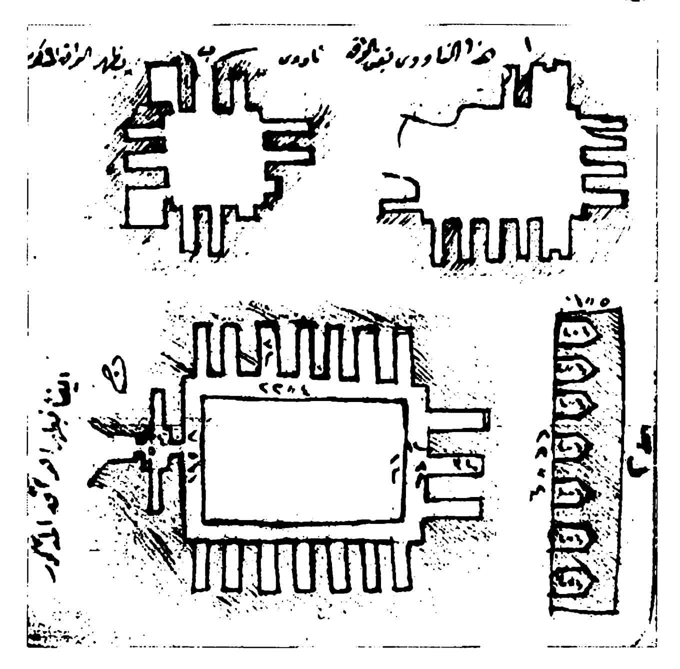
[232]. في الأصل: خربان

فوقه بساتين، وبجانبه لجهة الشمال الغربي عراق صغير خرب، به نواويس في أعلاه هذا رسمها:

(أ) هذا الناووس بالعراق نفسه.

(ب) ناووس بظهر العراق المذكور.

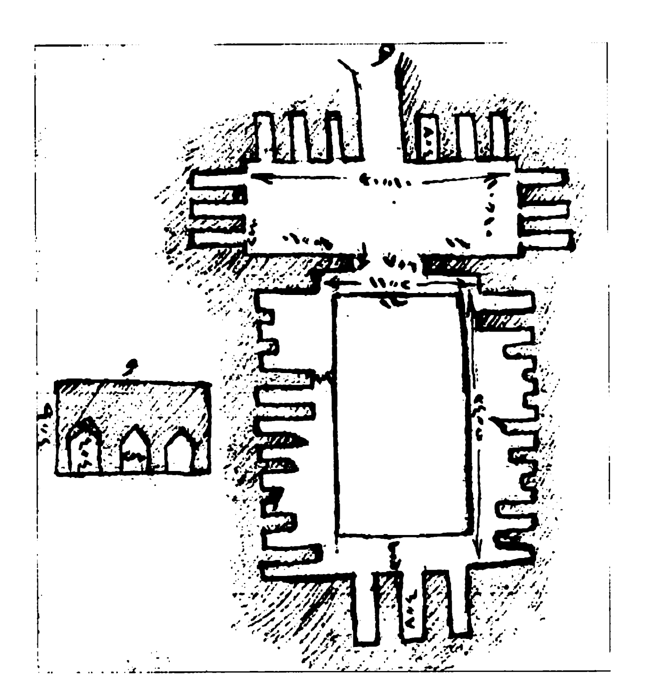
(ج) أيضاً بظهر العراق المذكور.



تنبيه:

إن شكل (د) وهو رسم الأبواب في ناووس (ج) ويجب أن تعلم أن جميع أبواب النواويس في هذه المحلة من هذا الشكل والقدم.

ثم في جهة القبلة من خربة صندحنة ناووس آخر كبير فيه 35 قبراً غير أن أكثرها خراب، والآن بات هذا الناووس مسكناً للمواشي وهذه صورته:



إن (هـ) رسم الناووس والأعداد التي فيه قياسات المحلات الموضوعة عليها و(و) شكل أبواب القبور التي به، والأعداد التي ضمنها عرضها عدد 9.4 هو علو السقف[233].

[تل صندحنة]

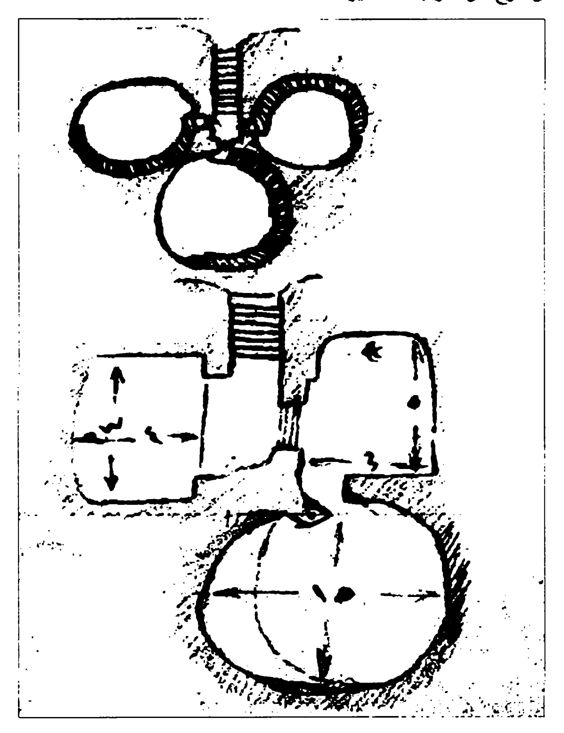
ثم والى الغرب في كنيسة صندحنّة تل مرتفع يسمونه تل صندحنة وعليه أثر قوس كبير، وبجانبه الشرقي مغارة كبيرة غريبة مظلمة ينزل إليها بباب صعب، ولا يمكن

[233] . بعد هذه الكلمة يعلن القساطلي عن نهاية الجزء الأول من سياحته فيكتب (تم الجزء الأول من السياحة النعمانية ويليه الجزء الثاني)، ولكن الجزء الثاني يبدو مبتوراً إذ يبدأ بعشر صفحات غير مرقمة تحت عنوان أورشليم أو القدس الشريف، ليعود بعدها إلى ترقيم الدفتر الثاني مستأنفاً الحديث عن خربة صندحنة بقوله (تابع الدفتر الأول من أ)، ولذلك نقلنا الصفحات المتعلقة بالقدس إلى مكانها المناسب من هذا الكتاب، وتابعنا معه الحديث عن خربة صندحنة

الدخول إليها بدون نور، وهي تحتوي على نحو عدة دوائر أو كثر، ولكل دائرة درج ملاصق للحائط، ويدخل لكل واحدة من الأخرى.

وفي الوسط دائرة كبيرة قائمة على أربعة عضائد عريضة مربعة تقريباً، وطول هذه الدائرة أو الحجرة يقارب المائة قدم، وعرضها ينوف عن الستين قدماً، وبهذه الحجرة لا يوجد درج لغيرها بل لها باب آخر يؤدي إلى دائرة أخرى، ومنها يصير التسلسل إلى أن نصل إلى دائرة الباب، فينزل إليها بباب في الأرض، وثم تأخذ بالصعود إلى أن تصل إلى الباب، وهذه المغارة غريبة الشكل ولا نافذة بداخلها مطلقاً.

وقد كان يقول الفلاحون بأن آخرها في غزة، لأنه لم يتمكن أحد منهم من جوبها تماماً من قبل، ولا شك [في] أن من يدخل إليها بدون نور سيعرض ذاته لخطر الموت من السقوط من درج من أدراجها الكثيرة.



وهناك عند الحجرة الكبيرة قرب بابها حجرة صغيرة مربعة، وبها محلات كثيرة للشرح، ولسنا نعلم لأي شيء حفروا هذه المغارة الكبيرة، وقاسوا أتعاباً باهظة.

وفي تل صندحنة آبار كثيرة ومغائر كبيرة وصغيرة، والغالب منها ذو دوائر تتشعب من نهاية الدرج الذي ينزل إليها، ومن ثم يصير لكل دائرة باباً، وقد يبتدىء درج يوصل إلى قاعها، وهذا الدرج ملاصق للحائط، ومن الجانب الآخر له على شكل داريزون ثم نفسه، ذي درجات. وعرض هذا الداربزون غالباً عشرة قراريط. وهذا رسم أحد الآبار واحدى المغائر للإيضاح.

إن أكثر الآبار تحتوي على ثلاث دوائر، وبعضها أقل، وبعضها كبقية الآبار، وعدد الدرجات التي تراها في كل دائرة غالباً ما يكون أربعين درجة ويوجد ما هو أكثر أو أقل.

وكل الصخور هناك مجوفة بواسطة أشغال الأيدي، ثم وفي الجانب الشمالي من تل صندحنة مغارة ينزل إليها من حفرة باب كبير، بواسطة حبل أو سلم.

وهي أرتب جميع المغائر بهذا الجبل وربما في خلافه. وفي وسطها تخرق بطريق على نسبة واحدة طولها 96 قدماً وعرض 6 أقدام.

وهذه الطريق يتشعب منها أربعة طرقات، كل اثنين منها يقابل أحدهما الآخر، وفي الشكل تقدر أن تفهم كفاية.

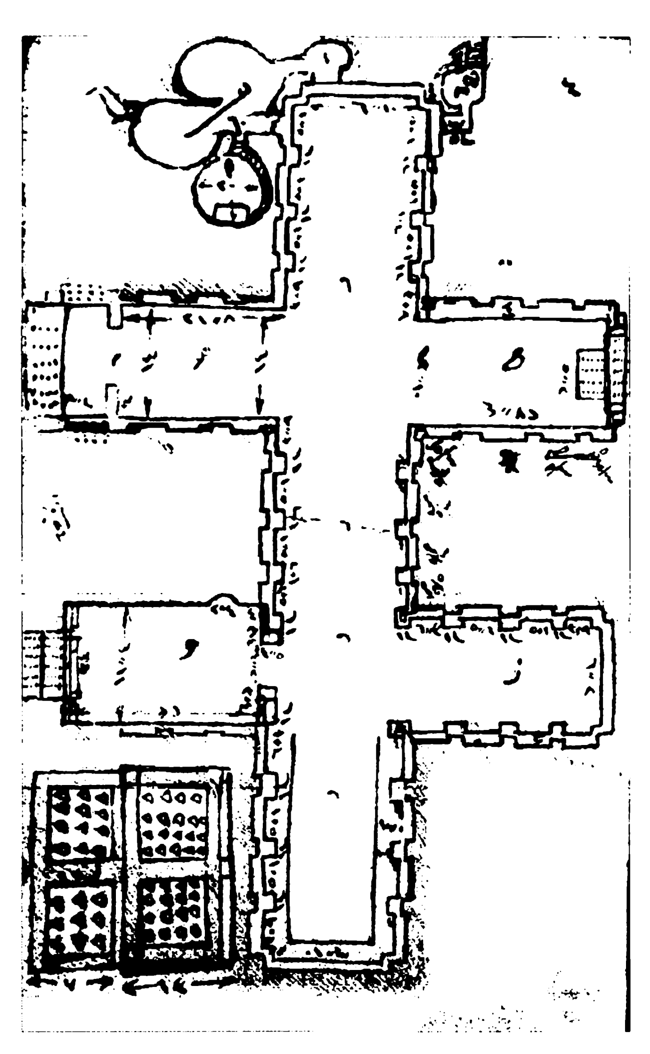
ثم على جوانب الطريق الأوسط من الأرض إلى السقف الذي علوه 22 قدماً، طُوقٌ [جمع طاقة] منظمة ومحفورة على نسبة واحدة، طول الواحدة 8 قراريط، وكذلك عرضها.

وأما من داخل فعشرة قراريط، وهذه الطوق مقسومة بالجدران إلى قسمين: علوي وسفلي، والسفلي بين كل أربعة أو خمسة أو ستة صفوف منه (ويوجد للبعض ثلاثة) الحفر، التي كل صف منها خمس بعضها فوق البعض قائمة، عرضها قدم ونصف القدم.

وتتصل بأخرى عرضية من فوقها وأخرى من تحتها به كبلواظ[234] لما ضمنها، وهذا البلواظ يعلو عن الحفر المنقورة بصخرٍ مستوٍ 4 قراريط، والقسم العلوي كذلك، غير أن حفرة أحياناً تنقص بالارتفاع، أما لتكسير وإما لمناسبة السقف، ولا بد من رؤية الشكل ليتضح الأمر أكثر فأكثر، وسنشرح على كل شي به.

---

(234). البلواظ او البرواظ، هو الإطار، واظن ان الكلمة من اصل تركي او فارسي برويز.



وعدد جميع هذه الحفر 1774، ولا تاريخاً أو كتابة في هذا المحل، ولا نعلم لأي شيء كانوا يستغلونه، غير أنه بها محراب صغير في إحدى التخاريم الشرقية، ومنه يستدل بأن

المسلمين قد دخلوه وأقاموا به الصلاة، وربما كان ذلك في أيام دولة صلاح الدين الأيوبي والله أعلم.

تنبيه :

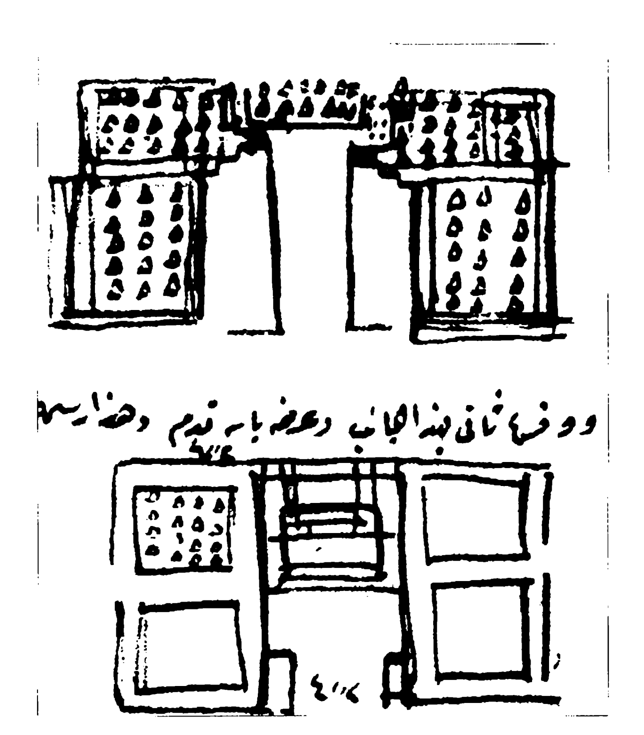
(إن الأعداد التي تراها هي قياس المحلات الموضوعة عليها، والخط المخرط المحيط بها كناية عن الصف العلوي، وهو متأخر عن السفلي للوراء 1.4 قدم [قدم واحد وأربعة قراريط]، وحرف الصاد الذي تراه وراء الخطوط هو دلالة على الصف والأعداد التي عنده، فالعلوي هو دليل الصفوف القائمة، والسفلي دليل الصفوف العرضية).

إن (أ) الفوهة التي ينزل منها الآن، وما يتصل بها هو دائره، (ب) كان بئراً أوخلاقه، لأنه على شكل بعض الآبار هناك. وما يجانبه. الشرقي الباب القديم الآن مردوم ولا يعرف اين هو من السطح، و(ج) دائرة باب آخر يقابله كما في الشكل، وهو مردوم أيضاً، وبابه الذي لجهة المغارة واقع في الصف العلوي علوه 5.5 قدماً، وعرضه 4 أقدام، و(د) الطريق الأوسط وبه طوق على جانبين، علوية وسفلية، وكلها مقسمة لأقسام، ويحيط بكل قسم منها بلواظ [إطار] من نفسها، كما تقدم، وترى ذلك في شكل (غ) وطوله 96 قدماً وعرضه 6 أقدام، وبعض أوسطه مدمول بالتراب الساقط من ثلاثة خروق في سقفه، وهو فرع مستطيل عرضه 14 قدماً ويصعده باب عرضه 6 أقدام ولا عتبة في أعلاه، وليس به من أسفل طوق في الجدران مطلقا، سوى بإعلاه على علو 12 قدماً عن الأرض، وداخل الباب حجرة عرضها 6 أقدام، وطولها 14 قدماً.

وعلى علو 13 قدماً من الأرض بروز كطوال، وفوقه حفر مقسمة كغيره، وصفوفها القائمة أربعة فقط.

وأما التي على الجوانب فما داخل الحجرة صفوفه العرضية أربعة، وما خارجها خمسة، وقد وضعنا نقطاً داخل الحجرة للدلالة على ذلك. وشكل الطوال هكذا.

و(و) فرع ثان بهذا الجانب وعرض بابه 4.2 قدم [أربعة أقدام وقيراطان] وهذا رسمه:



وعلى بعد أربعة أقدام من داخل هذا المحل الذي عرضه 11.4 قدماً [إحدى عشرة قدماً وأربعة قراريط] محراب واطيء عرضه 2.4 قدم [قدمان وأربعة قراريط]. و(ز) فرع عرضه 6.4 قدم [ستة أقدام وأربعة قراريط] وبه تقاسيم علوية وسفلية كما في الشكل.

و(ح) فرع عرضه 13.10 قدم [ثلاث عشرة قدماً وعشرة قراريط]، وبه طوق في حدره كما في الشكل، وفي أعلاه أيضاً كشكل (هـ).

تنبيه:

(إن جميع الأقسام السفلية ذات خمسة صفوف حفر قائمة، والعلوية فيها ثلاثة وأربعة. وما عرضه 2.9 قدم [قدمان وتسعة قراريط] به ثلاثة صفوف عرضية، وما عرضه 5.1 أقدام [خمسة أقدام وقيراط واحد] أربعة عرضية، وما فوق ذلك خمسة عرضية، وكذلك يقال في العلوية، والذي أكثر من ذلك وضعنا نقطاً به للدلالة عليه)

والنتيجة نقول إن هذا المحل غريب الشكل وجميل للغاية، ولم يزل بغاية العمار إلى الآن إلا قليل منه، وكله منقور بالصخر، وعلى بعد قليل لجهة الجنوب الغربي محل آخر به حفر كثيرة أي طوق، يسمونه بسوق صندحنة الغربي لوقوعه غرب تل صندحنة، والآن قد خرب معظمه ولا نظام به كالذي تقدم ذكره، وسوف نضع رسمه.

عراق الفنش :

وإلى الشمال الشرقي من بيت جبرين على بعد خمسة دقائق عراق كبير يسمونه بعراق الفنش وهو ضمن دائرة سور[235] مبني من حجارة مرتبة، لم يزل كثير منه واقفاً إلى الآن على علو أربعة وخمسة أقدام من الأرض.

يقول [الفلاحون] إنه كان دائرة لبستان الفنش، والفنش عندهم كان ملكاً من ملوك النصارى الذين امتلكوا هذه البلاد. ولا شك في أن هذا الاسم محرف عن ألفونس، وهو من ملوك الصليبيين بخلاف ما ذهب إليه الإفرنج[236] بقولهم إن الفنش كناية عن كلمة فينيقة.

ودائرة السور المذكور كبيرة جداً، ويقولون إن العراق المذكور حفره الفنش، وهذا العراق يحتوي أولاً على دائرة خربة إلا قليلاً منها، ومن ثم يُدخل إليه بدهليز طويل يختلف عرضه، وسقفه مسطح وعلوه من 25 قدماً إلى 30 قدماً وهذا رسمه.

إن الأعداد المستعملة هنا جميعها عدد خطوات، والمحلات الموضوعة عليها تكون

(235) - في الأصل: صور.

(236) يقصد اعضاء البعثة الاستكشافية التي يعمل معها.

قياسها، وداخل هذا العراق ثلاثة نوافذ في سقفه، وعلو سقفه من داخل؛ من 25 قدماً إلى 40 قدماً في الوسط، وهذا العراق عامر، والآن تأوي إليه الأغنام، وقد ردم بعضه تحت زبلها.

والآن نكتفي بما ذكر من آثار بيت جبرين، حيث أننا ذكرنا أشهر وأعظم ما بها. هذا ويوجد عرقان كثيرة خلاف التي ذكرت، غير أن أكثرها خراب، والغاية أنه حيثما مر الإنسان يجد أثار بنايات وآبار وعرقان ومغائر.

خربة مرعش :

وإلى الغرب بانحراف إلى الشمال من تل صندحنة: خربة مرعش، وبها آثار أبنية كثيرة وآبار ومغائر والآن بين تلك الآثار بساتين وأشجار زيتون قديمة يقال إنها من زمان الرومان بحسب زعم الفلاحين. وإلى الجنوب من بيت جبرين وادٍ مخصب يسمونه وادي العرب يمتد إلى الدوايمة، والشّعب يصل إلى خربة بيت لَي، وأمام ذلك الشّعب نحو عشرة أعمدة في الطريق، وهذه الأعمدة رومانية. وقرب الدوايمة أعمدة مثلها، وقيل إنه يوجد خلافها في هذه الطريق أيضاً، لأنها كانت ممتدة من الدوايمة إلى عجور، وكانت هناك طريق للمركبات لم تزل آثارها ظاهرة حتى الآن.

خربة بيت لَي :

أما بيت لَي[236] فهي خربة برأس ذلك الشّعب من وادي العرب، وهي على ساعة ونصف من بيت جبرين لجهة الشمال الشرقي، وبها آثار بنايات عتيقة من حجارة كبيرة، وعراق كبير، فيه حُجَر محتوية على طُوقٍ كالتي بسوق صندحنة، والآن ينزل إليه بدرج، وقد خرب بعضه، وبه دنوراً [تنوراً] للخبز، وربما يسكنه الفلاحون عندما يبيتون في البراري مع مواشيهم، وهناك آبار منقورة بالحجارة لجمع مياه المطر، [و] الآن خرب بعضها من قبل الهجران.

خربة بيت عوا :

وإلى الشرق بانحراف إلى الشمال عن الدوايمه؛ خربة بيت عوا[237]، وهي خربة

---

[236] . خربة بيت لي: في شمال الدوايمة

[237] . بيت عوّا الآن قرية مأهولة تقع في الغرب من دورا. ترتفع 456 متراً عن سطح البحر. وهي موقع اثري يحتوي على انقاض ابنية، وبقايا حنية كنيسة، وأساسات، واعمدة، وجرن المعمودية، وصهاريج منقورة في الصخر

كبيرة تعد من الخرب الأولية في جبل الخليل، كانت مبنية على ثلاثة تلال تخرق بواد عريض يسمونه جسر السوق، يقول الفلاحون إن سوق المدينة كان به.

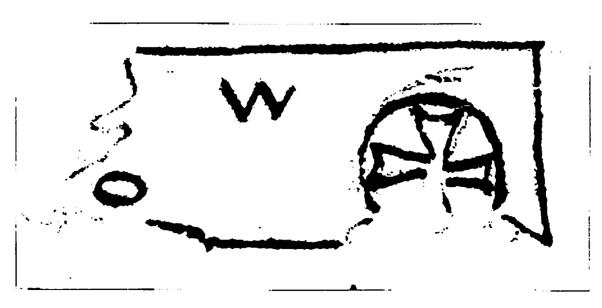
وهذه الخربة ذات آثار تدل على عظمتها، فإنه يوجد بها آثار بنايات كثيرة مبنية من حجارة كبيرة، وكان فوق كل باب عتبات كثيرة، لأنك تجد هناك كثير من هذه العتبات ملقاة فوق رجوم تلك الأبنية القديمة، وأكبر الحجارة الموجودة هناك، حجر كانوا يضعونه تحت رحى تديرها الخيل، فإن سمكه ثلاثة أقدام ونصف، وقطره ينوف عن الستة، وبها آثار مصبنة كبيرة لم تزل مفسرة الآن، وهي مع حجر الرحى المثقوب عند نقطة مركز دائرته، واقعة في التل الجنوبي الغربي من الخربة، وهناك آبار محفورة بالصخر.

وفي التل الثاني الواقع [في] الجانب الشرقي [..][238]، آثار قصر كبير وبنايات كثيرة.



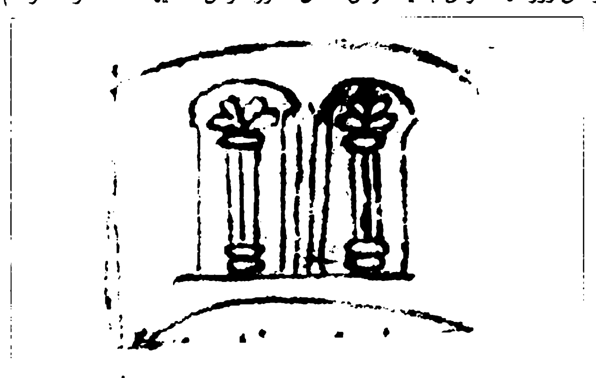
وفي التل الثالث، الواقع على جانب الوادي الجنوبي آثار كنيسة كبيرة عظيمة، وبها أعمدة كثيرة مكسرة، وهناك عتبات كثيرة كبيرة للأبواب والشبابيك، وأكثرها مقلوب وجهه للأرض، وطول أكبرها نحو أربعة أذرع ونيف، وعلوها ذراع، وقد تمكنت من إدخال يدي تحت إحداها من طرفها، فوجدت صليباً هكذا.

وهناك أيضاً بجانب الكنيسة الشمالي عتبة كبيرة مكسرة وعليها صليب غير كامل، في جانبها، ويستدل بأنه كان خلافه، وكان عليها كتابة يونانية مقشورة تماماً سوى حرفين منها، وهذا رسم الصليب والحرفين.

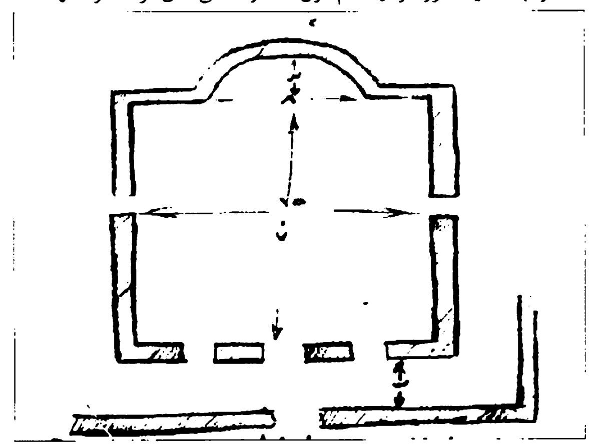


[238] . كلمة مطموسة.

وعلى رؤوسها نقوش جميلة، ومن أسفل مدورة، ومن أعاليها مثمنة. وهذا رسم نقشها:



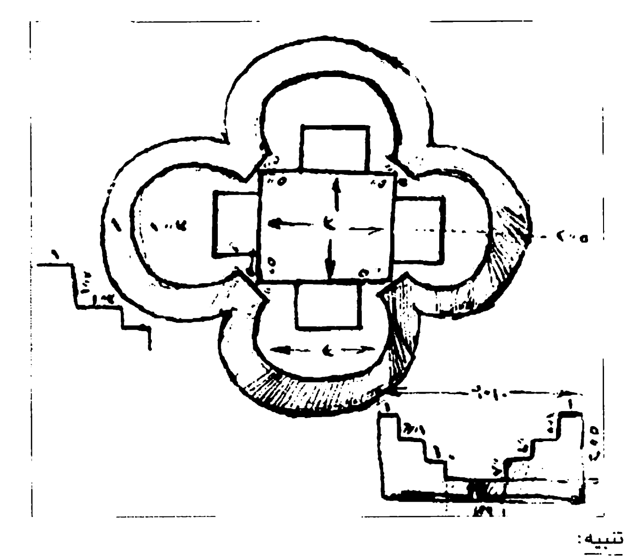
أما محراب الكنيسة ورسومها فلم تزل ظاهرة حتى الآن. وهذا رسمها:



تنبيه:

إن الأعداد المستعملة هنا خطوات، لأنه لم يكن معنا قياس لنكيلها أقداماً، وما حولها ربما كان رواقاً ولم يزل منه الآن غير آثار ما هو مرسوم. وما بقي مردوماً تحت التراب.

وبجانب الكنيسة جرن معمودية على شكل صليب، وهكذا رسمه. وبالحقيقة إن هذا الجرن لجميل جداً ولم أشاهد مثله أو شبهه مطلقاً في كل خرابات جبل الخليل:

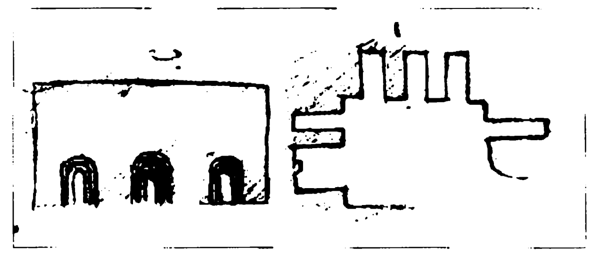


تنبيه:

إن الأعداد المستعملة هنا هي أشبار وأصابع، حيث لم يكن معنا مقياس.

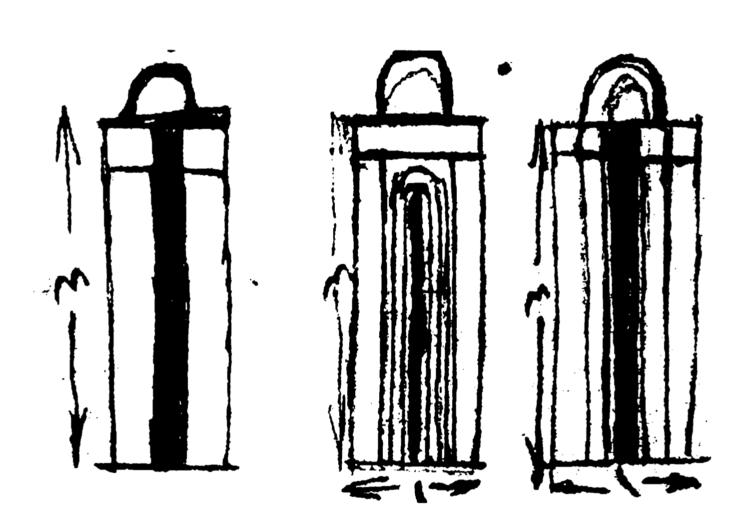
خربة مجدلة:

على بعد خمسة دقائق ثم والى الغرب بانحراف إلى الشمال من الدواية، خربة صغيرة ذات آثار قديمة وبنايات من حجارة كبيرة اسمها مجدلة، وبها آبار كثيرة كبيرة منقورة بالصخور. ومغائر كبيرة أيضاً، وبين آثار أبنيتها عمودان. وعمود مربع الشكل من رخام أبيض، ولربما كانت هناك كنيسة من عهد المسيحيين وفي أيام دولتهم، وهناك نواويس ومن جملتها هذا:



فإن (أ) الناووس الذي دخلت إليه، و(ب) شكل أبواب القبور من داخل، وبجانبه مغارة كبيرة قيل إن بها نواويس كثيرة. ولم أدخلها خيفة البراغيث الكاسرة، التي توجد بها بكثرة. وخصوصاً لصعوبة مدخلها المملوء من الأقذار. وشكل العمود الرخام هكذا:

إن هذا شكل العمود المذكور من ثلاث جهات، وأما من الرابعة فسادة[239] ليس به تخاريط، ويوجد مثله في بيت جبرين.



[239] . سادة كلمة فارسية بمعنى البسيط، وقد دخلت إلى اللغة العربية الفصيحة قديماً وهي كلمة ساذج.

بلاد غزة

[كرتيا، عسقلان المهجورة، مقام الشيخ محمد الموصلي، مجدل عسقلان، أسدود، أشدود القديمة، خرائب كثيرة، طريق البحر، بيت لاهيا، مدينة غزة، الشجاعية، مصنوعات غزة، أراضيها ومحصولاتها، تجارتها، مدارس غزة، أفراحها وأحزانها، أربعة أيوب، أحوالها، الجامع الكبير، الرحيل عن غزة، يبنة، وادي روبين]

إن هذا الاقليم هو بلاد السهل التي كانت تابعة لسبط يهوذا[240]، وهو أيضاً بلاد فلسطين، وقد وقع تحت آحكام اليونان، ثم فتحه المسلمون، ثم خضع للصليبيين، وكان عليه حكام إنكليز، وآخرهم الملك الذي يسمونه بسند الأسد[241].

وقد بنى فيه خمسة عشر قلعة، واحدة منها في بيت جبرين، والثانية في تل الصافي، والبقية في السهل وعلى شط البحر. وهو الذي بني سور عسقلان الذي سيأتي في ذكره في محله.

وبعده افتتح[242] البلاد المسلمون تحت راية صلاح الدين الأيوبي، ومن ثم تداولتها دول المسلمين حتى الدولة العثمانية. ولم تزل هذه البلاد إلى الآن بيدها.

وهذه البلاد ذات تربة جيدة جداً ومخصبة، وكل أراضيها مستوية وذات إقبال عجيب عندما تكثر الأمطار.

---

(240) . توجد مقدمتان لهذا القسم، واحدة كتبت في سياق كتابة النص والأخرى مضافة إلى جانب العنوان، وهما تفاصيل من (الكتاب المقدس) حول مرجعية هذا القسم من فلسطين في القسمة الشهيرة بين الأسباط الاثني عشر، والتي درج علماء الآثار الكتابيون في القرن التاسع عشر على كتابتها على اعتبار أن (الكتاب المقدس) كان المرجعية التاريخية الأقدم لديهم، وعلى منوالهم يكتب نعمان القساطلي هذه المقدمة!!

(241) . هو ريتشارد الأول أو ريتشارد قلب الأسد بالإنجليزية (Richard the Lion-Heart) هو ملك إنجلترا بين عامي1189 . 1199م، وابن الملك السابق هنري الثاني. بعد فترة قصيرة من وصوله إلى العرش خلفا لأبيه، شد ،ريتشارد، الرحال إلى الأراضي المقدسة ليقود الحملة الصليبية الثالثة، أبدى شجاعة كبيرة في القتال، إلا أنه لاقى في صلاح الدين خصماً عنيداً، واخفق في انتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين

(242) . في الأصل: استفتح.

وعلى شطوط البحر تلال من الرمال تقذفها الرياح[243]، ومن قبل ذلك تعطلت بعض الأراضي المجاورة للبحر.

كرتيا :

وقد كانت بداية دخولنا إليها في غرة نيسان غربي 1875 يوم الخميس، حيث ارتحلنا إليها من بيت جبرين، وأول شيء نظرناه من آثارها المستحقة الذكر كرتيا[244]، وهي الآن قرية يسكنها خمسمائة نفس تقريباً من الفلاحين، وبجانب القرية في الزاوية قلعة من حجارة رملية، لم يزل بعض جدرانها واقف حتى الآن، وهي من الخمسة عشر قلعة المذكورة.

ولو لم يخربها الفلاحون للانتفاع من حجارتها، لأنه لا يوجد حجارة في السهل، لكانت عامرة حتى الآن، لأن الحجارة الرملية تحفظ ذاتها من الخراب مدة طويلة.

وإن القلعة المذكورة أعلاه اسمها قلعة الفنش.

ومن الآثار أيضاً المستحقة الاعتبار، آثار كنيسة في زاويتها الغربية يسمونها الآن بالنبي كامل، وهناك أعمدة من المرمر والرخام مكسرة، وكذلك يوجد حجارة كثيرة كبيرة من الرخام، وعلى بعضها نقوش جميلة للغاية.

وبالقرب منها آبار، وهناك في بنايتها أعمدة كثيرة من الرخام الأبيض والمرمر، وكذلك قطع كبيرة من الرخام أيضاً وبجانبها جرن معمودية كبير من الرخام على شكل صليب، يقارب في الهيئة جرن بيت عوا، غير أنه أصغر منه. وهذا رسمه:



---

[243] - في الأصل: الأرياح.

[244] - كرتيا قرية عربية فلسطينية كانت تتبع قضاء غزة قبل سنة 1948م. تقع شمال شرقي غزة و تبعد عنها حوالي 40 كيلو مترا، و هي على بعد كيلو متر واحد شمال غربي قرية الفالوجة ترتفع حوالي 75 مترا عن سطح البحر، و تحيط بأراضيها اراضي قرى حتا و الفالوجة من الشرق، و عراق سويدان و بيت عفا من الغرب، و السوافير الشرقية من الشمال

إن هذا الجرن طوله خمسة أقدام وارتفاعه قدمان، وأصل حجره مربع كما ترى وعمقه قدم.

عسقلان المهجورة :

ثم سرنا من هناك ونصبنا الخيام في مجدل عسقلان[245]، أما عسقلان فهي خربة على شاطئ البحر، وقد كانت كبيرة، والآن خربة تماماً. غير أن آثار سورها لم تزل باقية حتى الآن، وفي بعض الأماكن ظاهرة تماماً.

وضمن السور بساتين كثيرة، وهو على شكل نصف دائرة من جهة البر محيطها نحو 6000 ستة آلاف قدم، ومن جهة البحر قطرها نحو ميل إنكليزي، وهذا السور كان متيناً جداً، وكله مبني من حجارة رملية، ومن خمسة أبراج عظيمة. وبهذا السور أعمدة كثيرة طويلة من الرخام الأبيض والمرمر (وأكثرها من المرمر) مبنية به لأجل زيادة القوة، وكانوا يضعونها كالخشب الذي يضعه الدمشقيون في بناء الجدران ويسمونه بالنجاف[246] أي ممددة تمديداً لداخل، وإذا رآها الناظر عن بعد يظنها مدافع. وبالسور من جهة البحر كثير منها أكثر من البر.

وضمن هذا السور ست وثلاثين بئراً، وربما يوجد خلافها، وكلها تشرب منها البساتين، ويستخرجون من بعضها الماء كما يستخرجونه من البحيرات.

وجميع هذه البساتين نضرة وبهية خلا التي في الجانب الجنوبي، فإنها لكثرة الرمال غير جيدة وجميلة.

وجميع الجهة الجنوبية وبعض الشرق تلال رمال. وفي كل مكان يحفرون في البساتين يجدون بنايات قديمة، ودائماً يخرج[247] حجارتها أصحاب البساتين ويبيعونها للفلاحين.

وهذه الخربة هي ذات آثار تدل على عظمتها السالفة. ومما يعجب ويدهش بها، كثرة الأعمدة المرمرية الجميلة، وكذلك الرخامية، فإن فيها ما ينوف عن ألف عمود. حتى

---

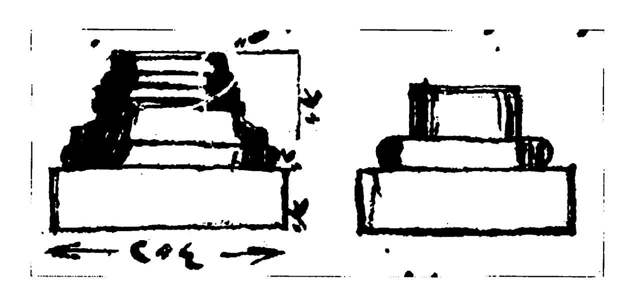
[245] . مجدل عسقلان كانت احد موانئ الفلسطينيين القدماء على ساحل البحر المتوسط الشرقي شمالي غزة . اشتهرت المجدل بصناعة الأقمشة وكان فيها حتى عام 1948 نحو 800 نول لحياكة الأقمشة القطنية والحريرية التي كانت تباع في أسواق فلسطين وتعد من اهم مدن فلسطين في صناعة النسيج او الوحيدة

[246] . النجاف: الناتئ المشرف على الشيء يقال نجاف الغار ونجاف الباب وما يشد على ضرع الشاة لتمسك اللبن وشعاب الجبل التي يسكب منها الماء

[247] . في الأصل: يخرجون

أنك تجد هناك الرخام كالحجارة الخالية من المنفعة، ودائماً ينقل منه فلاحو بلاد غزة إلى قراهم، وأكبر قطعة من هذه الأعمدة طولها 17 قدماً ونصف، وقطرها من الجانب الواحد 2.4 قدم [قدمان وأربعة قراريط]، ومن الآخر قدمان، وبها من كل جانب نقب عمقه خمسة قراريط، ومن هذا نستدل بأنها كانت مركبة فوق قطعة أخرى مثلها أو تحتها، والله أعلم.

ويوجد أعمدة كثيرة من قياسات مختلفة، حتى تدهش الناظر وتعجبه من غنى سكان هذه المدينة الغابرين واقتدارهم. وفي وسطها محل يسمونه الكنيسة وبه أعمدة في رخام أبيض ومرمر، وقطع كثيرة من رخام أبيض ذات نقوش جميلة كانوا يضعونها على رؤوس الأعمدة، وأكثر قواعد الأعمدة ورؤوسها التي يجدونها بكثرة حيثما احتفروا بالأرض من شكلين كما ترى:



هذا وقد يجدون في عسقلان حيثما حفروا انتيكة[248] نحاسية مختلفة، وأكثرها كوفية.

مقام الشيخ محمد الموصلي:

وبالجانب الثاني من عسقلان مقام الشيخ محمد الموصلي، ويحكون عنه قصة وهي: أن الشيخ المذكور أصله من الموصل، وعندما أخذ صلاح الدين بمحاصرة المدينة وتأخرت عساكره أمامها في بداية الأمر، كان الشيخ المذكور في الموصل يحرث الأرض، فعلم بتقهقر عساكر المسلمين فصلى لله صلاة الظهر، وطلب منه أن يكتب نصيبه مع

[248] - الأنتيكة كلمة فرنسية تعني قديم، وتستخدم باللهجة العامية بمعنى التحف، وأيضاً النقود القديمة وهو المعنى الذي أراده القساطلي هنا.

المجاهدين، فسمع الله طلبه[249] وآراه طارة[250] فنادى إخوته الثلاثة ودخلوا بها معاً، فوجدوا ذاتهم مع عسكر صلاح الدين في عسقلان، فاتحدوا معها وأخذوا يقاتلون .. غير أنهم قبل ذلك تعاهدوا على أن الذي يقتل منهم يدفنه أخوه ويبني له قبة على قبره تذكاراً، وكان سلاح الشيخ محمد المنساس[251] الذي كان يسوق بقر حراثته به.

وقد اتفق الأمر وعرف بالمعاهدة المذكورة السلطان صلاح الدين، وبعد آن انتهى القتال لم يجدوا الشيخ محمد واثنين من أخوته، وهما سنكرُ ويلي، وعندما جمعوا القتلى ليدفنوهم، فتش الأخ الرابع على أخوته فوجد الشيخ محمد بسيف على جانبه وهو مقتول والمنساس لم يجده، فطلب من السلطان صلاح الدين أن يساعده ليقوم بمعاهدة أخوته، فساعده وعمروا المقام المذكور وبنوا تحته مغارة كبيرة دفنوا بها أربعة عشر ألفاً.

قيل: وفي الجمله سنكر ويلي، وسدّوا الباب، ثم خارجه دفنوا الشيخ محمد بسيفه، ويقولون إن سيفه باق على جانبه حتى الآن، وهو لم يفن بعد، (وكل ذلك خراقة قائل).

وبالقرب من هذا المحل لجهة القبلة مقبرة المسلمين الساكنين في الجورة[252] المبنية إلى الشرق من عسقلان، وهي قرية أهلها نحو 900 نفس مسلمين فقط، وسوف يأتي الكلام عن قريتهم، وبجانب مقبرة المسلمين للغرب مقبرة للعرب [البدو]، قيل إنه منذ مدة أثنتي عشرة سنة كانوا يحفرون قبراً لدفن ميت، وبعد أن عمقوا في الأرض، وجدوا لوح رخام كبير مستطيل، فرفعوه فوجدوا تحته إنساناً في قبر من رخام وسيفه على جانبه ويده على صدره وبها خاتمٌ فحلٌ، فأرجعوا الغطاء وسدوا[253] القبر، وأقاموا فوقه بناء واعتقدوا بأن هذا الشخص ولي، ومنذ ذلك الوقت امتنعوا عن دفن موتاهم في تلك البقعة، ولا شك في أن هذا الإنسان هو من المحنطين (موميا)، ولا شك في أن ما يسمونه الشيخ محمد لم يزل جسمه إلى الآن ومتقلداً سيفه كما يقولون، هو محنط من سكان البلاد في الأعصر القديمة، بخلاف ما يذهبون إليه.

وقد سمعت بأنه وجد في إحدى الحواكير في المجدل منذ 22 سنة إنسان محنط

---

[249] . في الأصل: طلبته

[250] . الطارة في اللهجة العامية هي الإطار المدور، وتستعمل هنا بمعنى الفوهة المدورة

[251] . المنساس هو عصا صغيره بنهايتها حديدة مثلثة الشكل ينخس بها البقر، هذه الأسطورة المتعلقة بالشيخ محمد الموصلي تشبه اسطوره شمجر اليهودي الذي قتل 600 فلسطيني بمنساس بقر، (وَكَانَ بَعْدَهُ شَمْجَرُ بْنُ عَنَاةَ، فَضَرَبَ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ سِتَّمِائَةِ رَجُل بِمِنْسَاسِ الْبَقَرِ. وَهُوَ أَيْضًا خَلَّصَ إِسْرَائِيلَ (سفر القضاه 3، 31)

[252] . من قرى قضاء عسقلان

[253] . في الأصل: صموا.

فكسروه ووجدوا في يده خاتماً بيع في يافا، وعلى الخاتم تمثال، والذي أخبرني عن ذلك العلأمة الشيخ عبد الغني المدهون المجدليّ، وقال إنه وجده في حاكورته التي إلى الشمال الشرقي من المجدل المسماة باسمه، ولأنني وجدت ما عند الشيخ الموما إليه من الصدق، أقدر أن أركن لقوله.

مجدل عسقلان :

أما المجدل، فهي في السهل على بعد أربع ساعاتٍ ونصف من بيت جبرين لجهة الغرب، وقد كانت مدينة قديمة مذكورة في الكتب المقدسة. (انظر يش ص 5: 37) والآن من أشهر بلاد السهل خلا غزة، وسكانها نحو ألفين وخمسمائة نسمة، وهي مقسومة إلى ستة حارات، أي أحياء، وجميع سكانها مسلمون، وهي مركز تجاري لأعظم تجارة بهذه البلاد وهي الحبوب، فإن فيها مركز تجاري لتجارة الحبوب من أهالي يافا.

وفي كل يوم جمعة يصير بها سوق يرد إليه الناس من غزة لأجل بيع البضائع والفلاحون من قرى[254] غزة وبعض جبل الخليل لشراء ما يلزمهم وبيع محاصيلهم وكذلك العربان.

وفي وسط البلدة ساحة كبيرة وعلى جوانبها دكاكين تنوف عن الثلاثين، وفي الجانب الغربي من تلك الساحة جامع يسمونه بالجامع الكبير، وهو قديم بني منذ ستمائة وخمسة وخمسين سنة، وبه مسلّة، وفي الجانب الشرقي بئر تستقي منها البلدة، ويوجد بئر خلافها قد تعطلت.

وأهل هذه البلدة عندهم [الكثير] من الجد والاجتهاد في الأعمال، ويوجد بينهم من يحيكون الكتان، وهم يستعملون منه أثواباً، وعدد الأنوال ينوف عن المائة، وعندهم اعتناء في أمر الفلاحة وتربية المواشي، وفي أراضيهم كثير من الزيتون القديم كالذي في الجهات الغربية من جبل الخليل، وبعض هذه الأشجار من الزيتون كبيرة الحجم، وقد نظرت زيتونة محيط جذرها من 16 إلى 20 قدماً، والأراضي عندهم مخصبة جداً، وأكثر أقواتهم جبلية.

وعندهم أربعة مكاتب لتعليم الصبيان القراءة البسيطة، وفي بلدتهم منزولان للغرباء. وهناك كثيرات بين نسائهم و[بعض] رجالهم مسقطو الأعين، وذلك من قبل الحمل

---

(254). في الأصل: قرايا.

على الرأس، ومن الرمال التي تحملها الرياح للأعين. وملابسهم تقارب ملابس سكان جبل الخليل، غير أن العمامة بيضاء على الغالب، والشبان يتعممون بكوفية صغيرة، ويلبسون القنابيز والسراويل، وأما في الصيف فلا يكونون كذلك.

وأما النساء فلبسهن الأثواب السوداء والمخططة من أبيض وأحمر وينتضين[255] برفعة بيضاء ذات شراشيب صغيرة من طرفيها.

وعاداتهم[256] في الأفراح والولائم وترتيب الزواج سيأتي الكلام عنها فيما يأتي إن شاء الله.

أما بنايات المجدل فبعضها جميل من خارج لأنه من حجارة رملية وحديث، والآخر من لبن لا منظر له مطلقاً. وقد كانت بهذه البلدة سرايا للحكومة، فخربت منذ زمن ليس بطويل، وقد كانت من قبل مركزاً لحكومة [المنطقة].

أسدود :

وعلى بعد ساعتين من المجدل لجهة الشمال أسدود[257]، وهي قرية بنيت في زمان المسلمين وسموها باسم المدينة القديمة التي تبعد عنها نصف ساعة لجهة الغرب، و[يعد] أهلها 800 نسمة، وليس بها من الآثار شيئٌ يستحق الذكر سوى خان بني في أيام دولة المسلمين. وهو من حجارة رملية، والآن أمسى خراباً يأخذ حجارته الفلاحون.

وبه الجانب الشمالي لم يزل عامراً تماماً فقط، ولكن لابد بعد مدة من أن يخرب تماماً. لأن الأيدي المخربة كل يوم تشتغل به بدون إشفاق، وفي هذا الخان، في الجانب الشرقي محراب لمسجد كانوا يصلون فيه، ولم يزل إلى[258] الآن باقياً على ما هو عليه.

وهذا الخان كبير ومن الرسم يتضح كل شيء بالتفصيل.

ثم وفي هذه القرية بساتين من الزيتون والصبار، وخلافهما، وأراض جيدة جداً ويزرعونها كل سنة ويستقون من آبار يخرجون ماءها على الدواب.

---

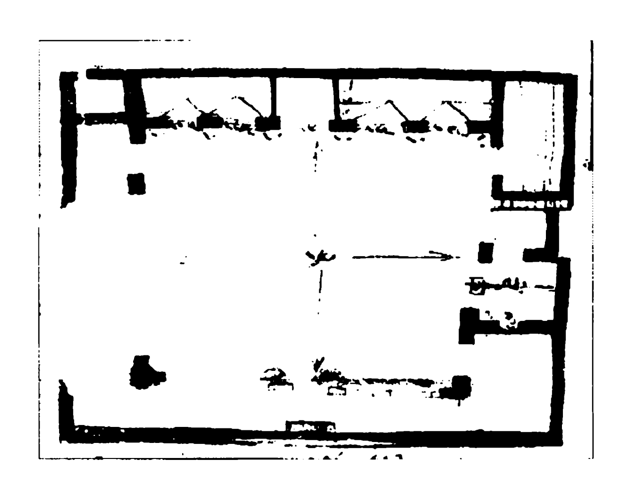
[255] . في الأصل: ينتظلون

[256] . في الأصل: عوايدهم

[257] تقع للشمال من المجدل وعلى مسير 11كم منها.

[258] . في الأصل: لحد الآن

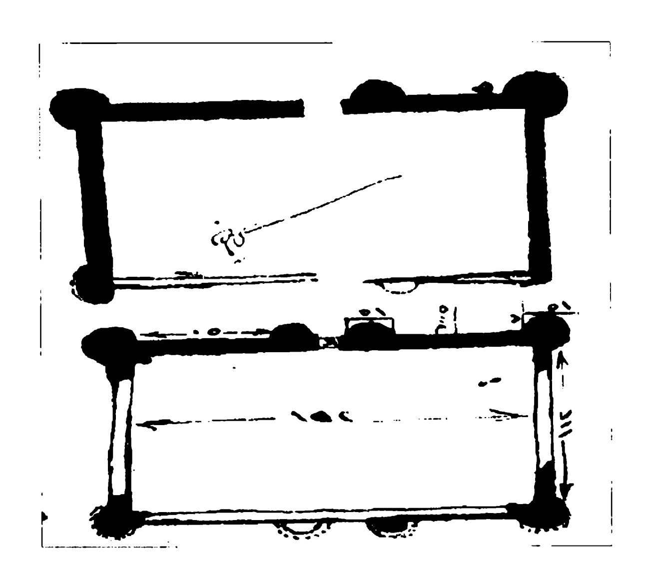
وعاداتهم كعادات بقية بلاد غزة، وملابسهم كذلك، وسوف نقف على ذلك عندما نتكلم عن بلاد غزة بنوع إجمالي لتقارب العادات عند أهاليها . وهذا رسم الخان المذكور:



إن هذا الخان مربع الشكل وكلّ من طوله وعرضه من داخل 135 قدماً والبنايات، من أربع جهاته متشابهة تماماً، خلا الجهة القبلية.

أشدود القديمة :

أما أشدود القديمة فهي خربة كبيرة على شط البحر، تبعد نصف ساعة لجهة الغرب عن هذه، وأكثرها من جهة الشرق والشمال مردوم تحت الرمال، وأما آثارها الباقية فهي ظاهرة حتى الآن [فهناك:] حمامان، واحد في الجهة الشرقية من الظاهر منها، والآخر في الجهة الشمالية. وأهم الآثار بها قلعتها التي كانت على البحر، فإن أكثر جدرانها الخارجية لم تزل إلى الآن باقية، ولا سيما الذي لجهة البحر، وكان حول هذه القلعة المبنية في عهد الدولة الصليبية أربعة أبراج متينة مستديرة من جهة الشرق، وأربعة نظيرتها من جهة الغرب. وهذا رسمها:



ومما لاشك فيه عندما يقف الإنسان على خراب أشدود يعتريه العجب والإندهاش وهو يشاهد تلك الخرب المدفونة تحت الرمال، ويتذكر عظمتها السالفة، ومجدها الغابر، وخصوصاً في أيام الدولة الفلسطينية التي أبادها الرب لكثرة شرورها وآثامها.

وحينما وقفت فوق تلك التلال في 12 نيسان غربي سنة 1875، شعرت بتأثير لم أكن انتظره لأنني وجهت أفكاري لتشخيص حالتها السابقة وغناها وما هي عليه الآن، لأنها أمست مسكناً للحشرات المؤذية ولا يسكن بها غير الرمال الكثيرة. وكنت أخال بأن لأمواج البحر تأثيرات حزن فعلت به، وأخذت بالاتصال منذ قُضيَ بالخراب التام على هذه المدينة التي كست شطوطه فيما مضى بهجة وجمالاً.

وحقاً يليق به إن ينوح نوح الثكلى[259] لأنه فقد اعتباراً عظيماً ووطني مقامه، منذ نشر لواء الدمار فوق مرتفعات غزة في ذلك القسم، فأضحى موحشاً يتجنب الناس زيارته، حلقاً بلقعاً لا شجرة تشاهد ولا نبات سوى رمال كثيرة تتلاعب بها الرياح، فتزيد منظر الخراب إيحاشاً وتبشره بالنسيان التام، وإن يكن في هذه السنة قد حاول تجديد تلك الميناء جناب الخواجة نعوم أبو بشاره التاجر اليافاوي، حيث جعل المراكب التي تأتيه

---

(259) ـ في الأصل: النقلى

لشحن الأغلال لأوربا ترسى وتوثق من هناك. وقد حفر بئراً قديماً بجانب القلعة لاستقاء الماء.

وتكثر في تلك الجهة بنات آوى، كما أنها تكثر في المجدل وكل ذلك السهل الواسع المخصب. وكم كانت تقوم حروب تشوشية بينها وبين جيوش كرارنا، فإنها كانت تشغلها زمناً طويلاً كل ليلة وتحرم أجفاننا الرقاد إلى أن تفعل بها أيدي النعاس القوي، فيبادرها النوم وهو يتألم من تلك الأصوات الشنيعة المتواصلة.

وكم كانت تجري مواقع بين كلابنا وتلك الوحوش البرية التي تسكن الخراب بكثرة، ولا شك في أن كثرة وجودها في هذه الأطراف يساعدنا في البرهان على خرابها، وإن كانت من وجه أخذت في الإعمار منذ زمن يسير، لا بعد اجتهاد سكانها عُمّاراً لأنهم قاصرون جداً في كل الأمور، وخصوصاً في معرفة أمر تقدمهم الحقيقي.

خرائب كثيرة :

وإلى الشرق من المجدل بانحراف قليل للشمال على بعد ساعة قرية الجَلديُة وهي خربة كبيرة بالنسبة إلى خلافها، وقد باتت أكثر أراضيها مندكة، ومن آثارها الباقية إلى الآن قلعة بنيت في أيام الدولة الصليبية لم تزل أكثر جدرانها واقفة حتى الآن، وقد كان اسم هذه الجهة في عهد تلك الدولة جلادية.

وإلى الشرق بانحراف إلى الشمال أيضاً من جلدية خربة بردغا[260] وهي كبيرة أيضاً، وليس بها من الآثار ما يستحق الذكر سوى حمامين، الواحد في جانب الخربة الشمالي، والآخر في الجنوبي.

وإلى الشمال من برير[261]، (برير قرية بين غزة والمجدل وسوف يأتي ذكرها في محله) على بعد نصف ساعة، خربة زحيلقة، وهي مذكورة في الكتب المقدسة تحت اسم عزيقة (انظر يش 15: 35)[262] وهي محتوية على آثار قلعة صليببة وتلال من التراب تدل على أهميتها السالفة.

وإلى الشمال بانحراف إلى الشرق من برير على بعد ربع ساعة ونيف خربة شميس، وبها آثار قصر يسمونه بقصر شميس حُسن، يقولون إن حُسن هذه هي التي

---

[260] . في المكان المذكور خربة تسمى الآن بربرا

[261] . تقع على مسيرة نحو 21 كيلو متراً للشمال الشرقي من مجدل عسقلان

[262] . في الأصل، يشوع 15: 25، وهو غير صحيح والصحيح ما اثبتناه

اقترن بها الحجاج الشهير، وبعد أن تنزل عن رتبه طُلّقت[263] منه ورجعت لبيت أبيها، الذي كان أميراً على عسقلان، وبما أنها أحبت العزلة لما عاشته من الحجاج بنت القصر المذكور وسكنت به إلى أن تزوج بها يحيى بن مروان الحاكم الأموي، وأخذها إلى بلاده وهذه قصة يتداولها الفلاحون.

وإلى الجنوب من برير على بعد نصف ساعة خربة شعرتا، وبها آثار قديمة ومغائر، وهي على شط وادي شميس المار بها..

طريق البحر:

يوم الخميس في 15 نيسان غربي 1975 ارتحلنا من مجدل عسقلان المار ذكره، [إلى غزة] فبعضنا توجه على الطريق السلطاني الموصل بينهما، وأما أنا ومستر كروفيت فسرنا على شط البحر بعد أن مررنا بخربة الخصاص القريبة من عسقلان، ونظرنا خربة الشراق التي إلى الجنوب الشرقي من عسقلان والخصاص.

بيت لاهيا:

ثم توجهنا وسرنا على شط البحر على الرمال، إلى أن وصلنا إلى بيت لاهيا[264] المبنية بين الرمال على بعد نصف ساعة، وهي قرية تحتوي على نحو مائة بيت دنية [بمعنى واطئة] للغاية، وتكثر في هذه القرية أشجار التفاح والصبار وفيها شي من أشجار الليمون، ولابد من أن تغطي بساتينها الرمال الكثيرة المحيطة بها من كل جانب ولو بعد حين، وفي رأس أحد تلك التلال الرملية على بعد عشرة دقائق منها، مقام الشيخة نقية والآن هو خراب، غير أن محرابه باقٍ.

وفي هذه القرية وحولها مقامات أولياء كثيرة وليس بها غير بئر واحدة تستقي منها الضيعة برمتها.

مدينة غزة

ثم سرنا من هناك بعد أن سلكنا[265] الطريق السلطاني، وبعد أن مشينا نحو ساعة

---

(263). في الأصل: اطلقت

(264). في الأصل: بيت لاهي

(265). في الأصل: مسكنا.

ونصف وصلنا إلى مدينة غزة، فنصبنا خيامنا على بعد خمس دقائق منها لجهة الغرب في بستان به أشجار قديمة من الزيتون.

أما غزة فهي مركز قائمقامية بلدان ذلك السهل، وهي آخر مدن الشام، وحولها عربان من جهة الشرق والجنوب، وهي تبعد عن بحر الروم[266] نصف ساعة لجهة الشرق، وأهلها ستة عشر ألفاً من المسلمين، وثمانمائة من المسيحيين من طائفة الروم، ولهم كنيسة ومدرسة بسيطة يعلمون فيها مبادئ اللغة العربية.

والمسيحيون هم أحسن من غيرهم في أمر الترتيب وإتقان الأعمال.

والمسلمون لهم جوامع كثيرة أشهرها جامع الكبير، وهو [كان] كنيسة بنيت في أيام الدولة الصليبية وله خمسة أبواب خارجية، وسنتكلم عنه ونضع رسمه، والثاني جامع سيدنا هاشم وموقعه في حارة الزيتون في الجانب الجنوبي الغربي من المدينة، وهو كبير وأعيد تجديده منذ نحو ثلاثين سنة، وجوامع أخرى صغيرة كثيرة لها ثلاث مسلات، فيكون مجموع المسلات أو المآذن في هذه المدينة خمس، الأولى مئذنة الجامع الكبير، والثانية مئذنة سيدنا هاشم، والثالثة مئذنة ابن مروان، والرابعة مئذنة المحكمة، والخامسة مئذنة ابن عثمان.

وأسماء هذه المآذن بأسماء[267] جوامعها، وبها حمامات[268] وقهاوي غير جميلة، فلا حاجة إلى ذكرها.

وأبنية هذه المدينة أكثرها من الحجارة الرملية، وأهمها حارة النصارى، ويوجد على بعد خمسة دقائق من المدينة حارة منفصلة عنها ببساتين يسمونها بحارة الشجاعية، وأكثر سكانها فلاحون وبيوتهم من اللبن ودنية كبيوت الفلاحين، ويكثرون من التراب فوق الأسقفة حتى أنه في أيام الربيع يكون فوقها رعي جيد للمواشي وقد شاهدت بعض خراف ترعى فوق تلك السطوح[269].

وفي غزة سوق فيه من أكثر أنواع البضائع، يحتوي على مائة وخمسين دكاناً ونيف، وهو ضيق وذو تفاريع كثيرة، وبعض هذه الفروع يحتوي على نحو عشرة دكاكين صُيَّاغ، وفرع آخر يختص بالخياطين وبه نحو ثمانية دكاكين، والإثنان بجانب الجامع الكبير.

---

[266]. البحر الأبيض المتوسط

[267]. في الأصل: باسم

[268]. في الأصل: حماميم

[269]. في الأصل: الأساطيح

وفي هذه المدينة بالجانب الشرقي حيثما يُنْزَل إلى حارة الشجاعية قلعة للعساكر يسمونها بالديوي، وبجانبها سراي الحكومة.

وفي نصف الطريق بين حارة الشجاعية والسراي مقام شمشون الجبار، يقولون إنه مدفون هناك، وأمامه تلة مرتفعة فوقها مقبرة للمسلمين يقولون إن الهيكل كان هناك، وربما كان هذا الشيء صحيحاً.

وكل يوم صباحاً يصير سوق في المدينة، تأتيه نساء الفلاحين بما يرغبن في بيعة من محاصيل ودجاج وفواكه وما شاكل ذلك، وبعد الظهر يصير سوق نظيره في حارة الشجاعية.

أما حالة أهالي غزة فهي ليس كما كنت أظن، فإنها تأخرت جداً في المعارف والآداب وخصوصاً المسلمين، [مع] (أنه يوجد بينهم بعض أفراد قد رشفوا طلا العلوم في جامع الأزهر في مصر، غير أنه لقلتهم لا يعتد بهم بناء على أن النادر لا يعتد به)، ولا هيئة اجتماعية عند العموم.

ومن عاداتهم أن يقطعوا[270] نصيب الإناث من كل شيء، والاحتجاب كثير جداً، فإن المرأة أو البنت وإن كانت صغيرة منهم، تلبس ثوباً أو قميصاً طويلاً من خام أو حرير بحسب الاقتدار، يسمونه شيلة، وتضع على وجهها غطاءً حريرياً أسود من أشغال الشام، يسمونه بالشنبر، وتلبس في أرجلها صرمة صفراء أو خفاً كالذي كانت تلبسه نساء دمشق من نحو أربع عشرة سنة، وبالكاد تجد امرأة خارجة للتنزه، وسبب ذلك منعهن عن ذلك من الرجال.

(إنه في يومين في السنة الواحد اسمه أربعة أيوب في 21 ن والثاني خميس المنطار في 22 منه يسمح لهن بالخروج إلى التنزه كما سيأتي) لزعمهم بأن ذلك يقطع أسباب الارتكابات المنكرة، غير عارفين بأن الإحتجاب باب للشرور، وأن الآداب مصدرها تعليم الإناث وتهذيبهن منذ نعومة أظافرهن، وأكبر برهان على ذلك حالتهن؛ فإنه مع ما هي عليه من الاحتجاب والتستر، كنت أسمع عن رداءة محكية تجري بينهم تفوق التصديق، والله أعلم بالحقيقة.

وأما النصارى فهم كذلك من هذا القبيل، غير أن الرداءة بينهم أقل، ولا يسمح لأخ بأن يدخل بيت أخيه بدون أن يعطى خبراً عند دخوله لتختبئ إمرأته وبناته.

---

(270). في الأصل: يقطعن

ومع كل ذلك لا جمال عند نسائهم مطلقاً لأن أكثرهن وبالأحرى جميعهن[271] سمر الألوان بصفرة، وأكثر أعينهن مشركة بالرمال التي تقذفها الرياح الثائرة، ومن الحرارة وعدم النظافة والحبس الدائم.

وما يقال عن النساء يقال عن الرجال من جهة الهيئة، غير أن أغلب الرجال ذوو أصوات جميلة وألحان شجية، وقلما تسمع إنساناً منهم إلا وتجد صوته جميلاً. والنساء لا أصوات جميلة لهن كما للرجال إلاّ ماندر، وملابس النساء مشتركة: بين ملابس سكان المدن والفلاحين، فإن بعضهن يلبسن ثوباً، غير أنهن يلبسن تحته سروالاً.

ونساء النصاري بوجه العموم أحسن ملابس من نساء المسلمين، وكذلك يقال في الرجال، وقد يوجد كثير من بين رجال النصارى يلبسون بدلات جوخ وطرابيش مغربية، وبعض المتقدمين في السن لم يزالوا إلى الآن يتعممون بعمامة سوداء كبيرة وملابس من نوع القنباز عريضة لاكسم لها، والمسلمون يتعممون بعمامة بيضاء، والشباب بكفية وروح التمفرج[272] حتى الآن لم تسر بينهم مطلقاً، والأهالي جميعاً مشتركون بين الجنس المصري والسوري في الهيئة، ويوجد بين الأهلين كثير من المصريين.

الشجاعية :

أما حارة الشجاعية فهي قسم كبير من غزة واقع لجهة الشرق، منها على بعد خمسة دقائق. وأكثر سكانه من الفلاحين، وملابسهم ثوب للنساء له أردان طويلة كأثواب العرب [البدو] ويتغطين ببرقعة بيضاء ويضعن على وجوههن أشياء كالبرقع عند المصريين غير أنه في أسفله حُقُةٌ من عُملة متلاصقة، ويتمنطقن بمنطقة من جلد، وبعضهن بقماش أبيض أو أزرق..

وهن قويات البنية شديدات الأجسام لهن مقدرة على أعمال الرجال، ورجالهن يشتغلون في الفلاحة بمساعدة النساء، وبعضهم يتعاطون بعض الصنائع المستعملة في غزة.

وفي هذا الحي سوق كبير ورحب به نحو مائة وخمسين دكاناً يباع بها أشياء مختلفة، ومنها نحو عشرين دكاناً للصياغ، وجانب للحدادين والنحاسين والنجارين وما شاكل ذلك. وكل يوم بعد الظهر يصير بها سوق لبيع بعض المحاصيل بعد أن ينتهي سوق المدينة.

---

(271) . في الأصل: بان اكثرهم جميعهم

(272) . او التفرنج، وهو التشبه بالأوروبيين

مصنوعات غزة :

أما مصنوعات غزة فهي الصياغة والعبي، فإنه يوجد بها نحو مائتي نول تنسجها، وبها بعض نجارين لعمل ما يلزم للأنوال والفلاحة، وحدادين وبياطرة ونحاسين، ويشتغلون بها ملايا غزلية جميلة مخططة، وكذلك ينسجون الكتان الذي يستعمله بعض الفلاحين أثواباً. أما الصياغة والنحاسة فمن مهن النصارى الخصوصية.

والنسيج فمهنة للمسلمين، وبها قليل من النصارى، وبقية النصارى يشتغلون في البناء والتجارة، ولا فلاحين بينهم مطلقاً وفيها نحو أربعين معملاً لعمل الفخار ومحلات للصياغة.

أراضيها ومحصولاتها :

إن أراضي غزة بوجه الإجمال جيدة للغاية، ولو كانت تنال حظاً من الاجتهاد لأتت بمحاصيل تفوق جداً ما تأتي به الآن.

ويزرع فيها الحبوب والشعير والقمح والذرة الشبشوليه والكرسنة والسمسم والخروع وما شاكل ذلك، ومن أشجارها الزيتون؛ فإنه فيها كثير من أشجار الزيتون وكلها غرست من نحو خمسمائة سنة على الأقل، وفيها من شجر النخيل، والصبار يكثر بها وكذلك الجميز، فإنه موجود في أكثر بساتينها. وفيها شيء من اللوز والمشمش والرمان والتفاح والليمون والكرم.

وبعض أهلها يكثرون من زراعة الفول لحبهم بأكله، والبعض يزرعون التين والتبغ، غير أنه لا يكون جيداً، ويزرعون احتياج بلدتهم منه الكوسا، والخيار، والبنادورة، وما شاكل ذلك.

واكثر ذلك يأكلون من نتاجه في نصف نيسان لحماوة الأراضي، وجميع مزروعاتها تأتي بمواسم جيدة لحسن التربة، وخصوصاً في الجانب الشرقي والجنوبي، وبالإجمال نقول إن أراضي غزة جيدة وحسنة التربة، وهي ذات بساتين نضرة تحيط بها من أربع جهاتها.

تجارتها :

إن أعظم تجارات غزة في الحبوب، وهي ذات مركز حسن للغاية موافق للتجارة، إذا صادف التفاتاً. فإن العربان حولها كثر، و [هي] واقعة في طرف سوريا ومصر، وأراضيها تأتي بغلال يفوق بحسنه ونقله غلال حوران.

وأما وارداتها فأكثرها من الشام [أي دمشق]، وتأتيها عن طريق يافا، ولها تجارة في البضائع الإفرنجية، وخصوصاً في الخام لكثرة احتياج الفلاحين والعرب [البدو] إليه.

ولا شك في أنه إذا تحسن ميناء هذه المدينة واجتهد أهلها في سبيل التقدم، فازت بنجاح عظيم وثروة بليغة، ولكن هيهات والأمور على ما هي عليه من التأخر والانحطاط.

مدارس غزة:

إن هذه المدينة متأخرة من هذا القبيل كما تقدم، وليس فيها سوى قليل من المدارس الابتدائية للمسلمين.

ومدرسة لطائفة الروم كائنة ضمن دائرة كنيستها القديمة والصغيرة الكائنة في حارة النصارى، وضمنها المقبرة أيضاً.

وقد أقيمت حديثاً مدرسة للبروتستانط تحت إدارة الخواجة بوتشن الإنكليزي، ومدرسة للبنات أيضاً تحت إدارة ومصروف الخواجة المذكور.

وفي مدرسة الصبيان الذكور يعلم الصرف والنحو والجغرافية والحساب وبقية العلوم العربية والرياضية.

ولكن بما أنها لم تفتح إلاّ من نحو سنة تقريباً لم يصر تعليم بها على غير الصرف والحساب والجغرافية، ومن شروطها أن لا تقبل تلميذاً بدون أن يصلح للقراءة البسيطة، وقد أتى بالخواجة المذكور مبشر من لبنان اسمه الخواجه سليمان منصور، لإذاعة التعاليم الإنجيلية، ومن فكره أن يفتح مدارس في قرى هذه البلاد إذا طلب منه ذلك.

ومدرسة البنات ساعية على قدم التحسين بنشاط معلمتها اللبنانية أيضاً واسمها غرزوزي[273].

أفراحها وأحزانها:

إن هذه المدينة ذات عادات مختلطة بين المدن والفلاحين من جهة الأفراح، وأعظم الأفراح عندهم الأعراس والطهورات، وبما أننا نريد أن نتكلم عن الأعراس؛ فيجب أن نتكلم أولاً عن ترتيب الخطبة، فنقول: إنه عندما يريد الإنسان أن يخطب ابنة ليقترن بها، تذهب بعض نساء عجائز من أقاربه ويبحثن[274] له عن عروس، وكل بيت يدخلنه لا

---

(273). عائلة غرزوزي عائلة مسيحية معروفة في الجليل وبلدة ترشيحا.

(274). جميع المفردات العائدة على العجائز وردت بصيغة جمع المذكر، ونحن حولناها إلى صيغة جمع المؤنث

يظهرن مقاصدهن، بل يسترنها تحت خيال النميمة والأكاذيب، وبعد أن يجلن محلات كثيرة بأيام متتابعة، يقر قرارهن على واحدة، فيخبرن مرسلهن بصفاتها ومحاسنها وما شاكل ذلك، فيوافقهن على رأيهن بدون أن يرى خطيبته بعينيه.

وكم يصير مراعاة خواطر بهذا الأمر، لأنه من عادة النساء أن يرغبن في تنفيق بضاعتهن، ولو على كيفية لا يعقبها راحة، فتعيِّر هذه المعتوهة مسلك تلك الخرفانة وبالعكس، لتتمكن كل منهما من الوصول إلى مقاصدها، قاطعات النظر عما يعقب أموراً نظير هذه من الأضرار والخصومات والأتعاب والمشاجرات، التي تجري بكثرة في غزة المدينة وخلافها، بين الرجال والنساء من قبيل هذا الأمر.

وياليتهم تملصوا من حجاب العفاف الموهوم، الذي لا يستر غير الرؤوس فقط، ودخلوا حدائق التمدن الصحيح، معرضين عن أوهام كأوهام الرهبنة، لنجوا من ذلك الديجور المتعب، ودخلوا إلى جنان الراحة من هذا القبيل.

وبعد أن يقبل العريس بالأوصاف التي أعددنها له أولئك العجائز، فإن [كان] مسيحياً يرسل القس ليطلبها له رسمياً، فإذا قبل أهل العروس بذلك يقررون الشروط المقتضية، فإذا صار الاتفاق عليها ترسل خطبة العريس صحبة الخوري، ومن ثم يشرعون في تجهيز الابنة لحلول المدة المتفق عليها، وحنيئذ يجرون احتفال الزفاف، وفي كل ذلك لا يستشيرون الابنة بشيء مطلقاً، وبعد أن تخطب لايسمح لها بالخروج من البيت مطلقاً.

وإذا كانوا مسلمين يتوجه عدد[275] من أنسباء العريس ويطلبون الابنة من أبيها، فإذا قبل يتشارطون على المهر، وبعد ذلك يكتبون الكتاب بوساطة خطيب كالعادة الجارية بخلاف المدن، وبعد أن يدفع العريس المهر المعين الذي يكون أحياناً عشرة آلاف شرك فما دون، يشرع أهل العروس في تجهيزها.

أما جهازها فيكون ملابس وصيغة لها، ومن أهل العروس الأغنياء من يزيدون على مهر زوجها بمال منهم يساويه أو يزيد عنه أو أقل منه بحسب الاقتدار.

أما الأعراس، فالمسلمون تقوم عندهم سبعة أيام متوالية قبل العرس، وكل ليلة مساءً يجتمع الرجال في محل ويقومون بما يطربهم من غناء ولعب وما شاكل ذلك، وكذلك النساء يعملن مثل ذلك في محل آخر، وهذا جميعه في بيت العريس، وفي اليوم السابع بعد الظهر يذهب جمع من نساء العريس ليأتين بالعروس وهن يغنين أغاني بأصوات واطية على الطريق، وحينما يأتين بها بعد ساعتين يفعلن مثل ذلك.

---

[275] . في الأصل: اكم رجل من انسباء.

ومساءً يعمل العريس وليمة ويدعو إليها كثيرين، فيأكلون ويشربون (إن الطعام غالباً يكون رزاً ولحماً فقط وبعضهم يزيدون ذلك بعض الخضر) ويأخذون العريس بزفة، ويدورون به في شوارع المدينة، وغالباً يبتدئون بذلك بعد الغروب بساعة ونصف، ووراءه أو أمامه طبل يضرب وصنوج وتامي، وبعضهم يعملون في تلك الليلة قراءة ذكر، وبعد أن ينتهوا من هذه العملية يأتون به إلى بيته، فيدخل على عروسه، ثم من حين يأخذون في زفته ويضعون خنجراً طويلاً في زناره فوقه شورة وطرزة، فلما يدخل على عروسه يضربها بعرضه [أي الخنجر]، ويقولون بأنه يفعل ذلك لتهابه العروس دائماً.

وفي اليوم الثاني، أي صباح العرس، يعمل العريس وليمة لكامل أصدقائه والذين يأتونه بالهدايا، ومن ثم بعد الأكل يفردون شورة[276] ويضع كل منهم نقوطاً، وبعد انتهاء هذه العملية يجمعون الجميع ويسلمونه للعروس. ومن ذلك الوقت ينتهي العرس، غير أن العريس يبقى سبعة أيام [وهو] شاكلٌ ذلك الخنجر الطويل في منطقته.

وأما النصارى فأعراسهم كأعراس المسلمين تقريباً، غير أنهم يأتون بالعروسين إلى الكنيسة، وبعد إجراء الفرائض الدينية، يذهبون إلى بيت العريس، والنساء لا يسمح لهن بالخروج أمام الرجال مطلقاً، وإذا خرجت إحداهن يجب أن تأتزر.

ومن أفراحهم الطهورات أيضاً والعمادات.

أما الطهور عند المسلمين فابتداؤه يكون بالأفراح قبل يوم أو أكثر وأقل، بحسب الإرادة. وعندما يطهرون الطفل يركبونه على فرس، وتأخذ الطبول والصوافير تضرب أمامه ووراءه، وهم يجوبون به في شوارع غزة وأزقتها والناس بحذائه تغني كما في الأعراس إلى ما قبل الظهر بساعة، فحينئذ يصلون لمحل ويطهرونه، وبعد ذلك يبتدؤون في تناول الطعام، و أحياناً يسير مع زفَّة الطهور إنسان يرقص فينقطه الناس.

وبعضهم يزينون جملاً ويضعون عليه تمثال امرأة من الشجاعية يركب وراءها رجل يرقِّصها[277]، وأغلب طهوراتهم تصير في الربيع.

أما العمادة فغالباً تصير في أيام الأعياد والآحاد وبعد الظهر، إذ يعمدون الطفل بالكنيسة ويأتون به إلى البيت، وحينئذ يشتغلون بالتدخين، وقرب الغروب يضعون العشاء وهم في الأغنية والأفراح، وبعده ينصرف كل لمحله والبعض يعملون سهرية، والبعض لا يعملون عشاءً ولا سهرةً.

---

[276]. الشورة: هي المنديل

[277]. المقصود هنا ترقيص دمية كبيرة بلباس امرأة

أربعة أيوب :

ثم من أيامهم التي يخرجون بها عموماً للتنزه، ما يسمونه بأربعة أيوب، وهي الأربعاء الأخيرة من شهر نيسان غربي، والبعض قالوا إنها أربعة الصلب عند الروم وهو الأرجح.

ومن عادتهم في ذلك اليوم أن يأكلوا حلاوة جميعهم في تلك السَّبْة[278]، أغنياء وفقراء وفلاحين.

ويوم الثلاثاء مساءً تجدهم أسراباً أسراباً متوجهين إلى البحر رجالاً ونساءً، وقلما تجد سرباً إن كان من الرجال أو النساء يسير بدون أن يتهلل أو يغني، ويدومون هكذا حتى نصف الليل، وقد ذهبنا في تلك الليلة بوساطة دعوة البعض (كان ذلك يوم الثلاثاء مساءً في 20 نيسان غربي سنة 1875م) فوجدنا الجميع يغتسلون في البحر رجالاً ونساءً وأطفالاً، وقد عدنا الساعة 4 ليلاً.

وتوسدنا فرشنا فلم نقدر أن ننام من أصوات المارين المتصلة، لأن خيامنا كانت مضروبة في حاكورة بجانب الطريق المؤدي إلى البحر، وقيل إنه في تلك الليلة يحدث كثير من الأمور الردية، والله أعلم.

ويجرون نحو البحر من العصر يوم الثلاثاء، إلى ما بعد نصف الليل، وبعضهم يرجعون إلى منازلهم بالأغنية بعد أن يغتسلوا، والبعض ينامون هناك. وحتى يوم الأربعاء بعد الظهر بثلاث ساعات لا يبقى أحد منهم هناك مطلقاً.

ثم في اليوم الثاني من أربعة أيوب[279] الذي هو يوم الخميس، ويسمونه خميس المنطار يخرجون جميعاً لمحل مرتفع على تلة شرقي البلد، وبها مقام يسمونه بالشيخ علي المنطار، يزعمون بأنه من أهل اليمن تضايق مرة من قومه فطار من هناك وأتى وسكن ذلك المحل، ولما مات دفن هناك وأقيم له جامع يقصده الزوار من أنحاء غزة ويسمونه بالمنطار أي الذي طار فالمَنْ هنا موصولية، بمعني الذي طار.

والنصارى يزعمون بأنه كان مطراناً رفضوه قديماً لشقاوة معارضيه، وإذ كان صاحب تقى وذا أعمال صالحة، خرج وسكن هناك، فزعم المسلمون بأن قلبه مسلم، فعملوا ذلك المزار على أثر دير والله أعلم بالروايتين.

أما هذا المحل فهو أعلى تل مرتفع في جهات غزة، وعلوه ينوف عن المائة قدم عن

---

[278]. السبة: مصطلح عامي قديم يعني السبب او المناسبة

[279]. في الأصل: ثم ثاني يوم اربعة ايوب

البحر. وفي يوم عيده يخرج جميع أهالي غزه رجالاً ونساءً وأولاداً لزيارته إلا ماندر منهم، ودائماً يكون خروجهم صباحاً ويبقون هناك إلى ما بعد الظهر بساعتين وأكثر، وتصير سوقاً لبيع المأكولات والحلاوة، وينصبون القلابات[280] لأجل الأولاد، وقد خرجت في ذلك النهار فلم أجد شيئاً من أسباب الطرب الذي يتوهمون إجراءه في ذلك المحل، ولكن قد تبين بأنه حيث يصير لهم حرية ليروا بعض النساء، يعتبرون ذلك طرباً لهم، إذ أنَّ كلَّ صاحب غايةٍ منهم يفوز بمقاصده، وإن [الله] أعلم بسرائرهم، ونحن قد قررنا ما شاهدناه وسمعناه والله أعلم بأفكار قلوبهم، وما بضمائرهم، لأن الكاتب له الظواهر وما يسمعه، لا البواطن وما لم يقدر بأن يقف عليه. وقد قيل أيضاً: إن نساء بعض الأغنياء منهم لا يخرجن من بيوتهن مطلقاً في مثل ذلك اليوم وخلافه. انتهى

أحوالها :

وكيفما كانت الأحوال لا يقال بغزة مدينة مستحدثة[281]، وهي في انحطاط عظيم، ولم يبق شيء من أسوارها، وقد خسرت كثيراً من عظمتها السالفة، وليس من آثارها القديمة شي يستحق الذكر والاعتبار. ولولا وجود بعض من الأعمدة المرمرية والرخام في بعض الأماكن، لكانت غزة القديمة نسيت تماماً، ولكن تحت أبنيتها يجدون آثاراً كثيرة بحسب ما قيل، منها يُستدل على عظمتها السالفة. وحكومتها ذات شهوات وأغراض لا تُجري العدالة.

وقبل أن تتشكل الولايات العثمانية[282] كانت مقراً لعدم الراحة، حيث بحسب ما قيل لم تقطع الخصومات منها مطلقاً، وكانت التعديات مالئة محلاتها، والمسيحيين كانوا في ذلٍ عظيم.

وآخر رؤساء العتاة بها المفتي، فإنه كان ذو نفوذ عظيم مع ما هو عليه من الرداءة ومحبة التعدي، وقد حاول سنة 1860 قتل المسيحيين[283]، غير أن بعض المتعقلين قاومه،

---

[280] . في الأصل: قلبات

[281] . اي حديثة حسب الصيغ التعبيرية لأواخر القرن التاسع عشر،

[282] . المقصود الاصلاحات التي اعقبت خروج قوات محمد علي باشا من اراضي السلطنة العثمانية عام 1840م، إذ تلت عملية إصلاح شاملة شملت إعادة هيكلة السلطنة وتشكلت ولايات جديدة محل الولايات القديمة روعي في تشكيلها بسط هيبة الدولة عليها.

[283] . المقصود ابان الأحداث الطائفية المؤسفة بين المسيحيين والدروز في جبال لبنان ثم ما لبثت ان انتقلت إلى معظم بلاد الشام وحاول البعض استغلالها لأسباب مختلفة لإيقاع الأذى بالمسيحيين، وكان القساطلي احد الناجين من هذه

وفاز بحربه فأرجعه عن مقاصده الردية، وعقب تلك الحادثة، حينما أتت مراكب الإفرنج إلى بيروت أرادت الحكومة إبعاده مع بعض من الأشقياء من نظرائه[784]، غير أن بطريرك الروم بالقدس شفع بهم بواسطة التماس نصارى غزة، والذين كانوا يخافون من انقلاب الزمان فيعود الشر أعظم من شرهم السابق.

وحتى سنة 1860 مسيحية، كان لا يسوغ للمسيحي إن يمشي عن يمين المسلم، وكان حيثما ذهب يصادف إهانة وتعدياً، ويخاف على حريمه من شرورهم، وخصوصاً من شر رئيسهم المفتي.

أما المسلمون فما كانوا براحة أيضاً، لأن نار العدوان كانت مشتعلة بينهم دائماً، ولا يجد بعضهم من بعض راحة، أما الآن فقد زال كل ذلك، غير أنهم لم يزالوا في حالة من الفوضى والتأخر، فهذا ما وقفنا عليه من كثيرين في هذا القبيل والله أعلم.

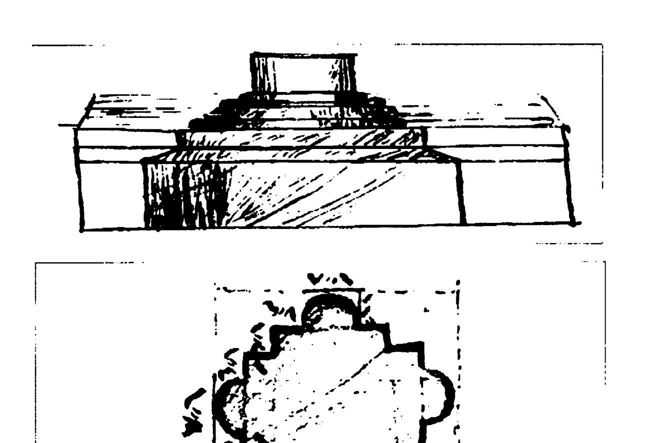
الجامع الكبير:

أما الجامع الكبير في غزة فهو أقدم البنايات المحفوظة بها حتى الآن، وقد كان كنيسة للصليبيين ولليونان قبل المسلمين، ثم تجدد في سنة 717 [هجرية] في أيام الملك قلاوون، وله خمسة أبواب ويحتوي على فسحة دار كبيرة، أما المحل الذي كان كنيسة فالآن هو الحرم، وهو جميل للغاية، وفي وسطه ستة عضائد كبيرة في كل منها أربعة عواميد من كل وجه عمود، وأما في الوجه الأوسط فعمود فوق عمود، وكلها من الرخام الأبيض، غير أنها لكرور الأيام وكثرة الأوساخ التي عليها أصبحت فاقدة اللون، ومن النظر إلى الشكل نعرف أماكنها.

وفي رأس العضادة الأخيرة من الجانب الأيسر برأس العمود العلوي، تاريخ يوناني وفوقه رسم كأس. وقد أقام المسلمون محراباً في الصدر، وأقاموا رواقاً أيضاً بجانب الجناح الأيمن كما تراه في الشكل، ومن الأمور المعجبة تكوين هذه الكنيسة لجهة القبلة بانحراف إلى الشرق، وباب هذه الكنيسة القديم جميل للغاية، وكل سقفها عقد وقواعد العضائد جميلة وكلها من الرخام الأبيض، وكذلك الرؤوس ذات نقوش جميلة للغاية، أما قواعد الأعمدة فهكذا، والعضائد فهكذا.

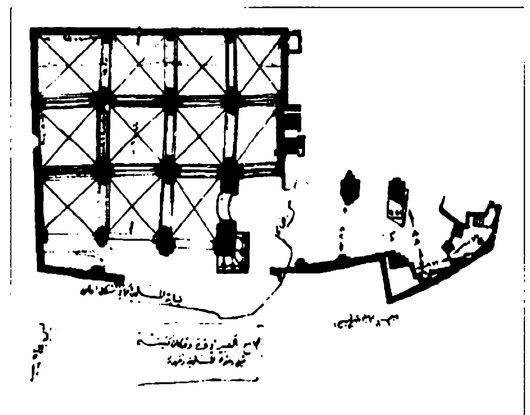
الحوادث في مدينته دمشق التي تكفل الأمير عبد القادر الجزائري بحماية المسيحيين فيها.

[784] . في الأصل: الذين نظيره



إنه عند (ج) في القسم الذي بناه المسلمون كما في الشكل، تاريخاً عربياً يعرب عن الوقت الذي بني فيه ذلك المحراب ومن بناه، وهو هذا:

(بسم الله الرحمن الرحيم رمم هذا الجامع وأنشأ هذا المحراب أمير الأمراء الكرام موسى باشا في غرة رجب سنة 1074 هجرية.



[الرحيل عن غزة]:

يوم الجمعة في 29 نيسان عربي سنة 1875 ارتحلنا من غزة شمالاً بانحراف إلى الشرق، فوصلنا بعد أربع ساعات بعد أن مررنا بهربية[285] إلى عسقلان، ومنها سرنا إلى المجدل، وكانت الخيام قد أتت على الطريق[286] السلطاني، وفي هربية آثار قلعة صليبية، وهناك أي في المجدل ضربنا الخيام ونمنا تلك الليلة، ثم يوم السبت في غرة أيار غربي سنة 1875 ارتحلنا من المجدل شمالاً بانحراف إلى الشرق، وبعد أن مررنا بأسدود التي تقدم الكلام عنها، سرنا منها تابعين السكة.

ومررنا في قرية برقة[287] ثم بقرية بشيت[288] وبها مقام النبي شيت، وهي قرية تبلغ نحو خمسين بيتاً ونيف، وسرنا منها شرقاً بانحراف إلى الشمال، فوصلنا بعد ثلث ساعة إلى المغار[289]، وهي قرية مبنية على تل مرتفع، وبها نحو أربعين أو خمسين بيتاً، وحولها بساتين من التين والكرم والصبار، وبها آثار قديمة من مغاير صغيرة ونواويس، وقد كانت ذات شهرة في الكتب المقدسة..

وكان قرارنا بأن نضرب خيامنا بها، ولما لم نجد[290] محلاً مناسباً لذلك رحلنا منها غرباً للشمال، وبعد نصف ساعة تقريباً وصلنا إلى يبنة، وضربنا الخيام هناك شمالي القرية.

يبنة:

إن يبنة[291] اسمها في الكتب المقدسة يمنة، وهي قرية كبيرة مبنية فوق تل مرتفع

---

[285]. تقع هربيا في جنوب مجدل عسقلان بنحو 8 كم و على بعد نحو 4 كم من البحر.

[286]. في الأصل: عن طريق السلطاني

[287]. قرية معروفة ومأهولة اليوم

[288]. قرية بشيت في الجنوب الغربي من الرملة، وعلى مسيرة ميل واحد للغرب من قطرة وللجنوب من المغار، ترتفع 60 متراً عن سطح البحر ومساحتها 50 دونماً. تحتوي بشيت على: آثار انقاض وبقايا بناء فيه محراب، كانت مأهولة بسكانها العرب الفلسطينيين حتى عام 1948م

[289]. المغار تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة الرملة وتبعد عنها 12 كم وترتفع 50 م عن سطح البحر وتقوم على تلة عرفت قديماً باسم جبل بعلة ويحيط بها أراضي قرى شحمة والمخيزن وقطرة وبشيت ويبنا وعاقر. قدر عدد سكانها عام 1922 (966) نسمة وفي عام 1945 1740 نسمة. تحتوي القرية على تل انقاض وشقف فخار وآبار ومدافن منقورة في الصخر. قامت المنظمات الصهيونية المسلحة بهدم القرية وتشريد اهلها عام 1948.

[290]. في الأصل: حيث ما وجدنا.

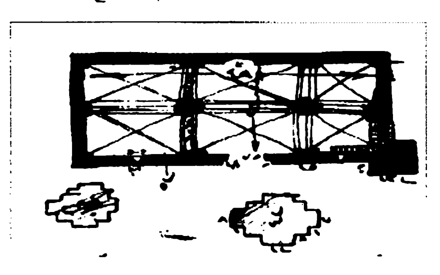
[291]. تقع يبنة على البقعة التي كانت تقوم عليها مدينة يبنة التي يقال ان الفلسطينيين هم الذين بنوها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد وفي العهد الروماني عرفت باسم يمنيا وذكرها الإفرنج باسم إيبلين ودعاها العرب يبنا. هدمها المكابيون واحرقوا ميناءها عام 156 ق.م وكان اكبر من ميناء يافا واعاد بناءها غابينوس الروماني. فتحها عمرو بن العاص في خلافة

على آثار يمنة القديمة. تبعد أربع ساعات عن يافا جنوباً بانحراف إلى الشرق، وساعة ونصف شرقاً عن بحر الروم، والفاصل بينها وبين البحر تلال رملية ظاهرة.

وأهلها يبلغون 1600 نسمة، غير أنه فُقد منها نحو 300 نسمة، وأكثرهم من الأطفال، بسبب الحمى التيفوسية، التي نعلت بها في صيف سنة 1874م، وهم كبقية فلاحي بلاد غزة من جهة الحالة والعادات، وفي هذه القرية مدفون ثلاثة من صحابة النبي، وهم أبو هريرة وأسليم ووهب، وأيضاً الشيخة سعده آخت أسليم.

وأراضي هذه القرية مخصبة وأهلها أصحاب نشاط في الزراعة، غير أنه لاستقراضهم في مال الفائدة[292]، الذي يدفعون عنه بالماية 50/ 40 في السنة، لا يتمتعون بأثمار أتعابهم. وحول هذه القرية من كل جهاتها بساتين يكثر بها شجر التين، وفي الجانب الشمالي قرب بساتينها أشجار زيتون قديمة يبلغ محيط بعضها من أسفل ما ينوف عن 20 قدماً، وفي هذه القريه بأسفل التل أكثر من عشرة آبار يستقون منها، وقبل أن تنتظم الأحكام في سوريا كانت كخلافها في اضطراب دائم فاقدة كل راحة، وفي وسطها جامع يقولون إنه كان كنيسة، غير أنه ليس فيه ما يدل دلالة واضحة على ذلك. ويوم الأربعاء في 5 أيار غربي سنة 1875م، زرت الجامع المذكور، وإذ به مئذنة خربة بنيت منذ 554 سنة، كما يظهر[293] من تاريخها المذكور في أدناه، وهو: أمر بإنشاء المئذنة المباركة المفتقر لله تعالى المولوي الأمير الكبيري... سليمان الناصري في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة.

أما ما بقي منها إلى الآن فعلوّه 40 قدماً، ورسم الجامع المذكور كما ترى في الشكل:



أبي بكر الصديق وهي قائمة على تلة مرتفعة، تقع إلى الجنوب من مدينة يافا وتبعد عنها 24 كم والى الجنوب من مدينة الرملة، على بعد 15 كم منها وترتفع 25م عن سطح البحر. تحتوي يبنا على تل انقاض تحت القرية واساسات وقطع معمارية ومدافن ومقام ابي هريرة قامت المنظمات الصهيونية المسلحة بهدم القرية وتشريد اهلها البالغ عددهم عام 1948م

(292) . في الأصل: الفايظد

(293) . في الأصل: يبان

أما ارتفاع سقف هذا الجامع فهو 22 قدماً، ولا شك في أنه قد بني هنا الجامع قبل المئذنة المذكورة بزمن والله أعلم به.

وادي روبين :

يوم الخميس في 6 أيار غربي سنة 1875م، ذهبت أنا والقبطان من يبنة، وبعد أن سرنا ساعتين تقريباً لجهة الشمال الغربي على شط وادي روبين[294] (راوبين) بين زروع جيدة للغاية، وصلنا إلى الرمل، ومشينا به نحو 7 دقائق غرباً بين تلال ستة بينها وهاد ذات نبات كثير، وصلنا إلى النبي روبين (محرف عن راؤبين)، وهناك مقام كبير بين الرمال السائرة، ومركزه مرتفع، وله بابان كبيران وباب صغير، وبزاويته الجنوبية القريبة من خارج بئر، وبساحة داره تسع أشجار توت كبيرة تظلله تماماً، مع جانب من خارجه، وهذا المحل نشط للغاية، وكل سنة في شهر يتوارد إليه الزوار من أكثر فلاحي بلاد غزة[295].

وبعد أن سرنا نحو 10 دقائق منه غرباً وصلنا لبحر الروم، وعن يميننا على بعد دقيقة كان يجري نهر روبين، الذي تجتمع مياهه من أعين صغير تجتمع به قبل أن تصب في البحر على بعد نصف ساعة، وفي الشتاء تكثر المياه جداً، بحيث يصبح غديراً كبيراً لا يقطع به، وله قرب يبنة لجهة الشمال الشرقي على بعد ربع ميل منها جسر كبير له قنطرتان.

وبعد أن تقطع يبنة على بعد نصف ساعة تجد أكثر شطوطه ذات نباتات كثيرة وقصب، والقُرّيص يصير هناك كالشجر.

ثم سرنا من هناك جنوباً على بعد أربعة أو خمسة دقائق، وإذ وجدنا ميناء كبيرة، في الحقيقة لو تصلحت لكانت أحسن من ميناء بيروت، حيث أن المياه هناك عميقة ويمكن لمركب الشراع أن يرسي على بعد مائة ذراع منها، وقبالة الميناء جبل صغير يبعد عن الماء 48 خطوة، وهذه الميناء تبلغ 300 قدم ونيف.

ومن الجهتين الشمالية والجنوبية توجد حواجز طبيعية ممتدة بالبحر، وفي رأس الحاجز الجنوبي صخرة عالية وكبيرة. وهذه الميناء يسمونها ميناء روبين. ثم سرنا منها جنوباً فوجدنا قبوراً في الصخر خربة، غير أنه يوجد ناووس منها باق حتى الآن، وبه

---

[294] . تقع قرية النبي روبين إلى الجنوب من يافا وعلى مسيرة نحو 9 اميال عنها. ويحيط باراضيها يبنا والمستعمرات ويقيم فيها عرب الملالحة

[295] . المقصود موسم النبي روبين الذي كان يجتمع فيه اهالي الساحل الجنوبي لفلسطين بطقس احتفالي كبير.

تسعة قبور، ومن هذه القبور تبتدئ خربة الدير، وهي خربة كبيرة مردومة بالرمال، غير أنه هنالك حتى الآن بعض أبنيتها واقف. ومن ذلك بئرا ماء بُنيا في أيام الدولة الصليبية، وقناة ماء في حائط سور المدينة، الظاهر منها يبلغ نحو مائتي قدم، وفي الجانب الجنوبي من الخربة لجهة البحر لسان داخل في البحر، وعليه آثار قلعة كبيرة لم تزل بعض جدرانها الخارجية ظاهرة إلى الآن، وهناك كانت ميناء كبيرة جداً وآمنة أحسن كثيراً من ميناء أسدود وعسقلان، فحبذا الانتباه إليها فتنفع البلاد كثيراً وتخفف أثقالاً ليست بقليلة عن التجارة.

ثم بعد أن تناولنا الغداء هناك، ركبنا وسرنا شرقاً بين تلك التلال الرملية، التي بينها أراض ذات خصب وبعض بساتين من التين والعنب، وآجام كثيرة تبقى فيها المياه مدار السنة وتستقي منها العربان التي تنزل هناك، واسمهم عرب السواركة والرميلات والملالحة[296]، وتكثر المراعي والنباتات حولها.

وبعد أن مشينا (1>) ساعة ونصف الساعة وصلنا إلى السهل، وبعد أن سرنا به نحو عشرة دقائق وصلنا إلى خيامنا.

ولا شك في أنه كان في عصر من الأعصر قرى وبساتين كثيرة تحت تلك الرمال، ينذهل الإنسان المار من هناك عندما يتفكر بها ويقابلها على الخراب الحالي القائم على مجد [سالف]، وبها بلادٌ كانت تُحسب من أفضل [بلدان] العالم المعروف في أيام مجدها، فالويل لتلك الأيدي المخربة التي وافت البلاد بهذا الدمار، وجعلتها مسكناً لابن آوى والحشرات، التي وإن كنت ما شاهدتها عياناً ولكنني كنت أشاهد أثر سعيها على تلك الرمال، وأسمع من كثيرين عن وجودها، وليس بين الرمال فقط بل في نفس السهل المحتوي على قرى عامرة دنية.

---

(296) . من القبائل العربية المعروفة التي تنتجع في شمال سيناء وصحراء النقب والساحل الجنوبي الفلسطيني ولبعضها امتدادت إلى داخل فلسطين

خرائب الرملة

[عاقر، جامع أبو هريرة، الذَّنبة، جليا، صيدون، خلدة، بيت خيز، خربة رافات]

عاقر :

والى الشرق من يبنة على بعد ساعة ونصف، قرية عاقر[297] و[هي] مذكورة في الكتب المقدسة [باسم] عقرون، وقد كانت من مدن فلسطين الخمس الكبيرة وهي اسدود وغزة وأشقلون وجتّ وعقرون، (انظر صموئيل الأول 6: 17) والآن عاقر (عقرون) قرية صغيرة بها 80 بيتاً حقيراً، وهي تابعة لقائمقامية الرملة، التي تبعد عنها نحو ساعة إلى الشمال، وبهذه القرية آثار أبنية قديمة، لم تزل بعض رسومها ظاهرة إلى الآن، غير أنها لا تستحق الذكر.

وفي شرقي القرية بجانب البلد بئر ماء قديم تشرب منه القرية، وبجانبه شجرة سدر كبيرة، وبجانبها أي بجانب القرية الغربي بئر آخر خراب، وعلى بعد ثلاثة دقائق إلى الشرق على شط وادٍ هناك بئر آخر يسمونه بئر الغزلان، وهو بئر قديم أيضاً غير أنه خراب الآن، ولا شك في أن الإنسان يتعجب من حكمة الله عندما يشاهد عقرون بالحالة التي هي عليها الآن، بعد عظمتها السالفة وحالتها القديمة، فقد حلَّ عليها قضاء الله كغيرها من مدن فلسطين.

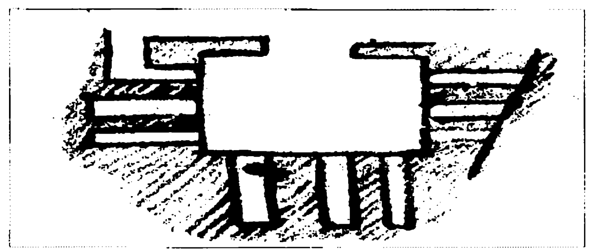
أما الوادي الذي يتصل بنهر روبين فاسمه من قرية يبنة شرقاً وادي أم الشقف، ومن شمال يبنة بعد الجسر يسمونه وادي الطحنات، وهو يسير على طريق يافا إلى أن يصل لنهر روبين، حيث هناك يلتقي بوادي فرحه (فرصة) الذي يبتدئ من سكرير والجسر من ينبة.

---

[297] . بلدة عربية تقع على بعد 9 كم عن جنوبي غرب الرملة، و25 كم جنوب شرق يافا، وتبعد 57 كم عن شمال شرق غزة وهي من بلدان السهل الساحلي الفلسطيني الأوسط، وترتفع قرابة 60كم عن سطح البحر، ويجري وادي الناصوفية على مسافة كيلو متر واحد من جنوبها، ويطلق عليه اسم وادي المغار في الجنوب الغربي قرب المغار.

أما الجسر الذي عند يبنة، وقد تقدم ذكره، فله ثلاث قناطر لا اثنتان كما تقدم.

إن الناووس الذي أشرنا إليه قبلاً وهو الكائن على شط بحر الروم غرب مينا روبين فهذا رسمه:



جامع (أبو هريرة):

يوم الجمعة في 7 آيار غربي سنة 1875م زرت جامع (أبو هريرة)، موقعه في الزاوية الشمالية الغربية من يبنة، وهو المشار إليه آنفاً، وإذا هو جامع ذو دار كبيرة وله رواق جميل ذو ثلاثة أقواس جميلة، مخرّطة حجارتها تخريطياً نفيساً.

وهذا الرواق بناه الملك بيبرس الظاهر منذ ستمائة وتسعة عشر سنة، وهناك تاريخ يعرب عن ذلك وهو: (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الرواق المبارك مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس قسيم[298] أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وكان الفراغ منه في شهر ربيع الأول سنة ثلاثة وسبعين وستمائة وتولى عمارته خليل ابن ساور والي الرملة غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين).

ووسط هذا الرواق .. عمودان من الرخام الأبيض يبلغ طول كل واحد منهما اثنتا عشرة قدماً تقريباً ومحيطه ينوف عن أربع الأقدام، ووراء الرواق المذكور حجرة كبيرة بها مقام أبو هريرة أو قبره، وهذه الحجرة بنيت منذ ستمائة سنة من مصروف الملك قلاوون الصالحي كما يستدل من التاريخ المكتوب على عتبة الباب، وهو هذا:

(بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا المشهد المبارك إلى أبي هريرة رضي الله عنه حبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،،،،،،، مولانا السلطان العالم العادل المجاهد المرابط المؤيد المظفر الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين

---

[298] . من المرجح ان العبارة هي قسيم امير المؤمنين ولم يقرأها المساطلي بشكل جيد لذلك ترك مكانها فسحة وكتب (فسحة)، وهذه الصيغة أي قسيم امير المؤمنين تتكرر في معظم الكتابات العائدة للظاهر بيبرس

والملوك والسلاطين أبي الفداء خليل قسيم أمير المؤمنين[299] أعز الله نصره وغفر لوالده مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون الصالحي ليبقي (؟) الله وعهده ،،،،،، الرضوان وتعميم الغفران وأسكنه جنان الخلود وكان له غدا في اليوم المشهود وجعله في ظلٍ ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وأجزل له الثواب والحسنات وأعد له حسن المثاب وولاه كل ما يتمناه آمين وكان الفراغ من عمارته في شهور سنة اثنين وتسعين وستماية تولى عمارته أيدمر الزبيني [أو الزيني] غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين).

ووراء هذه الحجرة كانت ثلاثة محاريب ومحلاً متسعاً للصلاة، غير أن تلك الفسحة قد ردمت الآن بالرمال، واضحت مظللة بشجرة كبيرة من الخرنوب.

وفي دار الجامع شجرة من التين ومقبرة للمسلمين، وقد نظرت قرب الجامع المذكور ناووساً كصندوق مكسر، وحفرتُه التي أُخرِجَ منها بجانبه، وقيل لي إنهم أخرجوه منذ عشرة أيام وكسَروه ووجدوا به عظاماً كاملة، كان رأسه إلى الشرق ومن هنا قد استدلوا بأنه مسيحي.

وأمام الجامع لجهة الشرق بئر تستقي منها البلد يسمونها بيارة (أبو هريرة)، وإلى الشمال والشرق والقبلة منها مقبرة للنصارى مردومة بالرمال، غير أن الفلاحين يحفرون هناك ويكشفون القبور ويخربونها لأجل الانتفاع بحجارتها، وقيل بأنهم لا يفتحون قبراً إلا ويجدون عظام صاحبه به، وقالوا إنهم قط ما وجدوا على قبر كتابة والذي يدلهم بأن القبور مسيحية وجودها كلها مستطيلة من الشرق إلى الغرب، وبين البيارة المذكورة ومقام أبي هريرة مقبرة للمسلمين.

الذَّنبة :

يوم السبت في 8 أيار غربي سنة 1875م رحلنا من يبنة جنوباً وضربنا الخيام في الذَّنبة[300]. [وما] إن ابتعدنا نحو < ساعة من يبنا [حتى] وصلنا إلى المغار، وقد تقدم الكلام عنها، ثم سرنا من هناك شرقاً بانحراف إلى الجنوب، وبعد ربع ساعة إلى شحمة[301]. أما شحمة فقرية صغيرة تحتوي على 20 بيتاً فقط، وعلى الخط الجنوبي منها

[299] . في الأصل: قسيم الملك، وهو خطأ من القساطلي

[300] . تسمى الآن اذنبة

[301] . تقع إلى الجنوب الغربي من الرملة وتبعد 18كم

على وادي...[302] نحو خمسة عشرة شجرة من السدر كبيرة، بعضها نحو 12 قدماً، وقد أخذنا طريقنا من هناك جنوباً للشرق، وبعد نحو نصف ساعة مررنا على خربة صغيرة اسمها المخيزن، وبها بئر على الطريق، وقيل إن هذه الخربة كانت كبيرة غير أنها اندرست، ومنذ نحو عشرة سنين بني بها تلك المخازن الخربة الآن الشيخ عيسى الوحيدي شيخ قبيلة الجبارات، وأعاد تعمير تلك البئر المذكورة وأسكن البعض من عربه هناك، فلما رأى ذلك بعض أهالي قرية المسمية القريبة من تلك الخربة، عرضوا الأمر للحكومة، وفازوا بوجوب رفع يد ذلك الشيخ عن تلك الخربة جيدة التربة الموضوعة يدهم عليها منذ زمن طويل، ومن ثم أخذت تلك البنايات بالخراب حتى الآن، فإنك ترى جدرانها قائمة.

ثم سرنا فوصلنا إلى قرية الخيمة، وقد يسكنها نحو ثلاثمائة نفس من الفلاحين، ثم اتجهنا شمالاً، وبعد نصف ساعة وصلنا للذنبه وضربنا الخيام هناك.

أما الذنبّة فقرية تبعد عن تل الصافي الذي كان جت القديمة، نحو ساعة لجهة الشرق بانحراف إلى الجنوب، وفيها قريب الستين بيتاً فقط، وقد كانت من قبل أكبر مما هي عليه الآن غير أنه منذ سنتين جرى خصام فيما بين أهلها. فنزح نحو نصفهم لخربة تبعد عنها 40 دقيقة فعمروها وسكنوا بها، والذنبة من القرى التابعة لغزة، وهي على الحدود ولم نشاهد حجراً في كل السهل إلا بها، لأنها واقعة وراء جبل الخليل، ومنها تبتدئ الجبال، ولا يوجد بها غير بعض توابيت مردومة وأبوابها ظاهرة.

جليا :

يوم الثلاثاء في 11 أيار غربي 1875م خرجت للشغل مع كمبر جلتر، وكان خروجنا من خيامنا في الذنبة، فسرنا من هناك شمالاً، وبعد نصف ساعة وصلنا إلى جليا[303]، وكان مسيرنا في واد يسمونه وادي المناخ، وهو يبتدئ من الذنبة ويسير شمالاً إلى أن يقرب من جليا، فيسير من جنوبها ثم غربها إلى أن يصل لخربة الرسم التي تبعد ثلث ساعة عن جليا شمالاً غربياً، وهناك تجتمع به عيون ويسير غرباً فشمال بتعاريج، إلى أن يصل إلى خربة المخيزن[304] التي قد تقدم ذكرها، ومن ثم يسير شمالاً في ذلك السهل، ومنه عند خربة الرسم يسمونه بوادي المقنع، وعند المخيزن يسمونة وادي المخيزن.

---

(302) . فراغ في الأصل

(303) . قرية معروفة بهذا الاسم

(304) . كانت قرية معمورة حتى عام 1948.

أما جليا فخربة صغيرة بها مغائر وآبار منقورة بالصخر، وقد بناها في سنة 1874م قوم رحلوا من الذنبة إليها لخصام جرى بينهما، والآن بها عشرون بيتاً وأهلها آخذون في بنائها.

الرسم وقزازة

والرسم خربة على رأس تل ذات أثر بناية عظيمة، وهي واقعة على شط وادي المقنع. ثم سرنا من الرسم شرقاً إلى قزازة[305] التي تبعد عنه نصف ساعة ونيف مارين بأراضي سهلة ومخصبة، وقزازة قرية فيها نحو مائة بيت، وهي على رأس تل عال وفي بساتينها كثير من الصبار وقليل من شجر التين، وبين قزازة وجليا خلة يسمونها بخلة الذهب، ثم سرنا من هناك شمالاً وصعدنا على تلة يسمونها بذراع القرى، وفي رأسها خربة صغيرة اسمها كفر عانا، وأمام تلك التلة من جهة الشمال وادٍ يسمونه وادي المرجة ثم سرنا من هناك شمالاً لغرب ومررنا بوادي المربعة (أو المريعة) الذي يبتدئ منه وادي الصرار، وبعده عدنا وسرنا شرقاً لشمال، وبعد نصف ساعة وصلنا إلى خربة فطلانة، وهي خربة صغيرة مندرسة رسومها، ولم يبق غير اسمها.

وإلى شمالها وادٍ يسمونه وادي المالح، وفي جنوبها وادٍ آخر يسمونه بوادي حمد أبو عاقر، وبزاويتها الجنوبية الشرقية، والفاصل بينهما أراضي منخفضة خربة الرفيدية، وهي خربة لم يحفظ منها إلى الآن غير اسمها، وبعض رُجُمٍ صغيرة من الحجارة، وأمامها من جهة الشرق وادٍ تبتدئ منه قرية صيدون واسمه وادي الشحم، ويسير من هناك جنوباً ثم ينحرف شرقاً إلى أن يصل وادي الصرار.

صيدون :

أما صيدون[306] فهي قرية بها ما ينوف عن سبعين بيتاً، وهي تابعة لحكومة الرملة، وعلى شط ذلك الوادي حينما تأخذ بالصعود إلى خلدة [تجد] أثر بناية لم يزل أحد جدرانها واقفاً إلى الآن يسمونها البناية، فمررنا من جانبها وأخذنا بالصعود شرقاً بأطراف إلى الجنوب، فوصلنا إلى خربة كبيرة يسمونها خربة الشيخ خالد، وهذه الخربة ذات رسوم قديمة، وبها مقابر منقورة بالصخر تأوي إليها اليوم أغنام خلدة، وبها آبار أيضاً.

---

[305]. تقع قرية قزازة إلى الجنوب من الرملة، كما تقع بين قريتي جليا وسَجَد وعلى مسيرة نحو ميل عن كل منهما. تعرضت القرية لمذبحة من قبل الصهاينة عام 1947م

[306]. تقع صيدون إلى الجنوب من مدينة الرملة على بعد 9كم منها بين قريتي ابو شوشة وخلدة وترتفع 150 م عن سطح البحر ويحيط بها قرى دير محيسن والخلايل وخلدة والمنصورة وابو شوشة

خلدة :

ثم سرنا منها بصعود فوصلنا إلى خلدة[307]، وخلدة قرية بها قريب من خمسين بيتاً وهي مبنية على تل مرتفع، وفي الغرب منها في وادي الشحم بئر ماء يسمونه بوادي الشحم، تستقى منه خلدة، وبينه وبين خلدة حيثما تصعد إليها في نصف الطريق، تبتدئ خلة وتأخذ بالنزول جنوباً وفي وسطها بئرٌ متروكٌ يسمونه بير الدامر (الداشر)، وفي أواخر تلك الخلة عين ماء جارية اسمها عين التينة. وأمام خلدة من جهة الشرق وادٍ يسمونه وادي الميسية، وهو يبتدئ من خربة الميسة التي تبعد عن خلدة ربع ساعة شمالاً إلى الشرق، ومن هناك يسير بانحدار إلى أن يصل إلى وادي الصرار، وفي تلك البقعة خرب كثيرة سيأتي ذكرها. ثم بعد ذلك عدنا إلى الخيام.

بيت جيز :

يوم الأربعاء في 12 أيار غربي 1875م خرجنا صباحاً من الخيام وسرنا شمالاً شرقياً إلى أن وصلنا لخلدة، ثم سرنا منها شرقاً وهناك نظرنا خرباً كثيرة لا حاجة إلى ذكرها هنا، لأنه ليس فيها شيئاً من الآثار يستحق الذكر سوى خربة بيت جيز[308] فإنها محتوية على مقام يسمونه بمقام الشيخ جيز، وكذلك يوجد خربة إلى الجنوب بانحراف إلى الشرق منها اسمها خربة كفرون وبها مقام يسمونه مقام الشيخ نظير، وهذه الخربة تحت حوزة رجل مسيحي اشتراها من أهلها من زمن قصير، ووضع فلاحين بها وبنى حوشاً.

والأراضي هناك مخصبة للغاية وفيها وادٍ، وبين خربة أبو الغول التي إلى الشرق من خربة ام جيز عيون ماء كثيرة، وكنا نحب أن نذكر اسم تلك الخرب هنا، ولكن لعدم أهميتها عدلنا عن ذلك. فقط نقول إن تلك الخرب واقعة في الأكثر في الجبل الذي هو حدود جبل الخليل، وإلى الجنوب الغربي منه تقع خربة الجيز أو خربة الصبر لكثرته. [و] بها رجم عالٍ جداً وعليه أثر بناء يسمونه برجم الجيز أيضاً.

---

[307]. تقع خلدة إلى الجنوب من الرملة وتبعد 15كم، هدمت القرية عام 1948م

[308]. تقع بيت جيز إلى الجنوب من مدينة الرملة وتبعد عنها 15كم وترتفع 200م عن سطح البحر. ويحيط بها اراضي قرى بيت موسين وخربة بيت فار ودير محيسن والخلايل وتقع بجوارها خربة الغول التي تحتوي على معصرة منقورة في الصخر واحواض صغيرة وصهريج ومدافن قامت المنظمات الصهيونية المسلحة بهدم القرية وتشريد اهلها عام 1948م

وخربة الفول بها آثار بنايات قديمة من حجارة كبيرة، وبعضها يستحق الاعتبار، ولكن بما أن أراضيها كانت مزروعة فإننا لم نتمكن من معرفة شيء من تلك الآثار وماذا كانت.

خربة رأفات :

يوم الخميس في 13 أيار غربي سنة 1875م خرجنا من الخيام سائرين في طريق خلدة إلى أن وصلنا إلى وادي الصرار، فقطعناه وأخذنا نسير على شط وادي رأفات إلى أن وصلنا لآخره قرب خربة رأفات[309]، ووادي رأفات وادٍ يصب في وادي الصرار، وبه مياه جارية تخرج من عيون في آخره قبال خربة المشيرفة يسمونها بعيون طريف، وهذا الوادي يسير غرباً وشطوطه حتى مطين [؟] ذات بردي وقصب كثير، وخربة المشرفة برأس تل مرتفع على جانبه الشمالي ثم بعد رأس وادي أو نهر رأفات على بعد قليل للشرق خربة رأفات، وهي خربة كبيرة بحسب ما يستدل من آثارها الممتدة، التي هي أثر بنايات قديمة منه حجارة كبيرة ومغائر كثيرة منقورة بالصخر، وآبار ومعاصر وما شاكل ذلك.

والآن رأفات ملك دير اللاتين في القدس، وقد تأتي أراضيها بمحاصيل جيدة جداً، وقد أقيم بها أبنية جديدة جميلة ومشروع في بناء خلافها، وقد نظرنا تخطيط ذلك البناء الحديث، ورأينا البنائين شارعين في البناء هناك، وبعد مدة قصيرة تصبح هذه القرية في حالة تقدم عظيم بالنسبة لبقية قرى تلك البلاد.

وبها بئر ماء جيد جداً وماؤه نبع، وفوقه طلنبة[310] لإخراج الماء منه.

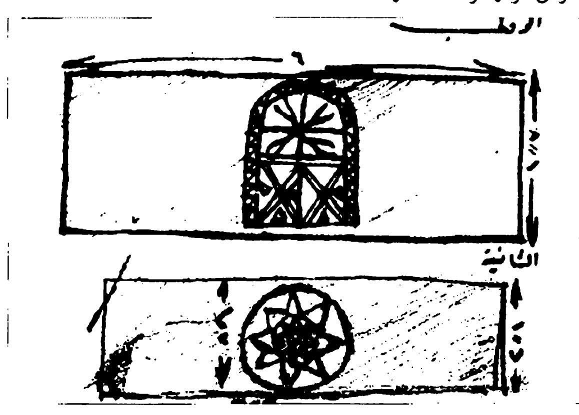
وفي جانب الخربة الجنوبي مقام للمسلمين يسمونه بمقام الحاج حسن الرأفات، والفلاحون الذين يشتغلون في تلك الأراضي الواسعة الخصبة يعطون لصاحبها الربع أوالخمس من المحاصيل بعد إعطاء الأعشار للحكومة، وهم يقتنون البقر للحراثة والبذار، وهو يدفع الأموال الأميرية منه، وقد وجدت الفلاحين هناك مسرورين بذلك، وأي سرور لنجاتهم من تعديات الضابطية التي يلحقونها بالفلاحين.

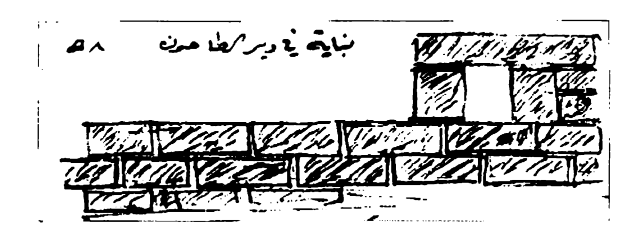
---

[309] . هناك ثلاث قرى في فلسطين باسم رافات واحدة تتبع سلفيت والأخرى الخليل والثالثة القدس وهي التي زارها القساطلي و تسمى هذه القرية دير رافات وتقع على السفح الغربي لجبل متوسط الارتفاع وكما يدل القسم الأول من اسمها (دير) فقد كانت القرية موقع دير كبير من ممتلكات البطريركية اللاتينية وكانت القرية تضم مسجداً واحداً يعرف بمسجد الحاج حسن وفي ركنها الغربي عين ماء وكانت القرية تتزود المياه من ثلاثة ينابيع في الموقع وكان ثمة مواقع اثرية عند تخوم القرية تشمل ثلاث خرب تضم اسس ابنية دارسة ومعاصر عنب، وخزانات محفورة في الصخر وآبارا، وحجر رحى ومدافن

[310] . مضخة المياه، اليدوية

ووراء رأفات شرقاً جبل عالٍ وفي رأسه مغائر وأبار ومعاصر كبيرة منقورة بالحجارة، ثم وإلى الجنوب الشرقي من هذا الجبل جبل آخر عالٍ وفوقه خربة يسمونها بخربة دير الطاحونة، وبها أثر دير كبير وعظيم لم يزل شيء من جدرانه ظاهر، وهناك عتبات منقوش فوقها وهذا شكلها :





بلاد القدس

[خربة فرد، إيلونية، طلعة قولونية، طريق الكروسة، قرية أبو غوش، مدينة القدس الشريف، تاريخها، مركزها الجغرافي، أحوال السكان، ذكر مدينة أورشليم القديمة، فصلٌ في الآثار، قبور الملوك، خارج باب العمود، قرية النبي صموئيل]

وبعد أن درنا شيئاً في تلك الجبال اثنينا راجعين إلى الخيام، ثم في يوم السبت صباح 15 أيار قلعنا الخيام وقصدنا القدس، وبعد أن سرنا مسافة ساعة ونصف شمالاً شرقياً وصلنا إلى خربة فرد[311] وبها آثار بناية قديمة، وعلى بعد قليل منها لجهة الشرق دير العاشق، وهي خربة على تلة كفرد وبها آثار بركة كبيرة ودير من حجارة كبيرة، ثم أخذنا من هناك سائرين إلى القدس، وقرب القدس على بعد ساعة فقط قرية إيلونية[*]. وبها في سفح القرية على الطريق آثار قلعة أو حصن كبير مبني من حجارة كبيرة، لم يزل شيء كثير منه ظاهر إلى الآن.

وهناك منتزهٌ جميلٌ وحدائق نضرة يقصدها أهالي القدس للتنزه، وبالحقيقة إن هناك منتزهاً جميلاً يفوق نضارة كل منتزهات القدس، وبه منذ صار طريق مركبات بين القدس ويافا أنشئت لوكندة جميلة ذات استعداد .

ومن هناك تصعد بجبل عال حيثما تسير نحو القدس يسمونه طلعة قولونية[312]، وعلى طريق الكروسة[313] الذي سرنا به قرب فم الواد نحو القدس، يوجد لوكندة عند فم

---

[311] . لا يوجد مكان قرب القدس اسمه خربة فرد ولكنها تسمية وردت في الكتاب المقدس وهي تخمينات الباحثين

[*] إيلونية باللغة السريانية تعني الأشجار.

[312] . الصحيح قالونيا او كالونيا و هي قرية فلسطينية من قرى القدس المحتلة عام 1948، تعتبر الآن حياً من احياء القدس الغربية. كانت القرية قائمة على منحدر جبلي يواجه الجنوب الغربي. وكان وادي قالونيا يمتد عبر طرفها الشرقي وكانت القرية تقع على طريق القدس- يافا العام, وتصلها طريق ترابية بالقرى المجاورة

[313] . هي عربة الخيل للمسافرين.

الوادي تقيل المسافرين، وبجانبها حانٌ وكليهما بنيا حديثاً منذ تأسيس طريق المركبات، ثم بعد ذلك يوجد قهوة يسمونها بقهوة الطب وبجانبها جسر بني من عهد الطريق، وبينها وبين محل يسمونه [...][314] قرية أبو غوش[315]، وبها آثار كنيسة قديمة.. وفي الوادي الذي بعد فم الواد على الطريق بعض نواويس، وعلى الجانبين أشجار زيتون كثيرة وأشجار هيشية[316] تعطي نضارة لتلك المحلات، وعلى جوانب الطريق قرى كثيرة يسكن بعضها مسلمون وبعضها مسلمون ونصارى من روم ولاتين، وفي القرى التي بها نصارى أديرة وكنائس كثيرة يقصدها الزوار وأهل السياحة في مواسمها وأعيادها وأوقات مختلفة، وفي كل وقت من الأوقات تفتح أبوابها للزائرين.

أورشليم أو القدس الشريف

إن مدينة أورشليم، وهي المسماة الآن بالقدس الشريف، هي من أشهر مدن العالم، وقد ملأت أخبارها صحفاً كثيرة من الكتب المقدسة وتواريخ الأقدمين والمتأخرين، وقد كانت ذات عظمة رفعت مقامها إلى سها المعالي، ووجهت أفكار العالم القديم والحديث إليها. وقد تقلبت دول كثيرة على هذه المدينة يطول شرحها، غير أنه بعد أن خربت في أيام تيطس الروماني أعيد تجديد بعضها، وفي سنة 132 بعد المسيح أتى أدريانوس الروماني وقتل من بها وفلح المدينة وزرع أرضها ملحاً لكي لا تبنى ثانية.

ثم أحب الرومان السكنى بها، فأعيد تجديد بعضها غير أنه في سنة 326م أتت الملكة هيلانة المتنصرة وبنت بعض كنائس بها، فمن ذلك الوقت ازدادت عظمتها وأخذت في التقدم بعد الخراب التام، وابتدأ المسيحيون يترددون إليها من أقطار المسكونة، لزيارة أماكنها الشهيرة المتعلقة ببعض أمور دينية، فكانت تنمو وتزداد اعتباراً، وبعد ذلك فتحها المسلمون تحت راية الإمام عمر، إن بعض كنائسها بقيت عامرة بيد المسيحيين يزورها الزوار، ثم استرجعها الصليبيون، ثم أخذها المسلمون وتقلبت عليها الدول إلى أن خضعت للدولة العثمانية سنة 1517م تحت أمرة السلطان سليم الثاني ابن السلطان بيازيد، وقد أمر ابنه السلطان سليمان في بناء سورها الحالي وذلك سنة 945

---

(314). فراغ في الأصل

(315). كانت تسمى قديماً قرية العنب ومنذ ان حل بها احد امراء المماليك ويدعى ابو غوش دعيت بهذا الاسم وتقع إلى الغرب من القدس

(316). اي حراجية

هجرية، ولم تزل للآن خاضعة للدولة العثمانية. غير أنه لما دخلت سوريا تحت حكم الدولة المصرية في أيام محمد علي سنة 1832م سلمت هذه المدينة لإبراهيم باشا، ودامت قرابة تسع السنين تحت تملكه إلى أن[317] خرج من البلاد سنة 1840م، وخضعت للدولة العليّة بمساعدة مملكة الإنكليز. فهذا ملخص تاريخ هذه المدينة الشهيرة المعتبرة الآن كل الاعتبار من العالم المسيحي وخلافه، وكنا نحب أن نقرر لها تاريخاً مفصلاً، ولكن بما أن ذلك ليس من ملتزماتنا الآن نتركه لوقت آخر وسنتممه إن ساعدتنا العناية الإلهية.

وبما أن جلّ قصدنا الآن أن نقتصر على ذكر ما يمكننا من ذكره من أثارها القديمة ومركزها الجغرافي وحالتها الحاضرة نتكلم عن ذلك بنوع أكثر تفصيلاً ووضوحاً، وخصوصاً الآثار التي قد تمكنا من الوقوف عليها، فإننا سنتكلم عنها بنوع مدقق للغاية فنقول:

أولاً ، في مركزها الجغرافي :

إن مدينة أورشليم أو القدس مبنية عل أربعة جبال وهي صهيون ومريا واكرا وبزيتا[*]، فالجانب الجنوبي مبني على صهيون والشرقي على مُريا والجنوبي[318] على أكْرا والغربي[319] على بزيتا.

وهي إلى الشرق بانحراف إلى الجنوب عن مدينة يافا، وتبعد عنها نحو خمسة وثلاثين ميلاً، وهي في طول 18 53 وعرض 38 13. وعدد سكانها الآن نحو أربعين ألفاً تقريباً أكثرهم من اليهود السكناج المتغربين منهم 6000 مسلمين و 12000 مسيحيين من جميع الطوايف إفرنج ووطنيين والباقي وهو 22000[320] يهود وطنيين وسكناج. وربما في وقت قصير سيزداد عدد سكان هذه المدينة كثيراً لكثرة المهاجرين إليها من اليهود الذين يأتونها من أقطار العالم.

وكل أبنية هذه المدينة من الحجارة ولا يعمل فيها شيء من الأخشاب سوى أبواب البيوت والخزاين. ويحيط بهذه المدينة إلا من الشمال وما يليه أودية منها إلى الجنوب

---

[317] . في الأصل: ابينما.

[*] . جميع هذه التسميات سريانية (ارامية) فصهيون تعني العطشان ومريا تعني المقدسون، وأكرا من الحراثة، وبزيتا مكان الزيتون

[318] . الصواب: والغربي

[319] . بزيتا هو شمال شرقي المدينة: منطقة باب حطة، وحارة السعدية

[320] . القدس هي المدينة الوحيدة في العالم التي يحسب السواح والحجاج اليهود والمسيحيين ضمن أعداد سكانها!!! وهذه الأرقام من تقديرات الأجانب، وتناقضها السجلات العثمانية الرسمية، ويحسب فيها عدد الحجاج الأجانب من يهود ومسيحيين على قدم المساواة مع أهل البلد الأصليين

وادي ابن هنوم[321] وإلى الشرق وادي يهوشافاط[322] وبه قرية سلوان وعين سلوان وبستان الجسماني، وبجانبه الشمالي والفاصل بينهما طريق جبل الزيتون كنيسة مشتركة بين الروم والأرمن والقبط والسريان اسمها كنيسة المريمية. ويقولون إن مريم العذراء مدفونة بها. وفي هذا الوادي مقبرة اليهود الحالية وقبور اليهود الحالية وقبور كثيرة قديمة تعتبر من آثار هذه المدينة، وأغلبها يستحق الاعتبار لعظمته الباقية على الرغم من كرور الأيام لتكون شاهداً على اقتدار سكان هذه المدينة الأصليين. وسوف يأتي الكلام عن ذلك مع الكنيسة المذكورة في ما نخصصه للكلام عن آثار هذه المدينة.

ثانياً [أحوال السكان]:

بما أن قصدنا الآن أن نتكلم عن أحوال هذه المدينة بنوع مفيد، نقسم ذلك إلى أقسام لزيادة الفهم، فنشرع أولاً في الكلام عن أحوال أهاليها من كل الأوجه بنوع مختصر، غير أنه لا نضيع شيئاً من الأهمية فنقول: إن سكان هذه المدينة من أمم مختلفة ولغات ومشارب متباينة، وقلما توجد طائفة من المسيحيين في العالم ولا تجد منها في هذه المدينة، إن من الوطنيين أو من الأجانب، وكذلك يقال في طوائف اليهود.

وأهل هذه المدينة خلا الإفرنج منهم وبعض طائفة البرتستانت (التي يبلغ عدد رجالها نحو خمسة وعشرين، وأشهرهم عائلة الجمل التي هي معظمهم [أي معظم البروتستانت]، وأغناهم عودة عزّام، والبقية[323] أكثرهم[324] مستخدمون مع عائلة بيت الجمل لأجل خدامة الإنجيل والمدارس)، يحبون التنعم بمال الإحسان وإن يكن بعضهم غير محتاج ذلك، فإنك ترى نفس الأغنياء منهم يسكنون في بيوت خاصة الأديرة والأوقاف مجاناً، وكثيرون من الأهالي يأخذون خبزاً معيناً وخلافه من الأديرة، والمسلمون من الحرم الشريف، فمن ذلك وجد عندهم وسيلة للتعمق في بحار إدمان المسكرات.

وأكثر المسيحيين لهم رغبة في دراسة اللغات الأجنبية غير أنهم لا ينجحون بذلك نجاحاً يعتد به. ولا يوجد بينهم من درس اللغة العربية حق الدرس سوى قلائل جداً من بعض أبناء العرب، تلامذة مدرسة المصلبة المختصة بدير الروم.

---

[321] . وهو وادي الرّبابة.

[322] . وادي سلوان، وقديماً وادي قدرون، وادي جهنم (عند المسلمين).

[323] . في الأصل: بالبقية، وهو معنى لا يستقيم والمرجح ما اثبتناه بحذف الباء.

[324] . في الأصل: اكثر، ونرجح ان القساطلي كتبها ناقصة نتيجة السرعة، لأن المعنى يصححها.

والصنائع قليلة جداً بهذه المدينة فلا يوجد فيها سوى ما قل كصنعة البناء ومتعلقاته، التي يرغبها أكثر المسيحيين. ولابد لهذه الصنعة من أن يوافيها يوم ما تقف به حركة محورها، لأنه لا يخفى بأن دورانها الآن متوقف على البنايات الكثيرة الحديثة خارج سور المدينة.

ولاشك في أن هذه البنايات ستأخذ في يوم ما حداً نهائياً فتقل الأشغال بهذه الصناعة ويصبح أصحابها في تشكٍ من عدم الأشغال، كما حدث في دمشق بعد أن تم بناء حارة النصارى التي ضربت في حادثة سنة 1860 مسيحية.

وصنعة الكنادر والنجارة، غير أنها لا تحسب صنعة مهمة لعدم لزومها للأبنية واقتصارها على شغل بعض أخشاب من الزيتون تباع للزوار، وأكثر صناعها أجانب.

وصنعة الصابون وأكثر فعلتها من الفلاحين، وصنعة الشمع والصور غير أنهما لا يحسبان صناعة لعدم أهميتهما وخصوصاً في هذا الزمان، الذي أخذ كثيرون من أهله في مقاومتها.

ويوجد خلاف ما ذكر بعض صنايع قليلة لا يعتد بها.

وأهل هذه المدينة ينتظرون وفود الزوار ليترزقوا عليهم ويتعيشوا. فيا حبذا الانتباه من هذا النوم الثقيل و[ليتهم] شخصوا حالة مستقبلهم المعدّ لهم، وسعوا في إدخال الصنائع لبلدتهم والتمسوا ذلك من أديرتهم والمحسنين إليهم، الذين يبذلون جهدهم في سبيل إفادتهم، وطلبوا معه أن يصير إدخال العلوم الرياضية إلى مدارسهم الكثيرة غير المفيدة الفائدة المطلوبة، واشتغلوا بمساعدتهم في ذلك فينجون من ويلات مستقبل رديء معد لهم.

وكنت أظن أن هذه المدينة في مقدمة المدن السورية، إن في التمدن أو العلوم أو الأعمال، ولكن لما زرتها وجدت بها ما ينافي أفكاري، وصرت أرى بأن مدينتنا دمشق الشام التي كنت احتسبها في أقصى درجات التأخر، تعد أوروبا بالنسبة لهذه البلاد، واعتبارها عند سكانها كاعتبار أوروبا لكثرة الصنائع والأعمال التي تصدر عنها، وإن تكن قاصرة من أوجه كثيرة. وتجارة هذه المدينة ضعيفة وأكثرها إذا ما قلنا كلها بيد الفرنج واليهود[325]. ولا يوجد شيء يصدر عنها سوى الصابون وبعض الصور ومسابح، وأكثرها من أشغال بيت لحم التي سيأتي الكلام عليها.

---

[325] . هذا يناقض الإحصاءات التجارية التي أجراها في هذا الوقت المهندس البريطاني ورن Warren وغيره انظر كتاب الكسندر شولس، تحولات جذرية في فلسطين، ترجمة كامل العسلي، ص 155.

وجميع أهل هذه المدينة إلا ما ندر منهم يفرطون في إدمان المكسرات، ويسهب بالشرح به ويأخذ في مدح خمرات زيد وعرقات بكر، وهم قوم لا يحبون الغرباء وقد أجمعوا جميعهم على ذلك.

وإذا نظرت أحد الغرباء مألوف من أحدهم فيكون ائتلافه طمع الوطني إما بماله أوعرضه أو دينته [أي يرغب بالاستدانة منه]، ويكثرون في التكلم بعضهم عن بعض، وقلما تجد أحداً منهم يتكلم عن آخر في مغيبته إلا ويطعن به، ولو كان من أعز أصدقائه. والفحشاء في هذه المدينة كثيرة وأرغب الناس بها نساء المسلمين والنصارى واليهود.... ووسائل استميال قلوب الرجال إليهن كثيرة غير أنها في أغلب الأحيان لا تأتي بغايتهن المطلوبة، وذلك لأسباب إما مخافة من مرض يعقب، أو لعدم تأثير منظرهن في قلب من يقصدن إلقاءه في حبائلهن، لأن أكثرهن سمر الألوان وليس لوجوههن تكوين حسنٌ يتكفل بجذب القلوب إليهن.

والجميلة بينهن قليلة، وأرغب شيء في مذهبهن هذا الرديء الشبان الشماليون، فإنهن يملن إليهم جداً، وخصوصاً الدمشقيون، إن أكثر الرغبة بهم وخصوصاً إذا كان الشاب منهم ذا محاسن، ويعرف أن يزين ملابسه ويحس إتقانها فيصبح مغنطيساً لقلوبهنّ، ومجناً لوقوع سهام لحاظهن المتتابعة الصادرة عن عيونهن الكحلاء، التي لولا ما يهبها بعض المحاسن المولى سبحانه وتعالى، لَكُنَّ أقبح صورة من كل السوريات. فمسكين ذلك الشاب الذي لا يتغلب على وحشيته عندما يدخل هذه المدينة، فإنه يخرج منها صفر اليدين، إذا كان عنده مال قارون...[326]

---

[326] . هذا القسم من البحث المخصص للقدس موجود بدون ترقيم في بداية الدفتر الثاني وهو يتكون من عشر صفحات، ثم يأتي الترقيم بعد هذه الصفحات العشر.

آثار أورشليم أو القدس الشريف

بعض آثار أورشليم

بما أننا قد وعدنا[327] في بداية دفترنا بأن نذكر بعض آثار أورشليم أو القدس الشريف، المدينة القديمة والشهيرة في الكتب المقدسة والتواريخ، نبادر الآن لذكر ما تمكنا من الوقوف عليه، ولابد بذلك من أن تكون فائدة لنا نتذكرها في المستقبل عندما ترجعنا العناية الإلهية إلى أوطاننا[328].

ذكر مدينة أورشليم القديمة

إن مدينة أورشليم حتى أيام تخريبها من قبل[329] الإمبراطور أدريانوس[330] الروماني سنة 132 بعد المسيح، وبعد أن أعيد تجديدها بعد ذلك، ربما لم تتسع أكثر مما هي عليه الآن، وإن كانت قد اتسعت أكثر من ذلك: لا يوجد بالآثار الحالية أن سورها كان داخله أكثر مما هو عليه الآن، وذلك لما نشاهده في بعض المحلات من السور الحالي الذي أمر ببنائه السلطان سليمان العثماني 944 هجرية وكمل سنة 948 وسنة 949 هجرية.

فإنك ترى وخصوصاً في الجانب الشمالي من السور الصخور مقطوعة كحائط ومركب فوقها بعض الحجارة لتساوي بالعلو بقية أبراج السور، وهذا الشيء مما لم يشاهد للمسلمين أو العثمانيين شيء منه في جميع بناياتهم القديمة والحديثة حتى أيامنا الحاضرة.

ومن ذلك نقدر أن نستنتج بأن السلطان سليم بنى السور الحالي على أثر سور

---

[327] . في الأصل: اوعدنا.

[328] . نقلنا الكلام الذي يلي هذا المقطع إلى مقدمة الكتاب لأن مكانه الأفضل هناك.

[329] . في الأصل: لأيام ما خربها.

[330] . الامبراطور الروماني هدريان (hadrian) وهو الذي أطلق على القدس اسم إيليا كابيتولينا وجعلها مستعمرة رومانية انشأها مكان المدينة التي دمرها.

عتيق أقيم في أيام الملكة هيلانة أو بعدها، لأن التاريخ يفيدنا بأن المسيحيين اجتمعوا على سور المدينة حينما أتى لمحاربتها المسلمون[331]، ومن الممكن بأن هذا السور تجدد ثانية من الصليبيين بعد أن فتحوا المدينة من المسلمين، ولابد من البحث عن ذلك في كتب المؤرخين الصادقين وايضاحه عندما تسمح لنا الفرصة وتمكننا الظروف من التوصل إليه.

ولكن كيف كانت الأحوال الآن؟ نقول: الآن استناداً إلى دلائل الآثار بأن المدينة منذ بني سورها الأول بعد خرابها التام بأيام الإمبراطور أدريانوس المذكور لم تتسع دائرتها عما هي عليه الآن.

غير أنه من الممكن أن يكون في عهد سكن الصليبيين بها قد تجددت بنايات كثيرة خارج سور المدينة في البساتين كما الآن، وهذا من الأمور غير المستبعدة مراعاة لعادات الإفرنج في كل مكان منذ زمان طويل، وكنا نحب الآن أن نتكلم عن سور المدينة الحالي ولكن بما أنه من متعلقات أوصاف بنايات المدينة الحالية تركنا التكلم عنه لبداية دفترنا هذا[332]، حيث خصصنا فصلاً لذلك.

وبما أن ما ذكرناه الآن عنه له تعلق في موضوعنا هذا، تكلمنا عنه أعلاه، والآن نقول:

إن أورشليم كانت قديماً أكبر جداً مما هي عليه، وذلك أولاً لما نستفيده من الكتب المقدسة وخلافها عن كثرة عدد سكانها، فإنه كثيراً ما نسمع بأن ماية ألف قتلوا منها وسبي عدد كبير جداً، فإذا كانت المدينة غير كبيرة عما هي عليه الآن، من الأمور غير الممكنة أن تسع الأنفسَ بالمقدار الذي نسمعه مراراً في الكتب المقدسة والتواريخ.

ولا نشك في أن المدينة في أيام المسيح، كانت كبيرة جداً، وربما في ذلك الزمان اتصلت لعظم كبرها، وما يقودنا إلى ذلك كثرة الأنفس التي اجتمعت بها أيام حرب تيطس، فإنه كان بها من الخلق ما ينوف عن المليون، فإذا قطعنا النظر عن ملاحظة ما يلزم من الأماكن لعدد كبير بهذا المقدار وقلنا إن المدينة لم تكن أكبر مما هي عليه الآن، ووجهنا نظرنا لما يقتضى لهذا العدد من الماء يومياً مع البهائم الكثيرة الموجودة وقتئذ، لأُجْبِرَتْ أفكارنا أن تحكم بأن المدينة كانت أضعاف ما هي عليه الآن، لأنه مع أن عدد سكانها في هذه الأيام لا ينوف عن الأربعين ألف نسمة، ونحو خمسة أو ستة آلاف منهم خارج سور

---

[331] . المقصود حصار القدس في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وامتناعها عليهم خلف الأسوار إلى ان فتحها عمر بنفسه صلحاً بناء على طلب بطريركها صفرونيوس واعطاه العهدة العمرية التي ما تزال موجودة حتى الآن

[332] . ربما يقصد دفتراً خاصاً او قسماً خاصاً من هذه السياحة عن القدس فقط

المدينة ماء المطر الذي يجمعونه مدار السنة بكل ضبط واعتناء، لا يفيض عندهم منه شيء للسنة الآتية إلا القليل جداً، ولا يخفي بأنه لا يوجد ماء نبع في هذه المدينة مطلقاً، ومع ذلك لم نسمع بأن أهل المدينة احتاجوا شيئاً من الماء في كل مدة الحصار كما احتاجوا للمأكل، الذي نتائجه قد أثرت كثيراً بهم حتى اتلفت عدداً ليس بقليل منهم، وبناء على هذه الدلالة المتينة على قطع النظر نحو الآثار الباقية إلى الآن، نستنتج بأن المدينة كانت أوسع جداً مما هي عليه الآن.

ثم، بما أنه قد تبرهن من الدلائل التي قدمناها بوجه الاختصار اتساع المدينة القديمة لأيام حروب تيطس الروماني، نشرع الآن في التكلم عن البراهين التي تؤكد اتساعها بلسان حال الآثار الباقية حتى الآن لتكون شاهداً ينشد عظمة المدينة السالفة وقوة حصونها.

فأولاً، نقول: إن المدينة كانت ذات حصون طبيعية من جهتها الجنوبية وبعض الغربية وكل الشرقية تُرى في جوانب الأودية المحيطة الآن ببعضها، التي من جهتها الصخور مقطوعة قطعاً محكماً وجميلاً كأنها من حجر واحد وضع أساساً للأبراج والسور الذي كان فوقها.

وهذا القطع محيط بكل الجانب الجنوبي، وهو كائن في جبل صهيون، وفي جانب وادي ابن هنهوم، الذي يمتد من بئر أيوب، إلى ما يساوي قبور الملوك، التي سوف يأتي ذكرها.

وعلى جانبه الشرقي جور منقورة بالحجارة، وبه أيضاً قرية سلوان، وبناءً على ذلك نستنتج أن أسوار المدينة كانت على أطراف الأودية المحيطة، فمن هذا يظهر[333] بأنها كانت في الزمان القديم ممتدة شمالاً إلى رأس الوادي الشرقي الذي ينتهي قرب قبور الملوك من الجهة الشرقية، ومن ثم يلحق خطاً غير مستقيم بحسب الأراضي المرتفعة التي هناك، ويسير غرباً إلى أن ينتهي إلى بعد قليل لجهة الغرب من القلعة الثالثة، التي على طريق يافا الآن.

ويسير هكذا على خط مستقيم منحرف إلى الشرق إلى أن يقارب المسكوبية فيتعدى جانبها الغربي، بحيث يكون خارج السور كما استنتج البعض لوجود مقطع حجارة قديم بها في الجانب الغربي.

وهكذا يأخذ في الانحراف إلى أن يصل لباب الخليل أو ما قبله، فيأخذ بالاتساع

---

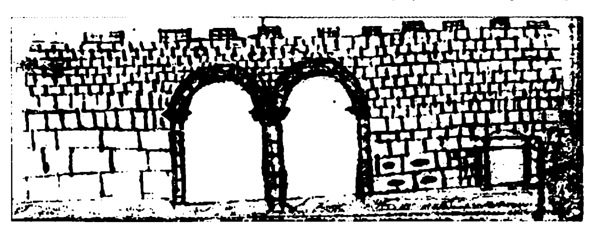
[333]. في الأصل: يبان

من هناك إلى أن يحيط برأس جبل صهيون، وتنحرف معه بحسب انحرافه إلى أن يلتقي بحائط السور القديم، الذي هو الهيكل به من الأثر ما يشهد بكونه كان حائط الهيكل القديم.

أولاً، من كبر الحجارة التي به، فإن بعضها ينوف عن الأربعة أذرع وارتفاعه (١>) ذراع ونصف الذراع.

وثانياً، من مركزه لأنه على طرف الوادي العلوي، ويصعب جداً الوصول إليه في أيام الحصار من الوادي، ولذلك يعلمنا التاريخ ربما نتيجة بأن الإسرائيليين لم يبالوا من عساكر تيطس حينما نزلت على جبل الزيتون.

ثالثاً، من وجود بابين قديمين، قد قال جميع المدققين: بأنها من أبواب القدس القديم، وهذان البابان متلاصقان أحدهما بالآخر، وأما من داخل، أي ما وراءهما من الحرم الشريف، يوجد بهما نقوش جميلة للغاية.



وبعضهم قال: إن المدينة كانت من جهة الشمال أوسع من التحديد الذي ذكرناه، وذلك لارتفاع الأراضي التي تقع بجانب التحديد المذكور شمالاً، فتشرف على السور، فينتج من ذلك أضرار كثيرة على المدينة في أيام الحصار، إذ يتمكن العدو من أخذها بكل سهولة بدون أن يتمكن أهلها من الدفاع عنها.

وقالوا إن هذا ما ينافي الحكمة في بناء المدن، فظنوا بأنه ربما كان هناك السور الثالث على تلك المشرفات، وهذا من الأمور التي لا يقاومها كل من شاهد ذلك أو سمع به، وإن يكن لا توجد دلالة قديمة على وجود السور المظنون هناك. ونحن نرجح وجود سور خارجي للمدينة في تلك المحلات، كانت بينه وبين السور الثاني بساتين وقصور بها فسحة كافية للقيام بحركات حربية عند الاقتضاء.

ومما نُقَدِّرُ أن نستنتج من ذلك قول يوسيفوس المؤرخ[334] بأنه كان للمدينة ثلاثة

---

[334] . يوسفوس فلافيوس أو جوزيفوس فلافيوس وهو مؤرخ يهودي معروف، له كتاب شهير اسمه حروب اليهودية وضعه

أسوار، وبحسب ما تقدم ذكره من وجود حصون طبيعية حول بعض الجهات، واتصالها من جهة الشرق إلى قرب ذلك المكان، صار من الضرورة أن يكون ثلاثة أسوار في هذه الجهة لمعادلة القوة ودفع قوات العدو.

وبناء على ذلك يكون السور الثالث الخارجي، ربما كان فوق تلك المشرفات، ومما يدلنا على وجود فسحة بين كل من الأسوار الثلاثة، تمكن [المدافعين] في زمن الحصار [الروماني] من تجديد ما كان خَرَّبَهُ العدو من السور بوقتٍ قصير، وإذا فرضنا بأنه لا يوجد سور هناك، واعتبرنا وجود فسحة بين كل من الأسوار، ينتج من ذلك فقدان جانب ليس بقليل من دائرة المدينة، خلا عن تجاوز حدود الحكمة في بناء هذه المدينة العظيمة التي توجهت لمحاربتها في أوقات مختلفة أكثر قوات العالم المعروف في ذلك الزمان.

وفضلاً عن ذلك تصبح المدينة فاقدة جانباً من أهمية الحصون الطبيعية واقتدارها التي أيدي الاجتهاد ورغبة التحصين قد ضاعفت قوتها قوات، وخاسرة جانباً عظيماً من فسحة الاتساع بها بيدها، وهي في غاية الاحتياج إليها، وبناء على ذلك يكون محيط المدينة في الزمان القديم نحو تسعة أميال أو أكثر، وأما الآن فلا يتجاوز الثلاثة.

وسنجتهد في سبيل التوصل إلى أخذ رسم للمدينة القديمة، فإذا ساعدتنا العناية الإلهية وفزنا به سنضع رسمه هنا إن شاء الله، وإلا نقتصر على ما ذكر، إذ منه يتضح كفاية، وإذا وجدنا شيئاً آخر من البراهين على إنشائها القديم أو فزنا بمجرد الآثار للاحظات سنذكرها لزيادة الإيضاح.

ثم وبما أننا قد انتهينا الآن من التكلم عن حدود أورشليم القديمة واتساعها، نشرع الآن في التكلم عما وقفنا عليه من آثارها الباقية لأيامنا هذه، على الرغم من صدمات أخبار الزمان وتقلباته التي طرأت على هذه المدينة.

فصلٌ في الآثار :

إنه من الأمور المذكورة لدى كل من اطلع على صفحات التاريخ كثرة الدول والأمم الذين تولوا وسكنوا هذه المدينة في أعصر وأيام متباينة، ولذلك لا يقدر الإنسان أن يلحق الآثار الحالية الباقية حتى الآن مع أنها قليلة، بواضعها إلا بمجرد مراعاة النظائر[335] الموجودة في بعض هذه البلاد، وخصوصاً في جبل الخليل.. وبناءً على ذلك قد جعلنا

في القرن الميلادي الأول

[335] . في الأصل: النظير.

السببان المذكوران واسطة لتقريراتنا في هذا الباب، وما لم نقدر أن نلحقه بأصله، نقرر أوصافه الحالية معرضين عن التعرض لمن أنشأه في أي زمان كان من الأزمنة. ولابد من الجد في سبيل البحث عنه إذ فزنا بما يساعدنا على ذلك.

غير أننا الآن نذكر كلاماً ابتدائياً يتعلق بهذه الآثار ونقرر بعده ما قد شاهدناه [من] الذي نظن بأنه لا يوجد شيء خلافه إلا ما ندر، فنقول:

إن الآثار المحفوظة الآن في خزائن البقاء، المعبرة عن عظمة وغنى واقتدار سكان هذه المدينة الغابرين، التي تشهد بها الكتب المقدسة، فالخارجية منها: أخصها القبور المختلفة الموجودة في الجانب الجنوبي من وادي ابن هنوم حتى بئر أيوب، ومنه تلحق الجانب الشرقي من وادي يهوشافاط أو وادي قدرون.

وتسير معه موافقة جانباً ليس بقليل منها في قرية سلوان، التي في ذلك الجانب، إلى أن تلحق شمالاً آخر الوادي المذكور، مارة على سفح كل من جبل الطور وجبل الجليل (؟)[336]، إلى أن تنتهي في آخر جبل الجليل الغربي، الذي يبتعد نحو مائتين وخمسين ذراعاً من قبور الملوك لجهة الشرق.

وأيضاً مغارة كبيرة منقورة في الصخر في جانب المدينة الحالية قرب باب العمود لجهة الغرب منه، وبركة ماملاّ، وفي البركة العليا التي بناها حزقيال النبي، والبركة السفلى التي بناها المشار إليه أيضاً.

وسوف يأتي الكلام عنهما، مع ذكر بعض القبور المذكورة التي تستحق الاعتبار أكثر بالنسبة لمن سواها، لعظمها وعدم وجود ما يشابهها في هذه البلاد.

وأما الآثار الداخلية فأهمها الحرم الشريف المبني على أثر هيكل سليمان القديم، وهو بالحقيقة يستحق الاعتبار جداً نظراً لقدسية الآثار الموجودة ولجمال البنايات الكثيرة التي به الآن.

وكذلك كنيسة القيامة المشتركة بين البعض من طوائف المسيحيين، وسوف يأتي الكلام عن القيامة وبعض الحرم مفصلاً في محله.

وأما بقية محلات هذه المدينة المستحقة الاعتبار نتكلم عنها في بداية دفترنا هذا[337] مع أوصاف بنايات محلات هذه المدينة.

---

[336]. هكذا في الأصل، ولا علاقة لجبال الجليل المعروفة بجبال القدس

[337]. من الواضح أن القساطلي يتحدث عن دفتر ثالث لم يكمله، يبدو أنه كان مخصصاً لآثار القدس لأن هذا الكلام يرد في آخر الدفتر الثاني، وبعد نهاية الجزء الثاني من الرحلة الذي ينتهي مع نهاية فصل بلاد نابلس

هذا ولولا كثرة تقلبات الأمم على هذه المدينة، واعتبار البعض لها، وشدة بغض البعض لأهلها الذي حملهم على تدميرها في أوقات مختلفة، لحملت لنا الأيام آثاراً كثيرة [كانت ستبقى] حتى الآن.

قبور الملوك :

إن قبور الملوك، هي إلى الشمال من سور المدينة الحالية، على بعد ثلث ساعة من باب العمود أو باب الشام. وهي في بستان على الجانب الشرقي من الطريق المؤدي إلى [دمشق] الشام. ويظن بأن السور الثاني للمدينة القديمة كان هناك، وهذه القبور هي من آثار هذه المدينة المستحقة الاعتبار، وبالحقيقة إن الداخل إليها يندهش لما تُشخصهُ له من عظمة سكان هذه المدينة الغابرين، واقتدارهم واقتحامهم الأعمال الصعبة، وفوزهم عليها بالنشاط، وإخضاعها لثوب إتقانهم، بحيث تلبسه بواسطة آلاتهم وقوات جودة عقولهم.

وهذه المقبرة منقورة بصخر الأرض، يُدخل إليها من باب منقور في الصخر أيضاً، بعد أن ينزل إليه بدرج تصغر درجاته كلما انحدرت، غير أن الدار الخارجية مكشوفة، وهي مربعة الشكل كما ترى بالرسم الملصق جانبه[338]. وفي جانبها أو حائطها الغربي الدار الثانية وهي منقورة بالصخر، وسقفها من الصخر، وفوق بابها عتبة من ذات الصخر، طويلة منقوشة نقشاً جميلاً للغاية. غير أن جانبها الجنوبي قد فعلت أيدي الأيام بنقوشه حتى تمكنت من إستارها تحت برقع الدمار.

وكذلك أخْرَبَتْ شيئاً من جوانب هذا الباب، ومن جانب العتبة الشمالي، وقد قيل إنه كان هنالك عمودان في الباب المذكور مركزهما كان كما في الرسم جانبه، غير أنهما الآن ردما تحت التراب، وقد أثبت وجودهما أحد الجغرافيين الإنكليز[339] في كتابة المسمى بجغرافية سوريا وفلسطين، حينما رسم شكل هذه القبور المملوء من الأغلاط. أما أنا فلم أشاهد أثراً لهما، وكنت أحب أن أتمكن من حفر التراب في مركزهما فالظروف لم تساعدني على ذلك، فقررتهما في الرسم الذي جانبه، غير أنني إلى الآن لم أزل أثق في حقيقة وجود آثارهما.

---

[338] . في الأصل ثمة مكان اثر لمادة لاصقة على يمين الصفحة 103 منزوع قصداً او بفعل الزمن. نظن بانه الرسم المقصود بهذا الكلام

[339] . ربما يقصد هذا الكتاب (A handbook for travellers in Syria and Palestine. by J L Porter; John Murray (Firm)) والذي اعتمده كوندر كمرجع في كتابه

وقد دققت البحث في هذه المقبرة حق التدقيق، حتى قست كل مكان بها وعرفت قدره، وقد احتملت في سبيل ذلك أتعاب خمس زيارات لذلك المحل، وبناءً على ذلك سنشرع الآن في التكلم عن كل شيء، مع وضع شكل بعض الأشياء الخاصة لزيادة الفائدة رغماً عن صغر باعنا في أمر التصوير، فنقول إن (أ) ألف في الرسم هو الدرج المشار إليه الذي ينزل به إلى هذه القبور، وهو ملاصق الحائط الجنوبي، ومنقور بذات الصخر، ولا نعلم كمية عرضه وعدد درجاته لاندمال جانب، وعدد منها غير معلوم تحت التراب.

و(ب) الباب الذي يدخل إليه للدار الخارجية، ولا يوجد سواه، وهو منقور بنفس الصخر عرضه 9.6 قدم وسمك الحائط 8.6 قدم [ثمانية أقدام وستة قراريط].

و(ت) الدار الخارجية، وهي مربعة الشكل كل من حولها وعرضها 92 قدماً، وكل من (ث) 32 قدماً وباب بينهما عرضه 28 قدماً، والدائرتين الصغيرتين محل العمودين اللذين أشرنا إليهما جانبه.

و (ج) رواق أو دار ثانية طولها 38.6 قدم [ثمانية وثلاثون قدماً وستة قراريط]، وعرضها 14.5 قدم [أربع عشرة قدماً وخمسة قراريط]، وسمك الحائط الفاصل بينها وبين الدار الخارجية المكشوفة 2.6 قدم [قدمان وستة قراريط]، وطوله من كل جانب 5 أقدام كما ترى في الشكل. والارتفاع من الأرض إلى السقف نحو 17 قدماً.

وفي حائطها الغربي طاقة [كوّة] صغيرة ارتفاعها قدم ونصف، وعرضها نحو قدم واحد، وطولها 14 قدماً، وهي مرتفعة عن الأرض 3 أقدام فقط.

و(ح) دائرة في الرواق أو الدار المذكورة قطرها 8 أقدام، وهي تبعد عن الحائط 3 أقدام، وبينها وبين باب المغارة أو باب المغائر الداخلية العمومي فسحة ينزل إليها بثلاث درجات، طولها ثماني أقدام وعرضها ثلاث، وعلى جانبها الشرقي قبران خربان، أحدهما يدخل إليه من ذلك الجانب، وهو أول كما نرى الشكل، وهو مردوم كما بحجارة وتراب، غير أنه يُرى كأنه كان قبرٌ آخرُ بداخله.

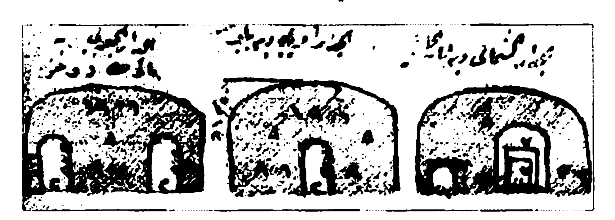
وأما الآخر الملاصق للباب، فيظهر بأن بابه كان من أعلاه وهو مردوم، غير أن رسومه ظاهرة، والباب المؤدي إلى داخل، عرضه من خارج 22 قدماً وارتفاعه 3 أقدام وسمك حائط الباب 42 قدماً . غير أنه من داخل بعرض الباب، ويرتفع فيصل عرضه [إلى] 7 أقدام، والبعد بينه وبين الحائط الشرقي 5.2 أقدام [خمس أقدام وقيراطان]، وبينه وبين الحائط الغربي مسافة، في جانبها الغربي مقبرة وهي (ظ) مربعة الشكل واسعة، غير أنها

مردومة بالتراب، والباب المذكور هو باب دار القبور الداخلية، وطول تلك الدار التي هي (خ) 19.6 قدم [تسع عشرة قدماً وستة قراريط] وعرضها كذلك.

ويحيط بكل جوانبها رصيف عرضه 2.2 قدم [قدمان وقيراطان]، وارتفاعه 2.2 قدم [قدمان وقيراطان]، غير أن هذا الرصيف في الجانب الجنوبي أعلى من بقية الجوانب بنحو أربعة قراريط، وارتفاع نفق هذه الدار نحو 13 قدماً وبها في الحائط الجنوبي بابان، أحدهما للحجرة (د) والآخر للحجرة (ض). وفي الحائط الغربي باب واحد للحجرة.

وفي الشمالي الباب الخارجي، وعن يمينه باب صغير عرضه 2.2 قدم [قدمان وقيراطان]، وارتفاعه 2.9 قدم [قدمان وتسعة قراريط] وهو ذو دهليز يوصل للحجرة (ط) المردومة بالتراب والمشار إليها. وأما كل من باب الحجرة (د) و(ض) و(ط) فعرضه 2 قدم [قدمان]، وارتفاعه 5.5 قدم [خمسة أقدام وخمسة قراريط]. والمسافة بين كل منهما والحائط الذي يليه 2.8 قدم [قدمان وثمانية قراريط].

والبعد بينهما 9.2 أقدام [تسع أقدام وقيراطان]، أي بين باب (د) و (ض)، وهذا رسم جدران هذه الحجرة أو الدار خلا الشرقي:



تنبيه:

(أننا لم نضع رسم الجدار الشرقي لكونه لم يحتو على شيء).

تنبيه آخر:

(إننا لأجل زيادة الإيضاح سنضع قياسات بعض الأشياء في محلاتها من الرسوم الخصوصية كما نرى في أعلاه وذلك لإتمام الفائدة).

ثم الآن حيث انتهينا من التكلم عن داخلية (خ) نشرع في الكلام عن الحجرة من داخلها فنبتدئ أولاً من (د)، (غير أنه كما لا يخفى من الاطلاع على الشكل العمومي، بأنه يوجد قبور في كل من الحُجَر يشابه بعضها بعضاً شكلاً، وهي قدر بعضها بعضاً في

الاتساع، ولذلك وضعنا علامات واحدة للقبور التي هي ذات شكل واحد، وقدر واحد، وبناءً عليه إذا تكلمنا عن (ذ) فلا لزوم لنعيد الكلام في (ض) وهلم جرًا، كل شيء متشابه في الشكل ومتساوٍ في الاتساع).

فنقول إن دال (د) حجرة يُدخل إليها من باب في الحائط الجنوبي، وهذا الباب من داخل ذو عكفين هكذا، فالأولى قدمان سمكها، والثانية 2.4 قدم [قدمان وأربعة قيراط]، فيكون معظم سمك الحائط 5.6 قدم [خمسة أقدام وستة قراريط]، وهذه الحجرة مربعة الشكل، كل من طولها وعرضها 10. 11 قدم [إحدى عشرة قدماً وعشرة قراريط] ويحيط بدائرة فسحتها رصيف إلا من جهة الباب الخارجي، وجزء من الجانب الغربي بجهة الشمال، وعرضه 2 قدم [قدمان]، وارتفاعه 1.8 قدم [قدم واحدة وثمانية قراريط].

وفي هذه الحجرة ستة قبور من ثلاثة أشكال، ومقبرة في الزاوية التي بين الحائط الشمالي والغربي، ينزل إليها بأربع درجات، وسوف يأتي الكلام عليها مفصلاً، وأما ارتفاع سقف هذه الحجرة فنحو عشر أقدام، وكل أبواب قبورها الستة متساوية في العرض والارتفاع داخلاً وخارجاً، خلا القبر الذي في الزاوية، والقبر الأول في الجدار الجنوبي فإنهما يختلفان عن الآخرين، وسوف نعلم ذلك.

والبعد بين كل قبر وآخر 2.2 قدم [قدمان وقيراطان]. في الزوايا البعد بين القبر والحائط عشرة قراريط، وعرض كل باب 1.10 قدم [قدم واحدة وعشرة قراريط] وارتفاعه 2.10 قدم [قدمان وعشرة قراريط]، وطول كل من (ذ) 17.2 قدماً [سبع عشرة قدماً وقيراطان]، وعرضها 1.10 قدم [قدم واحدة وعشرة قراريط]. وأما (ر) (ز) فمتساوية طول كل منهما من داخل 6.8 قدم [ست أقدام وثمانية قراريط] وعرضه 2.10 قدم[340] [قدمان وعشرة قراريط]، وفي وسط كل منها حضرة مستطيلة الشكل طولها 5 أقدام وعرضها 8 قدم وكذلك عمقها. وربما كانوا يضعون فيها عظاماً.

وسمك حائط الباب في القبرين المذكورين قدم واحدة، غير أن القبر (ز) يختلف عن (ر) لوجود جلجلة في جانبه الجنوبي، وهذه الجلجلة عرض بابها 1.8 قدم [قدم واحدة وثمانية قراريط]، وكذلك ارتفاعه، وهما أوطأ من سطح داخل القبر بقدم واحدة، وهي

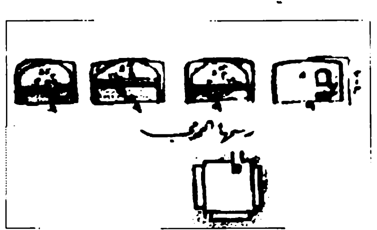
---

[340] . وارتفاع السقف (>2) قدمان ونصف القدم منها وهي على شكل قنطرة، قوس 1 قدم فيكون ارتفاع الحائط (>1) قدم ونصف فقط [هذا الهامش لنعمان القساطلي]

مربعة الشكل، كل من طولها وعرضها 4 أقدام، وارتفاع سقفها 4.2 قدماً [أربع أقدام وقيراطان]، وهذا رسم جداري هذه الحجرة:



ثم إن (ف) هي المقبرة التي في الزاوية المشار إليها جانبه، وبعد أن ينزل إليها بدرج طوله أربع أقدام، يبتدئ في المركز المحدود في الشكل العمومي، وتصل بابها الذي هو كبقية أبواب القبور الستة في (د) عرضاً وارتفاعاً، وسمك حائطه قدم واحد، ومنه ينزل إليها على درجة، والعلو من عتبة بابها التي إلى الأسفل 22 قدماً، وهي مربعة الشكل، كل من طولها وعرضها 9 أقدام وبها ثلاثة يوكات في كل جدار، خلا الذي به الباب يوك واحد وبارتفاع ثلاثة أقدام وثلاثة قراريط من الأرض من المحل الذي كانوا يضعون فيه الميت. وطول الأوسط (>7) سبع أقدام ونصف القدم، وعرضه قدمان، والعلو من محل الميت إلى نقط مركز قوس اليوك 3.2 أقدام [ثلاث أقدام وقيراطان]، وأما الاثنان اللذان في الجوانب، فمحل الميت أوطأ للأرض بقدم من ذلك الأوسط، ومنه إلى نقطة القوس (>4) أربع أقدام ونصف القدم، وارتفاع سقف هذه الحجرة والمقبرة 6.8 أقدام [ست أقدام وثمانية قراريط]، وهذا رسم جدرانها ورسمها العمومي.



حيث قد انتهينا الآن من التكلم عن (د) وما بها فسنشرع في التكلم عن (ض) فنقول:

إن (ض) حجرة مربعة الشكل، كل من طولها وعرضها 2.8 قدم [قدمان وثمانية

قراريط]، ويحيط بجدرانها رصيف عرضه 2.4 قدم [قدمان وأربعة قراريط]، وارتفاعه 2 قدم [قدمان]، وهي ذات ستة قبور، ومقبرة خربة كما نرى في الرسم العمومي تحت (ق) فكل من [..][341] يساوي (ر) في الحجرة (د) وكذلك (ذ) غير أنه في آخره أعرض من أولئك بنحو قدم تقريباً، وهذا الاتساع يأخذ في الامتداد من بعد الباب بنحو (<1) قدم ونصف القدم إلى أن ينتهي إلى الأخير، وكل من (س) يساوي من كل الأوجه (ز) في (د) غير أن الفرق، فإن (ز) الجلجلة بجانبه، و(س) في مؤخرته والجلجلة في كل من (ز) و(س) متساوية في كل شيء، حتى أنه لا فرق بينهما في شيء البتة.

وسمك حائطها في (س) قدم كما في (ز) ولا يوجد فرق بين جدار هذه الحجرة و(د) في الشكل سوي بالاتساع ولأجل إتمام الفائدة، ولإيضاح ذلك نضع تلك الرسوم.

غير أننا قبل ذلك نتكلم عن (ق) فنقول إن (ق) بابها وطولها على شكل قبر (ذ) تماماً، غير أنه بعد قدم من بابها محفورة كما ترى في الشكل العمومي، وينزل إليها بدرج. وبعد أن تنتهي من النزول على درجاته الظاهرة، تشاهد بعد الجهد بأنه كان في داخله مقبرة كبيرة لا نعرف شكلها، لأنها مردومة بالتراب، والذي يظهر منها يعبر عن اتساعها.

وربما هذه حفرة بعد كل قبور هذه الحجرة لأنه كان مكانها قبر والله أعلم.

وهذه صورة جدران هذه الحجرة وارتفاع هذه الحجرة، أي علو سقفها نحو 11 قدماً:



ثم إن سمك الباب الذي يتصل في (خ) 6.8 أقدام [ستة أقدام وثمانية قراريط] مقسومة كما ترى.

وها [نحن أولاء] الآن قد انتهينا من الكلام عن (ض) وسنشرع في التكلم عن (ط) فنقول:

---

[341] . حرف غير مفهوم

إن (ط) هي الحجرة الثالثة في ترتيبنا، وهي مربعة الشكل كل من طولها وعرضها 13.7 قدم [ثلاث عشرة قدماً وسبعة قراريط]، ويحيط بها من داخل، خلا جدار الباب رصيفٌ عرضه 2.4 قدم [قدمان وأربعة قراريط]، وارتفاعه 1.10 اقدم [قدم وعشرة قراريط]، وهي تختلف في شكل قبور غريبة عن (د) و(ض) لأنه بها ثلاثة قبور و(ص) كل أوسط في كل جدار، وهذه القبور (ص) كحُجَر وكل واحدة منها تحتوي على ثلاثة قبور، وهي جميلة، وأوصافها من جهة الشكل كأوصاف القبور التي هي كاليوكات في حجرة (ف) غير أن الأخير في كل حجرة، أو الذي في الصدر له باب عرضه 1.11 قدم [قدم واحد واحدى عشر قيراطاً]، وارتفاعه ثلاثة أقدام، وعلوه عن الأرض 3.5 قدم [ثلاث أقدام وخمسة قراريط]، كاللذين بجانبه، فإن كلاً منهما كذلك.

وطول القبر أو المحل الذي كانوا يضعون به الميت 6.6 قدم [ست أقدام وستة قراريط]، وعرضه 1.10 قدم [قدم واحدة وعشرة قراريط] وطول باب كل من المقابر المذكورة المثلثة القبور 5.6 قدم [خمس أقدام وستة قراريط]، وعرضه 1.11 قدم [قدم واحدة وأحد عشر قيراطاً]، ومعدل البعد بين كل قبر وآخر من المتقابلين 2.2 قدم [قدمان وقيراطان]، وسمك حائط الباب 1.4 قدم [قدم واحدة وأربعة قراريط].

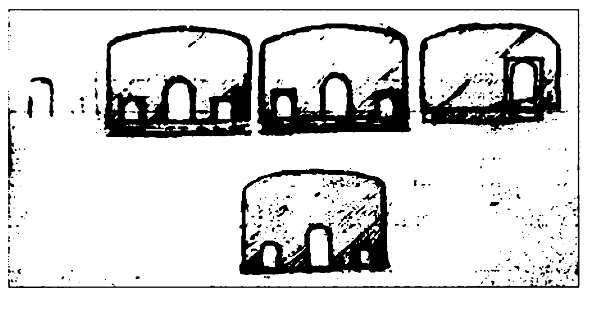
ولأجل زيادة الإيضاح نضع رسم ذلك بعد، غير أنه في المقبرة التي في الحائط الغربي من تحت القبر الأوسط بها يدخل بباب المقبرة تحت الأرض كما نعلم من النظر إلى الشكل العمومي، وسوف يأتي الكلام عنها مفصلاً.

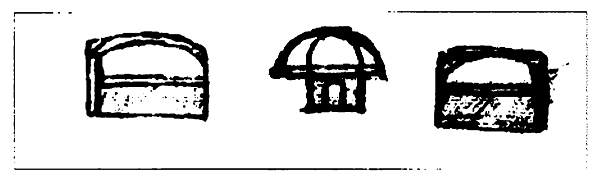
ثم إن عرض باب (ط)، وهي هذه الحجر من داخل 3.3 قدم [ثلاث أقدام وثلاثة قراريط] وطوله (>6) أقدام [ست أقدام ونصف القدم]، وبعده عن الحائط الجنوبي 2.4 قدم [قدمان وأربعة قراريط]، وفي هذه الحجرة قبر واحد ك(ذ) وقبر ك(ر)، غير أنه مردوم بالتراب أسفله وثلاثة قبور ك(س)، غير أن الذي في الزاوية بجانب الجدار الشرقي الجلجلة التي في صدره أصغر من بقية الجلاجل بقدمين فيضحي طولها 4 أقدام وعرضها 2 قدم [قدمان]، وارتفاعها 4 أقدام.

و(ش) بهذه الحجرة ك(س)، غير أنه ليس فيه حفرة في أوسطه كما (س) وأما (ذ) و(ر) و(س) و(ش)، ففي العرض والارتفاع كبقية الأبواب في كل من حجرة (د) و(ض) غير أن بعضها ينقص عرضه نحو قيراط عدد 10 فقط.

ولأجل زيادة الإيضاح، نضع رسم كل من جدران هذه الحجرة، وفي باب هذه

الحجرة قبر صغير لا نعلم لماذا وضعوه هنا، وعرضه نحو 1 قدم [قدم واحدة] وطوله نحو 2 قدم [قدمان]، وربما كان لطفل عزيز على أهله. والله أعلم وهذا رسم ذلك:





الآن حيث انتهينا من التكلم عن (ط) نشرع في التكلم ..[342].

خارج باب العمود :

ثم يوم السبت في 22 أيار غربي سنة 1875م، زرت محلاً في القدس خارج سور المدينة عند باب العمود على طريق الشام. في الجانب الأيمن من الطريق حاكورة. وفي وسط الحاكورة حيثما حفر صاحب تلك المحلة لغرس بعض الأشجار وجد آثار بناية عظيمة ففتشها واذا بجدار ممتد لمسافة وبجانبه الشرقي وجد معلفاً فتتبعه فإذا بجانبه معالف كثيرة.

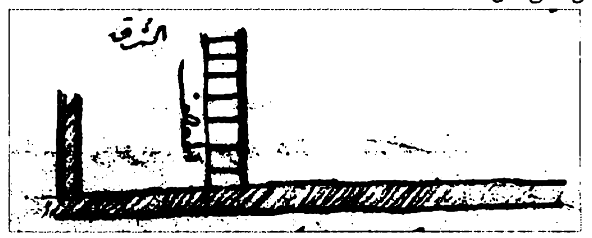
ومن هذا يستدل بأن دير استفانوس المشهور في تاريخ القدس كان هناك، وكذلك الخان الذي يذكره المؤرخون ويسمونه بخان الحمير.

---

[342] . هنا انقطع الحديث وباقي الصفحة 113 ابيض، وهذا يعني ان القساطلي لم يكمل كتابة هذا الجزء وتوقف لسبب ما عن الحديث عن بقية آثار بيت المقدس التي تحدث عن انه ينوي التفصيل فيها في مقدمة هذا القسم اي في الصفحة 102 من الدفتر الثاني

وقبل أن يستكشف الخان المذكور الذي لم يدع شكاً عنه وجود الدير المذكور هناك ظن بأن الدير كان هناك لأجل مغارة رهبانية موجودة من زمن ينوف عن الخمسة عشر قرناً[343] ونيف، وهذه المغارة منقورة بالصخر، وهي من الأشغال المسيحية لأن القبور بها كالصناديق. وهذه العادة لم تكن موجودة من قبل في هذه البلاد لأنهم كانوا يضعون موتاهم على وجوه القبور التي كانوا يعملونها ذات مصاطب وهي كالبيوت.

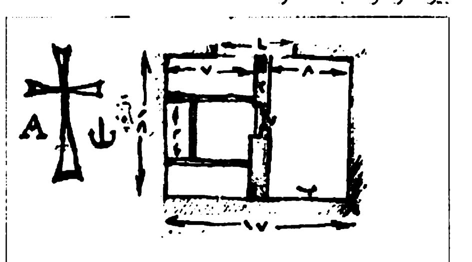
وما وجد في جميع الآثار القديمة قبور كالصناديق سوى في مصر. ومن ذلك نستنتج بأن تلك العادة كانت محصورة في المصريين فقط. وبعد ذلك امتدت للمسيحية، حيث يوجد قبور مثل هذه في الأديرة الشمالية في بلاد سوريا وخلافها. وقد نظرت قبوراً مثل هذه في بلاد غزة، ولكن يرجع بأنها من قبور المسيحيين القدماء. رسم البناء المذكور الذي نبش حتى الآن:



وقد وجد صاحب تلك المحلة هناك حجارة كبيرة مربعة ومستطيلة، ورؤوس أعمدة وقطع أعمدة كثيرة جعل بعضها تصوينة لحاكورته.

وهناك إلى شرق البناء بئر كبيرة جداً منقورة بالصخر قيل عندما نزل إليها بعد أن نبشها وجد على جدرانها صليباً كبيراً مرسوماً بالصخر.

وأما المغارة فموقعها بجانب الحاكورة الشمالي في صخر مقطوع قطعاً محكماً، يحيط بتلك الحاكورة من الشمال وبعض الشرق، ومن ثم يسير شرقاً. وهذا رسم المغارة المشار إليها:



[343] في الأصل سنة، وهذا سبق قلم فالمقصود خمسة عشر قرناً وليس سنة وهو ما صححناه.

يوجد في الحائط الشرقي فوق القبر الأوسط صليب.. قديم رسم جانبه وعلى جوانبه الحرف الأول والحرف الآخر من الحروف الهجائية، وكذلك آخر غير ظاهر نهائياً عند (ب).

عيد الصعود في قرية الطور:

يوم الخميس في الصعود شرقي في [..][344] سرت صباحاً إلى جبل الطور حيث أقام في ذلك النهار القداس الروم والأرمن والقبط والسريان في المحل الذي صعد منه السيد المسيح للسماء في يوم الأربعين بعد الفصح الذي صلب به السيد. أما ذلك المحل فبرأس الجبل المذكور، وبجانبه الجنوبي جامع وفيه مسلة عالية. وذلك المحل يحتوي على دار، وضمن المحل قبة مثمنة الزوايا من خارج قائمة على 14 عموداً صغيراً طول كل واحد منها نحو 10 أقدام.

وعلى رؤوس تلك الأعمدة نقوش جميلة. وربما ذلك بني قبل الدولة الصليبية لأن نقوش الرؤوس تختلف عن النقوش الصليبية، وهي كالنقوش التي في الحرم الأقصى. وبرأس عمودين من الجانب الشمالي منقوش ثيران كالتي في جامع عمر في الحرم الأقصى.

ولما كان هذا المحل شائع بين جميع الطوائف النصرانية خلا البروتستانيت[345] عمل له حائط مستدير من داخل ولفتات الأعمدة من خارج ظاهرة.

ولكل طائفة عادات دينية تجريها به يوم خميس الصعود. ومفتاح هذه المحلة بيد المسلمين كالقيامة، أعطي لهم ذلك حذراً من الفتن النصرانية، ومن نحو خمس سنين التمس الأرمن من الباب العالي بأن يعمروا هيكلاً هناك ففازوا بإذن وعمروا، فقاومهم بطريرك الروم كيرللس واستحصل فرماناً بمساعدة الطوائف المحقة بذلك المحل، وهدم ذلك البناء بعد أن تم مدعياً بأن لا قسم خصوصياً لطائفة من الطوائف المسيحية في ذلك المحل.

فالحكومة حذراً من الشرور هدمت ذلك المحل الذي لو بقي لكان موضوعاً عظيماً لشرور كثيرة ربما كانت تجري بها الدماء من جرّاء تعصب الأهالي غير المعتدل، وخصوصاً في مدينة القدس الشريف.

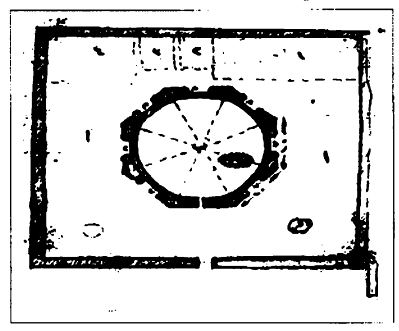
والآن يوم عيد الصعود تصلي [طائفة] اللاتين في ذلك المحل وحدها لكون العيد عندها يسبق بقية الطوائف الشرقية، فالروم تنصب خيمة يوم العيد إلى الجانب القبلي ولها معظم المحل، والسريان بجانبهم والقبط بجانبهم، والأرمن في الجانب الشمالي. وترى يوم

---

[344]. فراغ في الأصل.

[345]. يكتب القساطلي اسم هذه الطائفة برسمين بروتستنط وبروتستانيت، وهي الطائفة البروتستناتية

هذا العيد أربعة قداديس قائمة معاً. وأما في السنة الكبيسة فترى خمسة قداديس. وكل ذلك في دائرة الدار. وأما داخل القبة الذي صعد منه المخلص فكل طائفة تبخر به، فالروم أولاً ثم الأرمن ثم السريان ثم القبط وبعده عند قراءة الإنجيل يجري الترتيب كطقس البخور. وفي سنة 1875 جرى شر عظيم بين الروم والأرمن لأن الأرمن بخرت وقرأت الإنجيل قبل الروم فاشتبك الشر بين الجهتين لأجل هذه القضية، فكنت ترى الرهبان في ملابسها الكهنوتية نازلة في حومة القتال بعضها مع بعض، وبالحقيقة إن أموراً كهذه توجب الحزن والأسف الشديد على كل عاقل. أما رسم ذلك المحل فهو هكذا. ومن الأمور المستحقة الاعتبار عدم وجود أدنى زينة في ذلك المحل الذي داخل القبة مدى الأيام:



فإن:

أ ـ دايرة الدار

ب ـ دايرة القبة وعلى حيطانها من داخل كتابة أسماء زايرين كثيرين بلغات كثيرة.

ج ـ المحل الذي صعد منه المسيح للسماء.

د ـ بئر ماء.

1 ـ المحل الذي ينصب به الروم خيمتهم يوم عيد الصعود.

2 ـ المحل الذي ينصب به السريان خيمتهم يوم عيد الصعود.

3 ـ المحل الذي ينصب به القبط والحبش خيمتهم يوم عيد الصعود.

4 ـ المحل الذي ينصب به الأرمن خيمتهم يوم عيد الصعود.

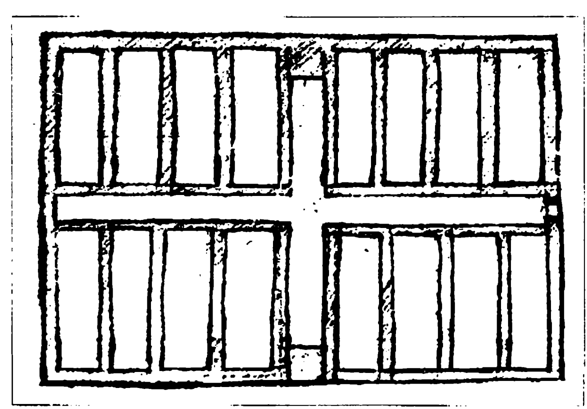
5 ـ المحل الذي بناه الأرمن وخرب بموجب التماس بطريرك الروم كيرللس.

وشرقي قرية الطور محلٌ للمسكوب أقاموا به بناء ومُزْمعين أن يبنوا ديراً هناك. وبينما هم يحفرون في تلة صغيرة من التراب وجدوا آثار محل قديم فنظفوا أرضه وإذا بها

نقوش من قطع حجارة ملونة جميلة بها صور طيور وأسماك، وفي النصف صورة وعل. وعلى الدائر كتابة حفظ منها شيء حتى الآن. وهي على الجانب الشمالي من تلك النقوش بأحرف صعبة القراءة.

وقد بنوا محلاً حول ذلك المحل وربما كان هذا سنة 1872 حين وجد، ومن الممكن بأن هذا المحل كان دائرة دير، لأنه وجد إلى الغرب منه أثر كنيسة للروم لم تزل رسومها ظاهرة حتى الآن، وفي خاطر المسكوب أن يقيموا كنيسة على أثر الكنيسة نفسها. وهذه صورة الكتابة المذكورة.

ثم وإلى الشرق من المحل المذكور على بعد قريب منه بناء واطئ به قبور قديمة وأربعة منها لم تزل حتى الآن أغطيتها عليها، وقيل إنه يوجد كتابة فوقها، وأما أنا فلم أرها لكون الباب كان مغلقاً[346] وما وجدت وسيلة لفتحه لأرى ذلك عياناً وهذا رسم المحل المذكور:



(346) في الأصل: مسكراً.

وبجانبه أيضاً محل آخر وربما كان قبراً وفوقه بلاطة مكتوب عليها بالحرف السابق نفسه، وهذا المحل يستحق الاعتبار نظراً لكتابة نقوشه وليس لأمر آخر خلاف هذا، لأنه بناية، وكذلك المقبرة المرسومة في الوجه السابق. وفي جانب قرية الطور الجنوبي قد أقامت أميرة فرنساوية ديراً وكنيسة حتى الآن لم يكمل ذلك تماماً. وبالحقيقة إن ذلك البناء لجميل جداً وبه محل مربع واضعة به تمثالها، وكتب به على الداير على ألواح رخامية الصلاة الربانية بـ 32 لغة.

وهذا المحل من الأبنية الحديثة الجميلة المستحقة الاعتبار، وقد أوصت تلك الأميرة بأن يدفنوها هناك في القبر الجميل الذي عملته لنفسها ووضعت تمثالها فوقه.

أما قرية الطور فعلى رأس جبل الزيتون المشهور في الإنجيل بحوادث متعلقة بالسيد المسيح له المجد. وقد نزلت به عساكر تيطس الروماني الذي حارب أورشليم. ولا سبيل الآن بهذه المسودة للتطويل عن ذلك.

وعدد سكان تلك القرية نحو أربعمائة نفس تقريباً، وأهلها أصحاب إقدام في الأشغال رجالاً ونساءً، وعندهم اعتناء في تربية المواشي... وأبنية هذه القرية من الحجارة النظيفة، وهي على شكل مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب ويكثر هناك شجر الزيتون، وخصوصاً في الجانب الغربي المقابل للقدس.

قرية النبي صموئيل:

يوم الجمعة في [..][347] سرت إلى النبي صموئيل .. أما هذه القرية الصغيرة التي هناك فعلى جبل عالٍ تظهر من بعد طويل، وهي إلى الشمال الغربي من القدس، وبها آثار قديمة وعظيمة. فإنه يوجد بها محلات كثيرة جميلة وكبيرة منقورة بالصخر. وقد يخال بأن هذا المحل في الزمن القديم كان كل بيوته منقورة بالصخر، وكذلك الطرقات فإنها منقورة أيضاً. وعندما تدخل إلى القرية تشاهد محلاً متسعاً كبركة كبيرة جداً منقور بالصخر، وهو على شكل مربع تقريباً. ولربما كانت الخيمة هناك سابقاً.

ومقام النبي صموئيل واقع في الجنوب الغربي من القرية التي لا تحتوي على أكثر من عشرين بيتاً، وهو جامع كبير على أثر كنيسة عظيمة، وبزاويته القبلية مئذنة خرب الآن كثير منها، وعمارة هذا الجامع متينة كقلعة عظيمة تستحق الاعتبار، وهذا المحل يقصده كثيرون من أهل السياحة، وخصوصاً اليهود، فإنه لا يأتي زائر يهودي إلى الأراضي

---

[347]. فراغ في الأصل

المقدسة إلا ويزوره. ومن قبل ذلك تجد كتابات أسماء كثيرة من الزوار على الجدران بلغات مختلفة، وخصوصاً اللغة العبرية. وبالكاد تجد محلاً صغيراً خالٍ من الكتابة. وكل ذلك داخل دائرة المقام..

وفي هذه القرية التي يظهر بأنها كانت مدينة فيما سبق، آثار تدل على اتساع دائرتها في أيام عزها ومجدها . وبها عيون ماء كثيرة ذات مياه عذبة جيدة، فإنه إلى الشمال من المقام المذكور، وعلى بعد نحو مائة وخمسين ذراعاً، عين ماء يسمونها بعين البلد، وبينها وبين المزار بئر يسمونه بئر الصياح.

وإلى الشرق من عين الجاكوك آثار مغائر صغيرة. وعين الطولة تخرج من مغارة ويتشعب منها عينان، وعين الأمير في مغارة وعين الشاطر وعين الزفيزف. وكل العيون الشرقية قريب بعضها من بعض كما أن بعضها إلى شرقي بعض.

وهناك عند الأعين الشرقية حواكير جميلة فيها أشجار من الزيتون والتين. ثم فوق باب مقام النبي صموئيل حيث يوجد قبره مكتوب هذه الأبيات.. [من البحر البسيط]

زر بقعة بالبها والنور مشرقةً	قد عمها الله بالأنوار تعميما
واشهد بأن نبي الله ساكنها	من نسل يعقوب كل حان تعظيما
عليهم صلوات الله تشملهم	تعمهم شرفاً مجداً وتعظيما
وقف بباب كريم راجيا كرما	واسأل إلهك بالغفران تتميما
تنال عزاً ولطفاً ثم مغفرةً	من الإله وإحساناً وتكريماً

وإلى القرب من الأعين الشرقية المذكورة آنفاً بركة منقورة بالحجارة مربعة الشكل، وبجانبها ملاحق بها برك صغيرة أيضاً عدتها 2 وقد قيل لي إن هناك آباراً كثيرة منقورة بالصخر وهناك نواويس. ولضيق الوقت لم أتمكن من مشاهدة شيء منها.

وإلى الجنوب الشرقي من القرية المذكورة على رأس مرتفع برج بني في عهد مجهول لم يزل معظمه واقفاً حتى الآن. وربما أقيم في عهد الدولة الصليبية، وحوله خربة ليست بصغيرة.

بلاد نابلس

[البيرة، بيتين [بيت إيل]، سلواد، ترمس عاي، سيلون، حوارة، مدينة نابلس، سكانها، جدول محلات نابلس، ملخص تاريخها]

البيرة :

يوم الثلاثاء في 8 حزيران غربي 1875م، قلعنا الخيام من القدس وسرنا شمالاً قاصدين نابلس.

وبعد أن سرنا ثلاث ساعات وصلنا إلى البيرة، أما البيرة فهي قرية تحتوي على ما ينوف عن المائة بيت، وكل أهلها من المسلمين يشربون من عين ماء على الطريق.

وقد كانت هذه القرية محلاً معتبراً وذكرت في الكتب المقدسة تحت اسم بئيروت (انظر يشوع ص 9: 17).

وفي أيام الدولة المسيحية كانت ذات عظمة أيضاً، وما يدلنا على ذلك الكنيسة الموجودة بها.

إن الكنيسة المذكورة والمرسومة في جانبه، لم تزل جدرانها واقفة إلى الآن حتى آخر الحنية الشمالية والجنوبية، وأما الوسطى فخراب. رأسها وداخلها العلوي قائم على أعمدة صغيرة وأما في رؤوس الأعمدة الأخر فنقوش لم تزل إلى الآن، وهي في جمال.

وضمن هذه الكنيسة حاكورة الآن، ولما زرتها كانت مزروعة حنطة، ويظهر أنه لم يكن في وسط هذه الكنيسة عمود أو عضائد مطلقاً، لأنه لا أثر لذلك بوجه من الأوجه.

ثم سرنا من البيرة، وعلى بعد نصف ساعة منها مررنا على عين العقبة، وهي عن يسار طريقنا، وبجانبها مغارة كبيرة كحجرة منقورة بالصخر، وأمامها بركة بنا مستديرة، ثم وعلى بعد مائة ذراع منها عين آخرى تسمى بالاسم ذاته.

الكنيسة الموجودة في البيرة أيام الدولة المسيحية

وأمامها بركة أيضاً كالسابقة ذكرها، وربما سميتا بذلك للبركتين المذكورتين. وعلى بعد قليل من ذلك عين العقبة، وهي تخرج من طور ممتد كالتي قبلها، وموقعها غربي الطريق.

بيتين [بيت إيل]:

ثم أخذنا بالصعود من هناك، وبعد ربع ساعة وصلنا لبيتين، وكانت عن يمين الطريق، وهي بيت إيل الشهيرة في الكتب المقدسة، وهناك بات يعقوب عندما سافر من

وجه أخيه عيسو قاصداً خاله لابان، ونام هناك ورأى تلك الرؤيا الغريبة، وهي ذلك السلم المتصل بالسماء الذي كانت الملائكة تصعد وتنزل عليه، وهناك صلى ووضع ذلك الحجر وصب عليه زيتاً قائلاً: (إنْ كَانَ اللهُ مَعي، وَحَفظَني في هذَا الطَّريق الَّذي أنَا سَائرٌ فيه، وَأعْطَاني خُبْزًا لآكُلَ وَثيَابًا لألْبَسَ، وَرَجَعْتُ بِسَلاَمٍ إلَى بَيْت أبي، يَكُونُ الرَّبُ لي إلهًا، وَهذَا الْحَجَرُ الَّذي أقَمْتُهُ عَمُودًا يَكُونُ بَيْتَ الله) وكان اسم تلك المدينة أولاً لوز، وأول من دعاها بذلك يعقوب. (انظر تكوين 28: 11 إلى 22، وقد ذكرت أيضاً قبل ذلك في (تكوين 12: 8) وقد ذكر هذا المحل في أماكن كثيرة من العهد القديم لا يسعنا استيفاء ذكرها.

ومن بيتين غرباً ثلاث خرب، الأولى خربة المصايات[348]، والثانية خربة كفرمر، والثالثة خربة وادي الجوز.

ثم سرنا، وبعد نصف ساعة كان عن يسار طريقنا، والفاصل بينها وبين الطريق وادٍ، قرية عين يبرود، وإلى الشمال منها قرية يبرود، والقريتان المذكورتان كل واحدة نحو مائة بيت، وأبنيتهما كأبنية قرى[349] تلك الأطراف، من حجارة نظيفة بيضاء.

ثم نزلنا بوادٍ عميق يسمونه بوادي التين، وهذا الوادي طويل به أشجار كثيرة من التين والزيتون، وعند بدايته بئر جمع قد شربنا منه.

وفي رأس جبل عن يمين الطريق قرب بداية الوادي، قرية برأس جبل يسمونها سلواد. ثم سرنا في ذلك الوادي إلى أن وصلنا إلى عيون الحرامية، وقد نظرنا بعض نواويس في طريقنا بذلك الوادي على الجانبين.

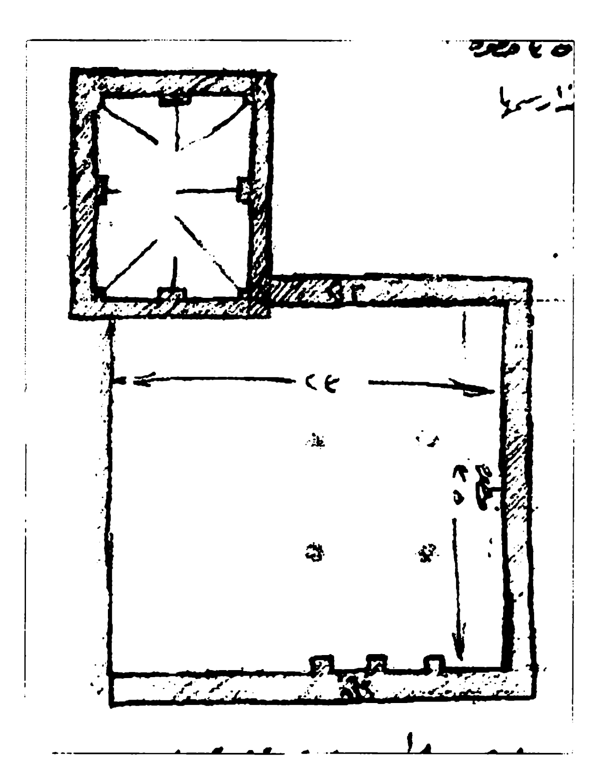
وعيون الحرامية تحتوي على خمسة عيون صغيرة عن يسار الطريق، وهناك آثار بركة كبيرة من حجارة كبيرة، وبئر ماء ربما كانت تجتمع به المياه التي تفيض عن الأعين المذكورة.

وطول البركة المذكورة 35 خطوة، أو 105 أقدام، وعرضها 23 خطوة، أو 19 قدماً، وهذا رسمها:

---

(348) . في اراضي قرية المزرعة التابعة لمحافظة رام الله نبع يسمى نبع المصايات

(349) في الأصل: كابنية غير قرى من قرايا تلك الأطراف



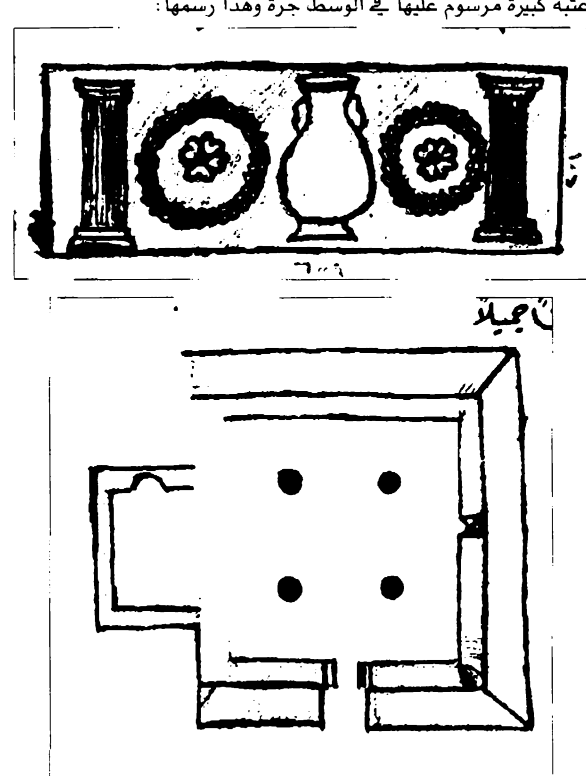
وهناك عند عيون الحرامية الجبال مرتفعة من الجانبين، وعند عيون الحرامية تجد الصخر مقطعاً قطعاً طبيعياً محكماً، بحيث يُظن كأنه من شغل الأيدي.

ترمس عاي :

يوم الأربعاء في 9 حزيران رحلنا من عيون الحرامية شمالاً، إلى أن انتهينا من وادي التين، فسرنا شرقاً حتى وصلنا إلى قرية ترمس عاي[350]، ومنها سرنا شمالاً، وبعد ربع ساعة وصلنا إلى جامع الأربعين وهذا المحل خراب أكثره الآن، وبناؤه غريب.. وفي الجدار

[350] . تسمى الآن ترمسعياو هي بلدية تابعة لرام الله وتبعد عنها 30 كيلو مترا تقريبا إلى الشمال الشرقي منها، تقريبا في المنتصف بينها وبين نابلس

الغربي والشمالي والجنوبي من خارج، جدار بناؤه مائل، وهذا رسمه. وفي وسطه أربعة أعمدة واقفة الآن، ورؤوسها منقوشة نقشاً جميلاً. وفوق باب هذا المحل الواقع في جهة الشمال، عتبة كبيرة مرسوم عليها في الوسط جرة وهذا رسمها:



سيلون:

وبعد أن سرنا نحو خمس دقائق شمالاً وصلنا إلى سيلون[351]، وهي شيلو القديمة، أما سيلون فالآن خربة صغيرة على تل، وفي الشرق منها محل خيمة الاجتماع ظاهر حتى الآن، وهو قطعة مربعة تقريباً، ويظهر بأنها من قبل كانت غير مستوية، ولكن لما وضع

---

(351) . خربة الرية الآن ضمن اراضي قرية قريوت

إسرائيل الخيمة هناك مهدوا الأرض بنقر الصخور غير المستوية، حتى صارت مسطحة تصلح لوضع الخيمة عليها، وكل ذلك يستدل من الآثار المحفوظة حتى الآن.

وليس في خربة سيلون بناية عامرة سوى مقام سيلون، الواقع بجانب الخربة الجنوبي، وهناك فوقه بلوطة كبيرة وعظيمة تظلل أكثره، ويحيط بسيلون من الشرق والشمال وادٍ عميق، وفي جانب الوادي الآخر، وموقعها للشمال من سيلون، مغارة كبيرة، وهذه المغارة لها فوهة كبيرة أيضاً، وهي من أشغال الأيدي.

ثم سرنا بذلك الوادي المسمى بوادي علي، وعند منتصفه تقريباً، كان على يمين طريقنا بئر يسمونه بئر وادي علي، وعلى شمال الطريق على بعد قليل من ذلك البئر، خربة صغيرة تسمى بخربة الماء، أو خان الماء، وقد كان هناك خان وحوله قرية صغيرة، قد انحصرت بدائرة الخراب منذ عهد ليس ببعيد، وهي من الأبنية الإسلامية المتأخرة، وآثار ذلك الخان باقية إلى الآن تشهد بوجوده.

والآن في أيام الحصاد يبني الفلاحون عششاً على تلك الآثار، ويبيتون فيها، وهذا الوادي مخصب وذو تربة حسنة، وقد سرنا في ذلك الوادي بانحدار نحو الشرق، إلى أن انتهى باتصاله مع طريق نابلس المستقيمة المؤدية إلى القرى، فسرنا بها قاصدين نابلس.

وبعد مسيرنا قليلاً بذلك الطريق صعدنا بعقبة زعترا وفي سفحها في جهة الشمال بئر يسمونها ببئر زعترا، وموقعه في الجانب الثاني منها حيث تأخذ بالنزول منها، ومن هناك يبتدئ سهل واسع جيد التربة، وفي ذلك السهل بساتين زيتون كثيرة، وقد تناولنا اللبخ[352] في بستان منها، واقع على يمين الطريق بالقرب من حوارة لجهة الجنوب منها.

حوارة :

ثم ارتحلنا من هناك قاصدين نابلس، وبعد أن سرنا قليلاً وصلنا لقرية حوارا، وهي قرية تحتوي على مائة بيت تقريباً، وبالقرب منها قرية عين أبوس[353]، ومن هناك لنابلس جبال كثيرة على الجانبين، وبها قرى متعددة، ويفصل بين الجانب والآخر وادٍ واسع مخصب وجيد التربة، وفي تلك الجبال قرى كثيرة، وعلى الطريق قبل أن تصل إلى نابلس بنحو ساعة

---

[352] . شجر اللبخ ويسمى ذقن الباشا الإسم العلمي Albizia lebbek من العائلة السنطية البقولية، وهي شجرة متساقطة الأوراق مظلية الشكل يتراوح إرتفاعها بين 15-10 م، ساقها مصفرة واضحة والأوراق ريشية مركبة، ولها ازهار كروية مبيضة تظهر في الصيف والثمار قرون رقيقة تحتوي بداخلها على البذور (4 12بذرة)، والجذور منتشرة سطحية

[353] . تكتب الآن عينابوس وهي من القرى التابعة لمحافظة نابلس

عين ماء جيدة، وبعد ذلك وصلنا لنابلس وضربنا الخيام في ظاهرها في محل بمؤخرتها لجهة الغرب يسمى بالسوكية، وهناك فتحة ومحل يخرج إليه أهالي نابلس للتنزه.

مدينة نابلس :

أما نابلس فهي مدينة كبيرة بالنسبة لمدن فلسطين الوسطى، وهي من أقدم مدن فلسطين وموقعها بين جبلين، واحد في الجنوب وهو جرزيم، وآخر في السهل وهو عيبال، وعلوها عن سطح بحر الروم ألف وثلاثمائة قدم، وعلو جبل عيبال عن سطح نابلس ألف قدم، وجرزيم عن سطحها ثمانمائة قدم.

وهذه المدينة ذات موقع حسن جداً، وموقعها في وادٍ جميل بين الجبلين المذكورين، وبها بساتين جميلة تسقى بمياه عذبة وجيدة تنحدر من أسافل الجبلين، وهذه المدينة ذات أثمار كثيرة كدمشق الفيحاء، وينبت بها أنواع الخضر والنبات التي في دمشق الشام، وبها زيتون كثيرة والصبار يوجد بها بكثرة فائقة، حتى أنك تجد فيها بساتين كثيرة من الصبار فقط. وبساتين الصبار أكثرها أو جميعها واقعة في سفح جبل عيبال وعلى ارتفاع قليل منه.

ومنظر هذه المدينة من خارج جميل جداً، لأن كل أبنيتها من الحجارة، وهي ذات طبقات، وأما من داخل فلا أظن بأنها كذلك. وفي شوارعها سيلان الماء العذب، وأسواقها ضيقة، غير أنه يوجد بها سوق للتجار جميل ورحب، يشابه أسواق صيدا.

سكانها :

وأهالي هذه المدينة مسلمون، ونصارى روم ولاتين وبروتستانت، ويهود، وبها جنس من الأمم من بقايا طائفة قديمة قد اندثرت تماماً ولم يبق سوى قليل منها في هذه المدينة، وهم السَّمَرا. وعدد سكان هذه المدينة من جميع الطوائف ينوف عن الأثني عشر ألف نسمة، والمسلمون منهم لم يزالوا إلى الآن أصحاب تعصب، لأن أيدي التمدن لم تفعل بهم حتى هذا الوقت، وفي هذه [المدينة] سبعة جوامع، أجملها الجامع الكبير الذي في منتصف[354] المدينة، وقد كان كنيسة للمسيحيين، وهو ذو بناء جميل، وقد قصدنا الدخول إليه، ولكن بما أنه ليس معنا أمر من الحكومة، لم نتمكن من ذلك[355]، ولقصر إقامتنا في نابلس لم نتمكن من[356] إخراج أمر لذلك.

---

[354]. في الأصل: نصف.

[355]. في الأصل: لم يمكننا ذلك.

[356]. في الأصل: لم يمكننا.

وبها أيضاً ثلاث كنائس ومحل لإقامة عبادة السَّمَرا ومحلاً لإقامة عبادة اليهود.

ولنابلس تجارة عظيمة مع أهل البلاد حولها، وهي ذات مركز حسن جداً لذلك، ودائماً ترد إليها القوافل من الشام [أي دمشق] وبيروت وخلافهما من المدن، حاملة إليها البضائع والأقمشة.

هذا وبما أن مدة إقامتنا بها لم تطل لم نتمكن من البحث عن كل شيء فيها، وعن أحوال أهلها وعاداتهم وأشغالهم، ولكن بما أننا سنعود إليها في سنة 1876م، ونكون بها مدة تمكننا من ذلك، سنفرد[357] لها محلاً آخر في دفترنا هذا، به نستوفي الشرح عنها إن شاء الله.

والآن نذكر زيادة عما ذكرناه عنها شيئاً من ملخص تاريخها القديم وعدد محلاتها الآن، فنقول:

أولاً، في عدد محلاتها:

إنه بناء على إحصاء محلات هذه المدينة من الحكومة نقدر أن تضع الجدول الآتي، وهو منقول عن روزنامة الحكومة 1288 هجرية[358] [1871م]وهو:

جدول محلات نابلس

بيوت عدد	
1356 مسلمين	
0070 روم	مسيحيين
0013 لاتين	
0013 بروتستانت	
0013 سمرا	
0014 يهود	
1479	فيكون عدد البيوت بها منه كل الطوائف ألف وأربعمائة وتسعة وسبعين

[357] . في الأصل: سنفرز.

[358] . المقصود (سالنامة) وهي الكتاب السنوي الذي اعتادت السلطنة العثمانية ان تصدره سنوياً بشكل متواصل منذ عام 1846 وحتى عام 1918. اما سالنامة ولاية سوريا التي تضم معلومات عن فلسطين، فقد صدر العدد الأول منها عام 1868 بينما صدر العدد الثاني والثلاثين والأخير عام 1900.

جدول المحلات العمومية

عدد	
7	جامع
7	ترب أوليا (مزارات للمسلمين)
3	كنيسة
9	مكتب ش (بها تلاميذ 325)
5	مكتب غ (بها تلاميذ 086)
450	دكاكين
004	خان
492 / 007	حمام
492	يكون جانبه
512 /020	دكرمان (مطحنة)
	يكون عدد المحلات العمومية مع الدكاكين خمسمائة واثني عشر.
1991 /1479	عدد محلات أو بيوت المذاهب

ونابلس مركز متصرفية البلقاء، وبها يقيم المتصرف، وبها دائرة الحكومة، وهي أيضاً مركز إقامة مطروبوليت[359] الروم الأرثوذكس، الذي كرسيه في سَبسَطية (السامرة)، بها قس وطني بروتستانطي اسمه يوحنا الغربي وقس آخر من طرف الجمعية الإنكليزية اسمه مستر فشر...[360]

---

[359] . مطران.

[360] . الكلام هنا مقطوع، ومن الواضح انه كانت هنالك صفحات اخرى للحديث عن نابلس وبعض آثارها، ولكننا نجد أن الصفحة التالية تقول (تمّ الجزء الثاني من الروضة النعمانية ويليه الثالث إن شاء الله وكان ختام تحرير هذا الجزء في مدينة نابلس في 11 حزيران غربي 75).

ملحق

ملخص تاريخ الزيادنة
(من قلم نعمان أفندي قساطلي)

لما كان لا بد للمسافر في بلاد عكا والناصرة وطبرية وصفد من أن يشاهد حصوناً وأبنية كثيرة تشبه الأبنية الصليبية القديمة بعض المشابهة، ولربما يُفَتش بها إذا أُهمل البحث عنها لمعرفتها، وكان لا بد لهُ أيضاً من أن يسمع ذكر الزيادنة كثيراً إذا تحدث مع الأهالي، وخصوصاً سكان القرى، فلأجل فائدة أبناء الوطن أجهدت نفسي في مدة أسفاري الطويلة في تلك البلاد، بجمع تاريخ لتلك العائلة الشهيرة (إذ لم أرَ لها تاريخاً)، والبحث عما شادتهُ من الأبراج والقلاع والدور.

وإذا أتى ذلك مطوّلاً نوعاً [ما]، ولا سبيل إلى نشره الآن، لخصتهُ بوُرَيقات قليلة وقدمتهُ إلى جنابكم، ليصير نشرهُ بالجنان[361] لتعمَّ فائدتهُ، وإن شاء الله سنذكرهُ مطوّلاً مع غيره، إذا تيسر لنا نشر حالة فلسطين وما شاهدناهُ بها من الآثار القديمة والخرابات، في مدة أسفارنا الطويلة في كل جهاتها.

الزيدانية أو الزيادنة عائلة منسوبة إلى وجيهها الأول المسمى الشيخ زيدان، وهذه العائلة حكمت في القرن الهجري الماضي جزءاً من جنوبي سوريا الغربية مدة خمسين سنة، خاضعة لحكومة إيالة صيدا و30 سنة مستقلة بنفسها، أي غير خاضعة للباب العالي.

وزيدان، ركن هذه العائلة، أصلهُ من إحدى قبائل عرب الطائف بالحجاز، أمحلت بلادهُ في سنة 1103 هجرية [1691- 1692م]، فوافى عرابة البطوف مع أخَويه صالح وطلحة، ونزلوا بها بمواشيهم حيث توجد المراعي الكثيرة.

---

[361] . مقال منشور في مجلة الجنان، مجلد عام 1877م، ص849- 853.

وكانت البلاد (أعني بلاد الشاغور التي منها عرابة) وقتئذ خاضعة لعائلة درزية ظالمة، مسكنها قرية سلامة، وهذه العائلة أحبت زيدان جداً لأنه فضلاً عن كونه ضيف بلادها، كان ذا حكمة وكرم مفرط.

على أن زيدان بالنظر إلى جورها على الأهلين، مسلمين ونصارى، كان يبغضها باطناً. وفي سنة 1110 هجرية [1698- 1699م] أراد كبير مشايخ الدروز أن يتزوج ابنة شيخ عرابة الجميلة إجباراً بغير مهر، فصعب الأمر على أبيها جداً، وأخبر به الشيخ زيدان فدبرا طريقة سرية للتخلص من هذه الملة، وفي أواخر هذه السنة ذهب زيدان إلى سلامة، بعد أن وضع كميناً بالقرب منها وقتل كبير العائلة، ثم حمل قومهُ على القرية وقتلوا من بها من كبير إلى صغير، ثم نهبوها وأحرقوها عن آخرها، ولم يبقَ منها غير مطاحنها الثلاث.

وبعد هذه النصرة: أجمع أهالي عرابة وقضاء الشاغور على أن يولوا عليهم الشيخ زيدان، فعرفهُ قبلان باشا المطرحبي والي صيدا، وأثبت ولايته، فحكم قضاء الشاغور مدة 10 سنين، في أثنائها ترك البيوت الشعرية وبنى داراً جميلة في عرابة، وأخرى في دير حنا.

وفي سنة 1130 هجرية [1717 ـ 1718م]، تعدى أهالي البلاد حولهُ على بلاده، فحمل عليهم فاستولى على بلاد بعضهم بالسيف، والبعض بالتسليم، فكانت سبعة مقاطعات 3 ملكها بسيفه و 4 سادها بالتسليم. أما البلاد التي سادها بالسيف وأباد حكامها عن أخرهم فهي:

أولاً . مقاطعة صفورية :

وكانت تحت حكم المقارحة وقراها : صفورية (العاصمة) كفر كنا (وهي قانا الجليل) الفولة سمونيه. كفرا مندا. المشهد. العفولة. عيلوط. العزير، الرينة. جباتا. الناصرة (كانت قرية صغيرة) رُمانة، عين ماهل خنيفس. رومة (اليوم خراب). البعينة. دبورية. تل الشمام. خربة الساحل. طورعان. إكسال. معلول. يافا[362].

ثانياً . مقاطعة لوبية :

وكانت تحت حكم الشناشرة وقراها : لوبية (العاصمة). صارونة. الحدثة. العبيدية. نمرين. كفركنا. سعير. طبريا (كانت قرية صغيرة). الشجرة. عين عرب. الدلهمية. المجدل. حطين. شعارة. عولم. أم جبيل. كفر سبت. مسحة. أم جونة.

---

(362) . هي قرية تتبع للناصرة وتكتب ايضاً بالتاء المربوطة وتسمى يافة الناصرة

ثالثاً ، مقاطعة الشيخ داود :

وكانت تحكم حكم البياتمة وقراها . الشيخ داود (العاصمة) البصة. المنشية. عمقة. الغابسيه. الزيب. المكر. بركا . القهوة. المزرعة الجديدة. جولس التل. الفَرج. كفريا سيف. كويكات. الكابري. السميرية. ابو سنان. عكا (كانت قرية صغيرة).

أما المقاطعات التي حكمها بغير حرب، وسلم أهلها خيفة بطشه فهي:

أولاً ، مقاطعة صفد :

وكان حاكمها حسن الياسين وعائلته. وقراها ، صفد (العاصمة) رأس الأحمر. الصفصافة. عكبرا . عين الزيتون. علما الخيط. ميرون. مغار الخيط. قديثا . فاره. السموعية. قباعه. دلاثه. الجش. الظاهرية. فرعم. طيطبا . كفر برعم. بيريا . الجاعونة.

ثانياً ، مقاطعة تيرشيحة[363]:

وكان حاكمها الشيخ أحمد الحسين، الذي زوج ابنتهُ بكرية بالشيخ زيدان فولدت له حسيناً وعلياً . وعائلة هذا الشيخ بنت قلعة سعسع التي أمست اليوم بحالة الخراب التام. وقلعة جدين التي بنى بها علي الظاهر قصراً لحرمه وزاد في تقويتها وتحصينها، ومع أنها اليوم قد شربت كأس الخراب، لم يزل قصر علي الظاهر قائماً مع كثير من أبراجها وأقبيتها، ومعظم طولها يبلغ 468 قدماً وعرضها 330 قدماً، وهي من القلاع الكبيرة الباقية آثارها للآن وقرى هذه المقاطعة هي: تيرشيحة (العاصمة). البقيمة. بيت جن. جت. سحماتا[364]. الدير والفاسي [الدير الفاسي]. فسوطة. جدين (اليوم خراب). كفر سميع. حرفيش. يانوح. سعسع.

ثالثاً ، مقاطعة الدامون :

وكانت تحت حكومة عائلة ذياب. وقراها : الدامون (العاصمة) كابول، شفا عمر. طبعون. البرق نَمْرة. الشيخ بريك. بيت لحم. شعب. عبلين. المجدل. أم العمد . ميعار. الرويس. قصقص. جيدا .

---

[363] . ترشيحا.

[364] . في الأصل: سمحاتا، ما اثبتناه هو الصحيح.

رابعاً . مقاطعة عتليت :

وكانت تحت حكومة بكوات بيت الماضي. وقراها : عتليت (العاصمة) شفيتا . عرعرة. دالية الكرمل. الطيره. أم التوت. الكفرين عسفيه . جبع. بريكه . خبيزه. بلد الشيخ. إجزم. أم العلق. أم الشوف. الياجور. عين غزال. السنديانة. الدالية. كفراتا . الطنطوره. المراح. الريحانه. الهريج. صرفند . صيادين. الجعارة. حيفا (وكانت قرية صغيرة على أثر بلدة قديمة) الفريديس. قنبر. أم الزينات. السوامير. كفر قرع. عين حوض.

[مقاطعة الشاغور]

والمقاطعة التي ابتدأ حكم زيدان بها تسمى بمقاطعة الشاغور. وقراها : عرابة البطوف. (العاصمة بعد سلأمة) سخنين. دير حنا . عيلبون. كفر عنان. نحف. سلأمة (خراب منذ أخربها زيدان) المغار، فراضية. كرا . مجد الكروم. المنصورة. الرامة. الدير. ياقوق. سيجور. البعنة.

وفي سنة 1130 هجرية [1717- 1718م] توفي الشيخ زيدان ودُفن في عرابة ورفعتهُ العامة إلى رتبة الأولياء، وبني على قبره مزار وصار كل من أصابهُ مرض يأخذ من النبات الموجود عند قبره ويتبخر به.

وفي هذه السنة بعد زيدان تولى ولايته ابنهُ الشيخ صالح، فعرفهُ أسعد باشا العظم والي صيدا . وفي سنة 1135 هجرية [1722- 1723م] توفي بعد أن حكم خمس سنين من دون حرب، ودُفن في عرابة. وفي أثناء حكومته بنى علي ابن صالح أخو زيدان جامعاً في الدامون وسماهُ باسمه، وأقام أيضاً داراً جميلة يسكنها نسلهُ إلى هذا اليوم [أي 1877م].

وتولى بعد الشيخ صالح ابنهُ عمر، وكانت مدة ولايته خمس عشرة سنة بطاعة الدولة التي كان يؤدي لها الأموال الأميرية في أوقاتها . وفي أواخر أيامه ولج ابنهُ ظاهراً ببناء أسوار عكا إجابة لطلب الدولة العلية، وفي سنة 1150 [هجرية، 1737- 1738م] توفي ودُفن في عرابة فخلفهُ ابنهُ الشيخ ظاهر العمر الشهير (وكان لظاهر أخوة وهم الحاج يوسف والشيخ سعد والشيخ أبو ضاني.

ودام الشيخ ظاهر، كأسلافه مطيعاً للدولة إلى سنة 1160 هجرية [1747م]، حيث جرت وحشة فيما بينهُ وبين عثمان باشا والي صيدا، فأنهى هذا الوزير إلى الباب العالي بأن الشيخ ظاهر لا يطيع أوامر الدولة، وممتنع عن أداء الأموال المرتبة، فصدر أمر الدولة

بمحاربته بعد أن عززتهُ من وغمرتهُ بأنعامها أكثر من أسلافه، فجرد عثمان باشا جنودهُ مع جنود من دمشق، فلاقاهم ظاهر العمر إلى أراضي الحولة، وهناك اشتبك القتال فدارت الدائرة على عثمان باشا وقتل أكثر جنده، والباقي تقهقروا نحو دمشق تاركين مهماتهم، فاغتنمها ظاهر وعاد إلى عكا، فجعل كرسيهُ بها وأسرع في تتميم أسوارها، فتيسر لهُ ذلك في سنة 1163 [هجرية، 1749- 1750م] فأصبحت عكا مدينة عظيمة في تلك البلاد، مشيدة تكاد تكون عاصمة بلاد مستقلة.

وفي أثناء بنائه سور عكا؛ بنى قصراً داخل المدينة (لم يزل إلى الآن)، وجامعاً أيضاً يعرف اليوم بجامع الرمل.

وعندما جرت العداوة بينه وبين الدولة، ابتدأ أخوهُ سعد في بناية سور لدير حنا وأتمهُ بأقرب وقت، وبنى أيضاً جامعاً ضمن دير حنا، وداراً جميلة لسكنه (اليوم صارت مسكناً لمواشي الفلاحين وأبدل عزها بذل).

ولما تمت أسوار دير حنا؛ شيد ضمنها الشيخ ظاهر العمر داراً جميلة لامرأته درهكانة العرابية، ورصعها بالرخام وزينها بالنقوش. ولما تولى أحمد باشا الجزار اقتلع أكثر رخامها ورخام جامع سعد، ورصف به جامعهُ الذي بناه في عكا، وكذلك عبد الله باشا الخزندار اقتلع ما بقي ونقلهُ إلى حديقته التي أنشأها في عكا، وسماها البهجة.

ولما تمت أسوار عكا، أخذ الشيخ ظاهر العمر في توسيع بلاده ودام كذلك إلى أن انتشا بنوه وهم صليبي وعثمان وأحمد وعباس وصالح وسعد الدين وأبو سعيد وعلي فكان، كل مقتدر منهم يتولى مقاطعة من البلاد تحت مناظرة أبيه. وإما أخوته فاتخذهم عمالاً تحت يده، ووقت الحرب كانوا يأتون بعساكرهم، وتسلم القيادة العامة للشيخ ظاهر.

وكانت ولاية سعد أخو ظاهر العمر دير حنا وبعض قرى حولها، وولاية أبي ضاني عرابة وقرى حولها، وهذا بنى داراً في عرابة، قد لبست في هذه الأيام ثوب الخراب كغيرها.

والحاج يوسف سكن عبلين وبنى سورها والجامع أيضاً الذي بها المنسوب إليه، كما أنهُ قد بنى الجامع الكبير في طبريا المنسوب إليه أيضاً. ولما توفي دفن في عبلين بساحة جامعه، وكان عالماً شاعراً لبيباً منعكفاً على الدرس والمطالعة، محباً للعلماء متعبداً صاحب كرم مفرط كغيره من أعضاء عائلته.

وصليبي بن ظاهر العمر تولى طبريا وشفاها فوسع المدينة وبنى سورها الحالي

(وفي هذه الأيام لعبت به أيدي الخراب) مع القصر. وفي أيامه بنى والده في طبريا الجامع الكبير المعروف بجامع البحر.

وعثمان تولى شفا عمرو وبنى قلعتها والقصر الملاصق لها، والأبراج الأربعة التي تلاشى الآن واحد منها، وكان ذلك في سنة 1183 [1769- 1770م] وما بني في شفا عمرو هو آخر أبنية الزيادنة.

وأحمد سكن أولاً في صفورية وبنى قلعتها، ثم فتح بلاد عجلون والسلط والكرك وبلاد حوران، ثم ترك بلاد حوران لمعاهدة جرت بينهُ وبين عبد الله باشا العظم والي دمشق، وأتى وسكن في يبنا من جبل عجلون وبنى قلعتها، ثم بنى قلعة ثانية في السلط.

وعلي تولى بلاد صفد وجدد بناء قلعتها الصليبية القديمة، وبنى قلعة ثانية في طرف البلدة بين الشرق والجنوب، وشيد برجاً في جانب آثر الهيكل اليهودي القديم في ميرون، وبنى بركة بالطابغة قرب بحيرة طبريا، وشيد المطاحن التي بجانبها، وشيد قصراً جميلاً لحرمه في قلعة جدين، وقوى أسوار تلك القلعة وزاد في تحصينها، وأنشأ بركة بالقرب منها، وشاد غير ذلك من الأبنية.

وكان كثير الحروب والمغازي ولم يفتر عن الحمل، ولشدة بأسه كان يفوز بكل غزواته وحروبه، ولهُ أعمال عجيبة ناشئة عن الشجاعة لا حاجة إلى ذكرها هنا.

وعباس حكم الناصرة وبنى القلعة التي بها لهذا اليوم، ويسكنها قائمقام الحكومة.

وسعيد كان يأبى الحضرية، فاقتنى بيوتاً شعرية، وأخذ يعيش كالبدو جائباً بمواشيه بين أخوته.

وأما صالح وسعد الدين فكانا صغيرين بحجر أبيهما في عكا.

ولما قويت شوكة الشيخ ظاهر العمر وانتصر على الدولة مراراً، استبد ببلاده وأدعى الاستقلال واتحد مع كاترينا إمبراطورة المسكوب ضد الدولة العثمانية، وبواسطة هذا الاتحاد تقوى جداً بالأسلحة والذخائر الحربية، وعمل المدافع ونقش عليها اسمهُ، وصار كملك مطلق يعمل ما يشاء بغير خوف.

على أن وصولهُ إلى هذه الدرجة أوقد نيران الحسد والخوف معاً في قلوب جيرانه، وخصوصاً أهالي جبل نابلس، فلازموا الحمل على بلاده بغير فائدة، وأخيراً إذ عظمت مقاومتهم له، حمل عليهم حملة هائلة وكسرهم كسرة شنيعة، دخل بواسطتها بلادهم بعد أن خسرهم أكثر مشاهيرهم وفرسانهم، وعاد إلى بلاده ظافراً غانماً، ولكي يأمن على أطراف بلاده من غاراتهم في الاستقبال، عمّر القلاع الآتي ذكرها، وأقام بها محافظين،

وهي: قلعة خنيفس، وقلعة جباتا، وقلعة القيمون، وقلعة طرابلسية. وقلعة الهريج، فارتاح مدة.

ولما رجع كان يخوف لئلا تدهمهُ مراكب الدولة العثمانية، فبنى سور حيفا وحصن قلعتها التي تشيدت في أيام والده، وأقام أبراجاً للمحافظة من جهة البر تبعد عن السور قليلاً.

وما لبث برهة من الزمان؛ إلا وتجند ضده أهالي جبل نابلس قياماً بأخذ الثار، و أتوا وحلوا بالقرب من الناصرة، وضيقوا على الأهالي، فبارزهم بعساكره وعساكر بنيه، فانتصر عليهم ودخل بلادهم، وبعد أن فتح قلعة سانور الشهيرة أتى وحل أمام نابلس، فخاف أهلها مع من بها من الجنود، لتأكدهم بأنهُ إذا فتح مدينتهم عنوة لا يبقي حياً منهم، فبادروا حالاً وصالحوهُ، فرتب عليهم الجزية ووضعهم تحت شروط، منها: إمدادهُ بالرجال وقت الحرب، وعدم التعرض لمحاربته فيما بعد. وكر راجعاً إلى عكا، وربما كان هذا في نحو سنة 1180 هجرية [1766- 1767م] وبعد رجوعه قام بحروب ومغازٍ لا حاجة لذكرها، وقد انتصر بأكثرها أو كلها وكان يجرُ مدافعهُ إلى ميدان المعامع.

وكانت شهرة ظاهر العمر تزداد يومياً وألفته تتقوى مع الدولة الروسية، التي كانت تمده بالمهمات الحربية ليساعدها على حكومة العثمانيين، وقد أرسلت له صناعاً، فعملوا لهُ مدافع في عكا نقش عليها اسمهُ، وقيل إنهُ لم يزل بعضها في عكا إلى هذا اليوم [1877م]، وبناءً عليه صار الشيخ ظاهر العمر فوق كل أمراء سورية في ذلك الزمان، بالقوة والسطوة حتى هابهُ الجميع، وفي غضون سنة 1185هجرية [1771- 1772م] جددت عداوة بينهُ وبين الأمراء بني شهاب في بيروت، فاتحد معهم والي صيدا وبرزت الجنود لمحاربته، فحمل عليهم براً وطلب إلى عمارة مسكوبية كانت في بحر الروم أن تضرب بيروت، فأجابتهُ إلى ذلك وضيقت على المدينة، وكادت تفتحها عنوة، فأيقن الأمير منصور بعدم الفوز (الأمير منصور كان والي بيروت وقتئذٍ)، فأرسل وصالح الشيخ ظاهر العمر على مال، وتعهد بدفع مال آخر لأمير البوارج، فأجابهُ الشيخ إلى ذلك، ولما دفع المال رفع الحصار براً وبحراً ورجع كلٌ إلى مقرّه، وبعد ذلك بمدة رحل الأمير منصور إلى دير القمر، وأقام أحمد بك الجزار متسلماً في بيروت، فهذا حصّن المدينة وأضمر العصيان على سيده، وما لبث أن جاهر به وكسر جنود الأمراء، فاستنجد الأمير منصور بالشيخ ظاهر فلباه، وأرسل البوارج المسكوبية فحصرت بيروت، وبعد أن أطلقت المدافع عليها امتلكتها عنوة وسلمتها إلى الأمير صاحبها، الذي دفع

للبوارج المسكوبية ثلاثمائة ألف غرش مقابلة لخدمتها ودفع للشيخ ظاهر شيئاً أخر، وتجددت المعاهدة بينهما.

وبعد ذلك تصالح الروس والباب العالي فارتفعت القوة الروسية من بحر الروم.

وفي سنة 1189 [هجرية، 1775م] أرسلت الدولة العثمانية عمارة عظيمة إلى عكا، وطلبت من الشيخ ظاهر مالاً فدفعهُ بدون تردد لتضعضع أحواله، لأن الانقسام الداخلي دخل بلاده والعدوان ملأ قلوب بنيه، فالتزم أن يشغل اهتمامهُ مدة (بعد أن حارب أحدهم علي) في أمر تقرير الصلح فيما بينهم.

وفي سنة 1190 [هجرية، 1776م]، إذ علمت الدولة ضعفهُ بواسطة أحمد باشا الجزار، الذي كان في ذلك الوقت والياً على صيدا، أرسلت عمارة بحرية إلى عكا تحت إمرة حسن باشا الجزائري، وطلبت إلى الشيخ ظاهر العمر مبلغاً من المال، فأبى دفعهُ بعد أن عقد مشورة مؤلفة من بنيه وعظماء حكومته، فحالاً شهر عليه الحرب، فجمع جنودهُ بسرعة للدفاع، ولما اتقدت نيران الحرب بحراً أتى أحمد باشا الجزار من صيدا بعسكر جرار، وبسرعة عسكر أمام أبواب عكا وقطع عنها المواصلات، وبعد كفاح شديد دام مدة ليست بقليلة، انقطع أمل الفوز عند الشيخ ظاهر لاشتداد الحرب براً وبحراً ونفاد مهماته التي كانت قليلة وغير كافية، لعدم استعداده قبل لحرب لم يحسب لها حساباً، فرفع إشارة التسليم وخرج ليقدم الطاعة بذاته، ولما وصل إلى باب عكا حمل عليه حارسهُ الذي كان يسمى حسن أغا المغربي، وبغدر تمكن من قطع رأسه، وحالاً سار به وطرحهُ أمام أحمد باشا الجزار، الذي سألهُ ما هذا؟ فأجابهُ رأس ظاهر العمر وقد أتيت به لأقدمهُ خدمة لسيدي لأنال حسن الجزاء، فقال الجزار إن جزاء الخائن عندنا القتل، فاليوم خنت سيدك فغداً تخون بنا، وأمر به فضُرب عنقهُ حالاً.

وبعد هذا دخل الجزار وحسن باشا إلى عكا واستلما المدينة، وأمرا بدفن جثة الشيخ ظاهر فدفنت بالنبي صالح بجوار عكا بالقرب من أسوارها.

وقد أخذ حسن باشا بعضاً من بني ظاهر العمر وبني بنيه أسرى إلى الأستانة، وسلم المدينة إلى الجزار، ومن بقي من الزيادنة فر إلى مقاطعته، وهكذا سقطت عاصمة بني زيدان وخسف بدر مجدهم في ليال تمت، وأصبح حاكم عكا بعد ظاهر العمر أحمد باشا الجزار، الذي أخذ بالاستيلاء على بلاد الزيادنة شيئاً بعد شيء، وما لبث أن استولى عليها كلها إلا مقاطعة علي الظاهر، فإنهُ لم يقدر أن ينجح أمامهُ، وبعد أن حاربهُ مراراً بدون فائدة كف عنهُ موقتاً، وأخذ بتدبير الطرق لإهلاكه، فكتب إلى

الباب العالي يطلب نجدة، فوردت الأوامر على والي الشام ليساعد الجزار على علي الظاهر، فهذا إذ كان يعلم شدة بأس علي، وأن لا سبيل إلى إخضاعه بالمحاربة، افتكر أن يأخذهُ بالخداع والحيلة فعمل لهُ مكيدة أتى بها المرغوب وقطع رأس علي غدراً وهو في معسكره عند جسر بنات يعقوب، حيثما كان يستعد للحمل على عكا، وأتى برأسه للشام، وإما جثتهُ فحملها قومهُ ودفنوها في قرية عيناثا من بلاد بشارة، وبموت علي سقط الزيادنة السقوط التام وحل عليهم الوبال، وضبطت أملاكهم ولم تقم لهم قائمة من ذلك اليوم.

ولما أتى الجنرال بنوبارتي[365] الفرنسوي لفتح عكا اتحد معهُ الشيخ عباس الظاهر، وكان يساعدهُ المساعدات المهمة لوعده إياهُ بالإعادة إلى ما كان عليه أبوهُ إذا صار الفوز بفتح عكا، ولسوء حظ هذا الشيخ تأخر بنوبارتي ولم يحصل على مرغوبه، فرجع من حيث أتى لأن قوات أعظم من قُوَّته كانت تقاومهُ، وهي الطاعون وجنود الجزار والبدو وأهالي جبل نابلس، وذلك البطل البحري المشهور الأميرال سدني سميث الإنكليزي.

[365] . نابليون بونابارت

كشاف الأماكن والأعلام